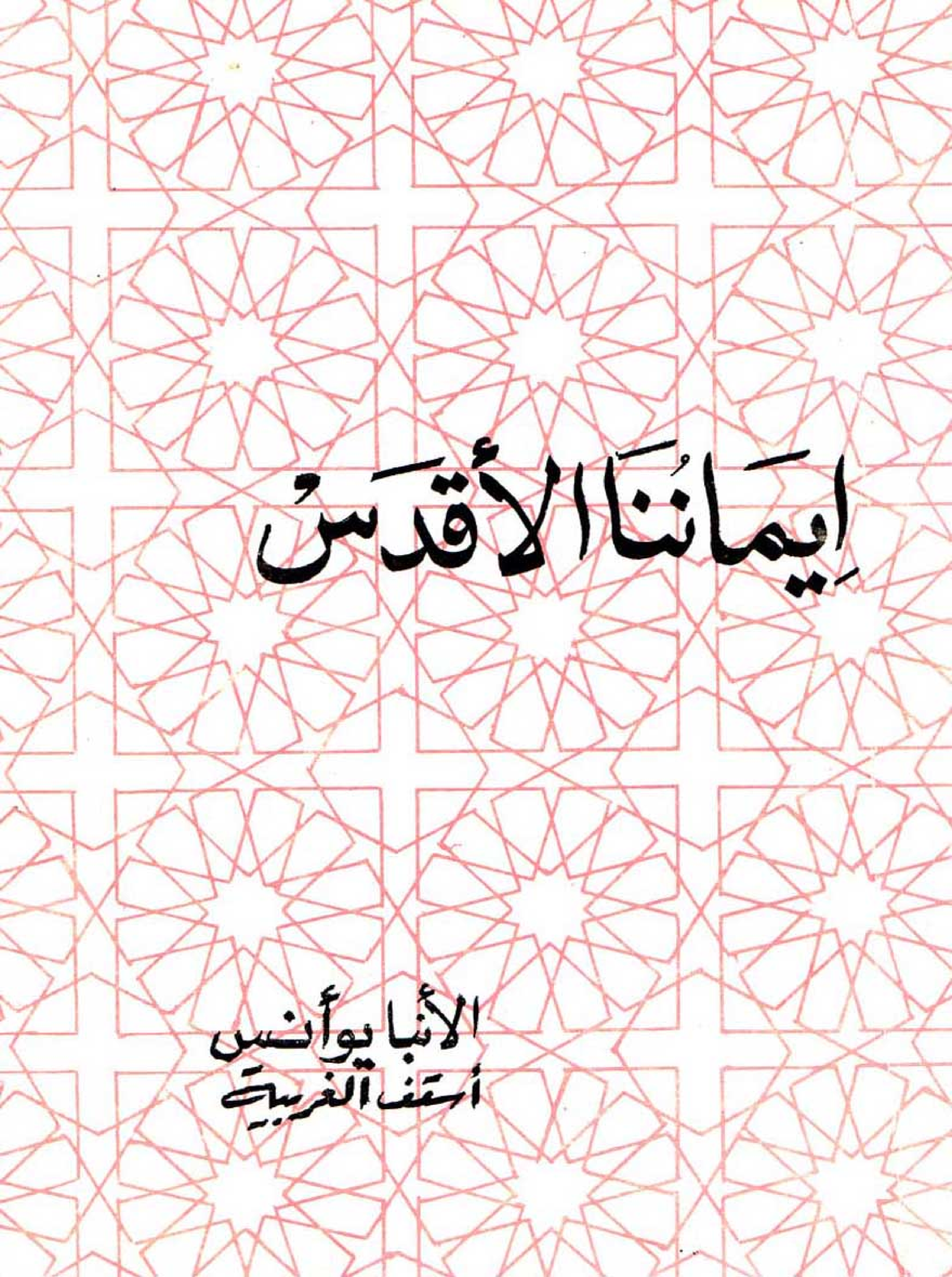


المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com


إِيمَانُنَا الأَقدَسُ
الأنبا يوأنس
أسقف الغربية

إيمَانُنَا الأقدَسُ

الأنبا يوأنس
أسقف الغربية

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

« وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس . مصلين فى الروح القدس واحفظوا أنفسكم فى محبة الله ، منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية » (رسالة يهوذا ٢٠ ، ٢١) .

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

الكتاب : إيماننا الأقدس .

المؤلف : نيافة الأنبا يوأنس أسقف الغربية .

الطبعة : الثانية ديسمبر ١٩٨٦ م .

المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية ـــ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٣٣ / ١٩٧٩ م .



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقــــديم

إن الإيمان هو السلسلة الذهبية التى تربطنا بالله ، والسلم النورانى الذى يصل بين البشر والسماء ... ونحن لا نقصد الإيمان المجرد بالله ، إنما نقصد الإيمان بالله فى المسيح ... ففى شخص المسيح الفادى صالح الله العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم (كورنثوس الثانية ٥ : ١٨ ، ١٩) ... إن حجر الزاوية فى إيمان المسيحيين هو « المسيح ابن الله الحى » ... على هذا الإيمان بُنِيت الكنيسة المسيحية (متى ١٦ : ١٦ ، ١٨) ... هكذا آمن المسيحيون بالمسيح أنه « ليس بأحد غيره الخلاص » (أعمال الرسل ٤ : ١٢) .

* لكن مَنْ يكون هذا المسيح ، الذى ليس بأحد غيره الخلاص ، وهل من حاجة إليه ؟!

* وهل تدعو المسيحية إلى عبادة الله الواحد ... وكيف يوفق المسيحيون بين واحد وثالوث فى الذات الإلهية ؟!

* وإن كان الإيمان بالمسيح ــ بحسب عقيدة المسيحيين ــ يواجه الآن تحدياً عنيفاً من البعض ، فكيف إستطاعت الكنيسة المسيحية أن تثبت أمام الملاحدة والوثنيين والهراطقة عبر عشرين قرناً من الزمان ... وإلى أى شىء يشير هذا الثبات ؟!

إن هذا الكتاب يعالج قضية الإيمان المسيحى من زاوية خاصة هى ألوهة المسيح ... ومادة هذا الكتاب ألقيت فى سبع عظات فى الصوم الأربعينى سنة ١٩٧٨ ، فى طنطا والمحلة الكبرى ، ولم يقصد بحال أن تكون كتاباً ... وإلاَّ لتطلب الأمر مزيداً من الإضافات ليصدر البحث فى مجلد كبير ... ونحن ننشر الموضوع كما ألقى تقريباً فى الإجتماعات .

يسعدنى أن أقدم هذا الكتاب إلى كل مسيحى ، فهو يمس جوهر الديانة المسيحية ، وحتى ما يكون المسيحيون مستعدين لمجاوبة كل مَنْ يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم ...

وإنى أضع هذا الكتاب بين يدى مَنْ أحبنا وفدانا ، ليجعله سبب بركة لكل مَنْ يقرأه ...

وإلهنا المبارك الذى دعانا لمجده الأبدى ، فى المسيح يسوع يحفظنا جميعاً فى إيمانه بلا لوم ولا عثرة لحين ظهوره . وله كل المجد والكرامة إلى الأبد آمين .

يـــوأنس

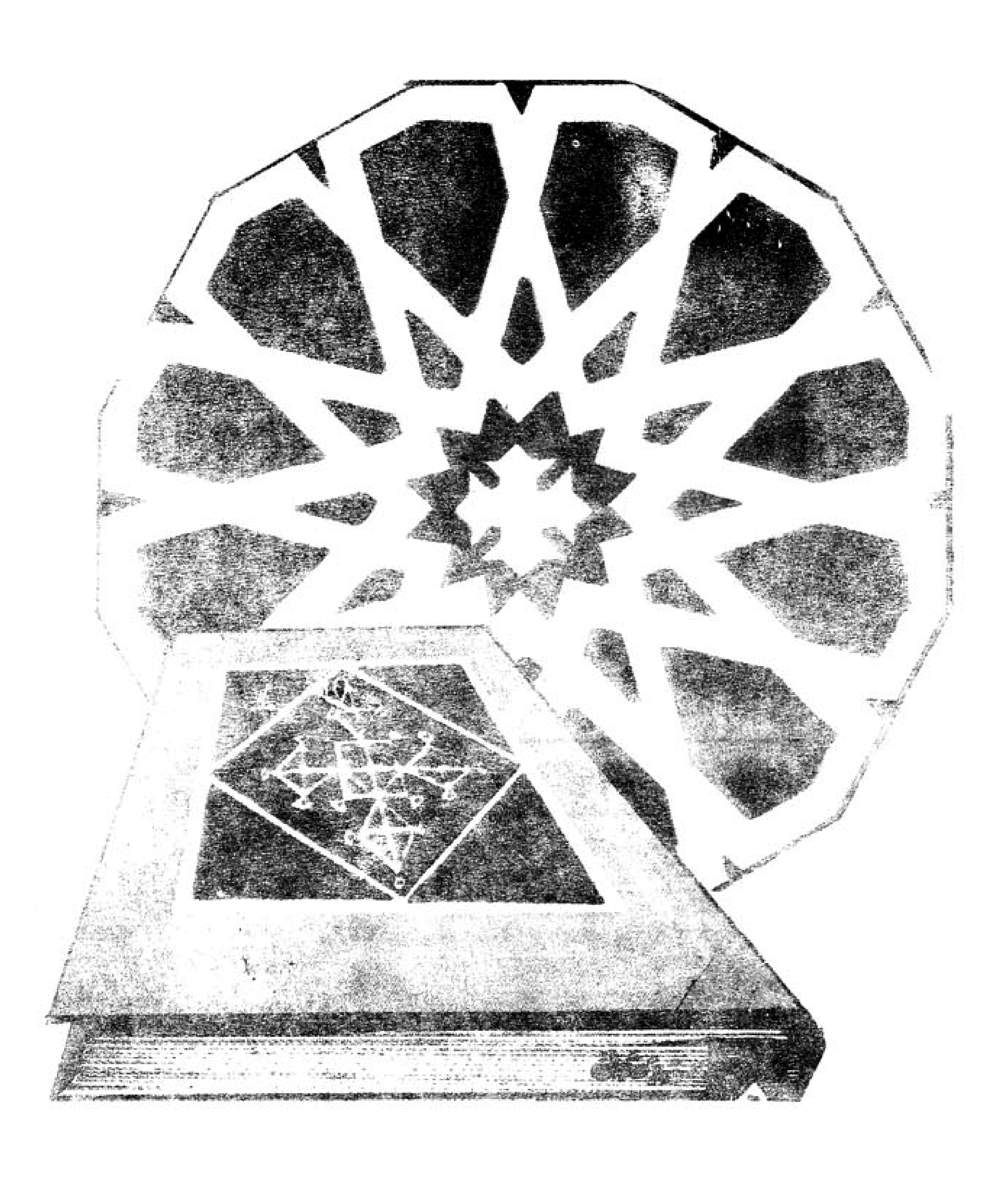
بنعمة الله أسقف الغربية

١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٨ م

٨ كيهك سنة ١٦٩٥ ش **تذكار نياحة الأنبا صموئيل المعترف .**



شاول المضطهد للكنيسة ... أصبح بولس الذى شاهد السماء الثالثة



المسيح في نظر المفكرين والفلاسفة
غير المسيحيين
عبر الأجيال

١ ـ اليهود والمسيح .

٢ ـ الوثنية والمسيح .

٣ ـ الإسلام والمسيح .

٤ ـ العقلانية والمسيح .

٥ ـ المحدثون والمسيح .

٦ ـ هل من علاقة بين المسيح والاسينيين ؟

شغل موضوع المسيح عقول المفكرين عبر الأجيال من مسيحيين وغيرهم . وإنقسموا إلى مؤيد للاهوته ومنكر له . البعض ينتزع المسيح إعجابهم ، والبعض ينقمون عليه ، **ولا عجب فى ذلك ، فالمسيح ليس شخصاً تاريخياً وحسب ، لكنه شخص حى دائم ، وسيظل دائماً موضوع إيمان وشك الكثيرين** . ولعل كلمات سمعان الشيخ ــ الذى حمل المسيح طفلاً على ذراعيه فى الهيكل ــ التى قالها لأمه العذراء مريم بروح النبوة ، توضح ذلك ... « **ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم (= هدفاً للمخالفة)** » (لوقا ٢ : ٣٤) ... نفس هذا المعنى عبّر عنه القديس بولس الرسول بقوله : « **نحن نكرز بالمسيح مصلوباً ، لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة . وأما** للمدعوين يهوداً ويونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله » (كورنثوس الثانية ١ : ٢٣ ، ٢٤) ... والآن نستعرض موقف أصحاب الأديان والمفكرين من شخص المسيح ...

① اليهود والمسيح

واضح من الأناجيل المقدسة **موقف اليهود الرسميين من المسيح . ونقصد باليهود الرسميين الكهنة ورؤساءهم ومعلميهم من مختلف الطوائف اليهودية كالفريسيين والكتبة** ... لقد حاولوا أن يلصقوا به أبشع الصفات ، فقالوا عنه إنه سامرى وبه شيطان (يوحنا ٨ : ٤٨) ، كما نسبوا معجزاته فى إخراج الأرواح الشريرة إلى قوة بعلزبول رئيس

الشياطين ، وقالوا إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين (متى ٩ : ٣٤ ؛ ١٢ : ٢٤ ؛ مرقس ٣ : ٢٢ ؛ لوقا ١١ : ١٥) ... **ومعلوم أن حقد هؤلاء الحاقدين ظل يتزايد حتى أنتهى الأمر إلى الصليب ... كان طبيعي بعد موت المسيح ، أن يتصدى نفس هؤلاء ، الحاقدون لرسل المسيح وتلاميذه ،** ليعملوا بهم ما عملوه بمعلمهم ، والاصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل تقدم لنا صورة مصغرة لذلك الحقد الذى أخذ يتزايد من السجن والجلد ، إلى القتل كما حدث فى مقتل استفانوس رئيس الشمامسة وأول شهداء المسيحية ... ومن اضطهاد المؤمنين بأورشليم إلى مَنْ هم خارجها مثلما نقرأ عن شاول الطرسوسى (أعمال ٩) ... **وظل الأمر يسير على هذا النحو حتى دمار أورشليم وخراب الهيكل اليهودى سنة ٧٠ م على يد الرومان ...**

بعد خراب أورشليم ودمار هيكلها أخذ اليهود ينظمون صفوفهم من جديد خارج أورشليم . ونظروا إلى المسيحية كخصم اليهودية الأول . وبدأت نهضة يهودية قادت حرباً تعليمية سافرة ضد المسيحية . ومما قاله أحد معلميهم وهو الربان تارفو Tarpho : [الأناجيل تستحق الحرق . إن الوثنية أقل خطراً من الشيع المسيحية . فالأولى لا تقبل الحق اليهودى بسبب الجهل ، بينما المسيحيون يعرفونه ومع ذلك يرفضونه . يمكن أن نجد الخلاص فى المعابد الوثنية أسرع من وجوده وسط الجماعات المسيحية] ... **ووضعت قيود منع بها اليهود من مشاركة المسيحيين الطعام** ... وقد وضع الربان غمالئيل الثانى ــ أواخر القرن الأول الميلادى ــ صورة لحرمِ مَنْ يتجاسر على مخالفة ذلك فى الصلوات

اليومية ، مؤداها أنه لا رجاء للمرتدين (اليهود المتنصرين) ... وهكذا ظل اليهود فى حرب لا هوادة فيها مع المسيحية والمسيحيين . وكانوا لا يترددون عن إيقاع الأذى بالمسيحيين كلما حانت لهم الفرصة . **ونقرأ عن آلاف المسيحيين إستشهدوا فى بلاد حمير (اليمن الحالية) ، الذين فتك بهم الملك اليهودى ذونواس سنة ٥٢٣ م** ، وأحرق كنائسهم فى سبأ ومأرب وظفار ونجران وحضرموت ، حينما أراد أن يرغمهم قصراً على التهود (إعتناق اليهودية) ، ولكنهم أبو أن يتحولوا عن إيمانهم المسيحى .

غير أن هناك فلاسفة يهود كانت لهم نظرة خاصة تجاه المسيح والمسيحية ، ومن هؤلاء الفيلسوف اليهودى الهولندى باروخ سبينوزا Spinoza فى القرن السابع عشر، الذى عد المسيح أعظم الأنبياء قاطبة . وكان يعتقد أن الله أفاض روحه على البشر وكلمهم بروح يسوع المسيح . ومما قاله : [**نستطيع القول إن صوت المسيح هو صوت الله ،** مثل ذلك الصوت الذى سمعه موسى سابقاً . وإن كلمة الله الفائقة القدرة قد تجسدت بالمسيح واتخذت هيئة بشرية . **وبذا أصبح المسيح طريق الخلاص للبشر.** وبالجملة فإن المسيح وقف على أسرار الله ومكنوناته وسبر غورها ، وعبّر عنها بطريقة سامية **نستطيع بسببها أن ندعوه ــ لا نبياً ــ بل فم الله نفسه] .**

والفيلسوف الفرنسى الكبير هنرى برجسون Bergson ، كان معجباً الإعجاب كله بالمسيح . لقد تعرف عليه وأحبه عن طريق

دراسته لحياة النساك المسيحيين ، الذى قال عنهم : [يكفى القديسين أن يكونوا ، فإن وجودهم دعوة إلى الصلاح] . وكان يعتقد أن أولئك القديسين بلغوا ما بلغوه من قداسة بفضل إتصالهم بالمسيح الذى هو فى رأيه [قمة الكمال الروحانى] ... لم ينف عنه الألوهة ، وقد رأى فيه الطريق الأوحد الأمين الواجب إتباعه للوصول إلى الغاية القصوى ... ويقول عن المسيح : [كان للألوهة مالكاً ، حين كان غيره لها مقلداً] ... وعلى الرغم من إعجابه بالمسيحية فإنه لم يعتنقها لسبب أبداه فى وصيته التى نشرتها زوجته بعد وفاته سنة ١٩٣٨ ... قال : [لقد ساقتنى أبحاثى أكثر فأكثر إلى المسيحية التى تكمل اليهودية تكميلاً ، حقيقياً . لكننى أشعر بموجة إضطهاد عنيفة ، ستجتاح العالم فى سبيل محاربة السامية ... لهذا رفضت اعتناق المسيحية لكى أظل بين الذين سيضطهدهم المستقبل . لكن أرغب فى أن يصلى على جثمانى كاهن مسيحى ، إذا سمح بذلك أسقف مدينة باريس . وإذا رفض فلا أرى مانعاً من الإتيان بحاخام ، دون أن يكتم عنه ولا عن أى شخص آخر أننى إنضممت أدبياً إلى المسيحية ، وأن رغبتى الأولى أن أحصل على صلاة كاهن مسيحى] .

② الوثنية والمسيح

حينما نقول الوثنية والمسيح ، فإنما نعنى بذلك الدولة الرومانية الوثنية والمسيحية ... موقف الدولة الرومانية من المسيحية معروف ، فقد

أصدر الأباطرة الرومان مراسيم تحرم إعتناق المسيحية ، وتوجب على رعاياها ضرورة التعبد لآلهة الدولة ، الأمر الذى لأجله إستشهد كثيرون جداً من شهداء المسيحية لأنهم رفضوا إنكار مسيحهم ...
ومهما يكن من أمر ، فقد نظر الرومان الوثنيون ــ ساسة وفلاسفة وكتّاب ــ حتى حكم الإمبراطور تراجان (٩٨ ــ ١١٧) إلى المسيحية كخرافة دنيئة لا تستحق أن يُلتفت إليها ، لكن إنتشارها السريع جعل من غير الممكن تجاهلها . وبمجرد أن كشفت المسيحية عن نفسها أنها ديانة جديدة (بعد أن كان يُنظر إليها فى الفترة المبكرة من ظهورها على أنها مجرد شيعة يهودية جديدة) تسعى للإنتشار فى العالم ، أعتبرت ديانة محرمة وغير مصرح بها . وأصبح التعبير المستمر الذى يوجه للمسيحى [لا حق لك فى الوجود] . ويجب ألاّ تأخذنا الدهشة لهذا الموقف ، لأن الدولة الرومانية كانت مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالعبادة الوثنية ، كما كان الإمبراطور هو الكاهن الأعظم وقد وضع شيشرون خطيب الرومان الأشهر ومشرعهم مبدأ فى التشريع الرومانى ، بأن لا يسمح لأحد أن يعبد آلهة غريبة غير آلهة الدولة ما لم يعترف بها بقانون عام ... والواقع أنه كانت هناك أسباب جذرية وعميقة حملت الدولة على مقاومة المسيحية أبشع مقاومة لا مجال للتعرض لها الآن ...

والخلاصة أن الوثنية حاربت المسيحية حرب السيف والقلم . فقتلت أعداداً لا تُحصى من الشهداء ، وعذبت جماهير غفيرة من المعترفين ، وهدمت الكنائس وأحرقت الكتب المقدسة ، وتفننت فى إضطهاد أتباع المسيح إضطهاداً بدنياً ونفسياً ومادياً مما لا يدخل

تحت حصر ... هذا عن حرب السيف .

أما إذا إنتقلنا إلى حرب القلم ، فإننا نرى الوثنية وقد جردت أقلام فلاسفتها وكتابها لمهاجمة المسيحية من كل وجه ... نذكر منهم على سبيل المثال :

* **كلسوس Celcus الفيلسوف الأبيقورى ذو النزعة الأفلاطونية** الذى أخرج كتاباً أسماه " الخطاب الحقيقى " فى الفترة بين عام ١٧٧ و ١٨٨ م — وقيل قبل ذلك ؛ وهاجم فيه الديانة المسيحية هجوماً شرساً ، الأمر الذى دفع العلامة والفيلسوف القبطى أوريجينوس إلى أن يفند كل إدعاءاته الباطلة فى مؤلف ضخم أسماه " ضد كلسوس " .

* **ولوسيان الأنطاكى Lucian فى القرن الثانى أيضاً وصديق كلسوس ، وهو الآخر فيلسوف أبيقورى جرد قلمه وهاجم المسيحية من عدة زوايا .**

* **وفيلوستراتس Philostratus أستاذ البلاغة** ، بناء عن إيعاز جوليا دمنه Julia Domna زوجة الإمبراطور سبتميوس ساويرس (١٩٣ — ٢١١ م) وكانت شديدة التعصب للوثنية ، ومن دعاة تطويرها ، نسج أسطورة كبيرة مليئة بالمثاليات حول شخية **أبولونيوس الذى من تيانا Apolonius of Tyana ، وهو فيلسوف فيثاغورى عاش فى القرن الأول الميلادى ، بقصد أن تجعل منه حكيماً مثالياً وبطلاً أسطورياً يقف نداً للمسيح تحارب به المسيحية** ... أما أوجه

الشبه التى عقدها فيلوستراتس فى أسطورته بين أبولونيوس والمسيح فكانت كالآتى : المسيح ابن الله وأبولونيوس ابن كبير آلهة الرومان جوبيتر — الملائكة أعلنوا عن ميلاد المسيح ، ووميض من نور ظهر وأعلن عن ميلاد أبولونيوس — المسيح أقام ابنة يايروس من بعد موتها ، وأبولونيوس أقام فتاة رومانية صغيرة من الموت . المسيح أخرج شياطين ، وكذلك فعل أبولونيوس . المسيح قام من بين الأموات ، وأبولونيوس ظهر بعد موته .. حتى معجزة التكلم بألسنة التى وهبت للرسل ، قال إن أبولونيوس كان يتكلم جميع لغات العالم . **ثم أنه جعله نداً كذلك لبولس الرسول ،** تعلم فى طرسوس ، وعمل فى أنطاكية وأفسس وبلاد أخرى ، وأخيراً اضطهده الإمبراطور نيرون ... **ومع كل ذلك فقد باءت هذه المحاولة بالفشل .**

* يأتى بعد ذلك **بورفيرى Porphyry فيلسوف الأفلاطونية المحدثة** ، الى إعتبره آباء الكنيسة من أمر أعداء المسيحية ، كتب مؤلفاً ضخماً ضد المسيحية فى خمسة عشر كتاباً . وكان نقده موجهاً على وجه الخصوص للكتاب المقدس ، مظهراً التعارض الظاهرى — من وجهة نظره — بين كتب العهد القديم والجديد .

* **وممَنْ قاوموا المسيحية بخبث وحاول تقويضها بوسائل مبتكرة الإمبراطور يوليانوس** الذى تسميه الكنيسة الجاحد أو المرتد . بدأ حياته مسيحياً ودرس العلوم فى أثينا مع القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس الثيؤلوغوس . كان صديقاً لهما وكانوا جميعاً يجلسون حول الكتاب المقدس

يدرسونه . ولكنه ما أن صار إمبراطوراً حتى أشتعل حماسه للوثنية متأثراً بمبادىء الأفلاطونية المحدثة ، وأمر بهدم الكنائس وأضرحة الشهداء . وشجع يهود فلسطين على إعادة بناء هيكلهم وأمدهم بالمعونات ، **وكان يريد بذلك أن يثبت خطأ نبوءة المسيح عن خراب الهيكل ، وأنه لا يترك فيه حجر على حجر. لكن محاولته بائت بالفشل ، إذ كانت تخرج كرات نارية من الأرض وتصطدم بوجوه العمال الذين حاولوا حفر أساسات الهيكل .** وهذه الحقيقة يذكرها معاصره **المؤرخ أميانوس** والذى لازمه فى كل رحلاته . كتب رسالة يقول فيها : [إن يسوع المسيح إله مستحدث زعم أنه تجسد ، وهذا منتهى الحماقة . لأن التجسد تنازل ، والتنازل لا يليق بالإله . أضف إلى ذلك أنه غير منظور. أما سكان الاسكندرية الذين بسببه يمتنعون عن عبادة الشمس والقمر اللذين يغدقان عليهم خيرات الأرض فإنهم حقاً أغبياء] ... أما السبب فى ذلك فيرجع إلى مبادىء الفلسفة الأفلاطونية المحدثة التى كانت تعلم أن الإنسان هو مقياس كل شيء ، ولا تقر بوجود ما يفوق قوى العقل البشرى . ولذا فمن البديهى أن تنكر هذه الفلسفة وحى الكتب المقدسة وتعاليمها السماوية . والخطأ الذى وقع فيه هؤلاء الفلاسفة هو جهلهم بطبيعة الله ، وأنه كمال المحبة والجود والعناية . وتنازل الله بتجسده لا يحط من قدره ، بل على العكس فإن عنايته بخلائقه تزيد من قدره ، إذ أن من صفات العظيم أن يعطف على الصغير والحقير.

* وعلى سبيل المثال نذكر أيضاً **هيروكليس Hiercules** الذى كان حاكماً لمقاطعة بيثينية بآسيا الصغرى ثم حاكماً على الاسكندرية فى

زمان دقلديانوس . هذا الرجل حارب المسيحية بالسيف والقلم . فكما أعمل سيفه فى المسيحيين الذين رفضوا إنكار إيمانهم ، فقد كتب كتاباً ضد المسيحية أسماه " كلمات محبة الحق للمسيحيين " .

٣ الإسلام والمسيح

إن رأى المسلمين فى المسيح هو رأى القرآن فيه ، باعتباره كتابهم الدينى الروحى . القرآن يقر أن المسيح (عيسى بن مريم) حملت به أمه بالروح القدس روح الله ، ولدته وهى عذراء بتول بدون زرع بشر بطريقة معجزية « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا وفى الآخرة ومن المقربين . و يكلّم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقوله كن فيكون . و يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم . أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . وأبرىء الأكمة والأبرص ، وأحيى الموتى بإذن الله . وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » (سورة آل عمران ٤٤-٤٨) .

ويعلم القرآن عن المسيح أنه نبى مدعو من الله ليقوم برسالة روحية فهو رسوله تعالى (آل عمران ٤٨) « قال إنى عبد الله آتانى

الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً » (**سورة مريم ٢٩ ، ٣٠**) . ويقول القرآن إن معاصريه لم يقبلوه وقد قيل إنهم قتلوه ولكنه شبه لهم أنهم صلبوه وقتلوه . وفى الواقع إستبدل به إنسان شبيه له « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** . وإن الذين إختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلاَّ اتباع الظن ، **وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه** ، وكان الله عزيزاً حكيماً » (**النساء ١٥٦ ، ١٥٧**) .

لقد رفعه الله إلى السماء ولسوف يرسله يوماً إلى الأرض فى منتهى الأزمنة ليضع نظاماً فى العالم ويهدى جميع البشر إلى الله وليموت عند ذاك حقيقة ، فيظهر فى تلك الساعة حكم الله وقضاؤه على البشر (**سورة الزخرف ٦١ ــ ٦٦**) .

إعترف القرآن للمسيح بصفاته الروحانية « وجيه فى الدنيا وفى الآخرة من المقربين » (**آل عمران ٤٠**) وأنه مبارك حيثما كان (**مريم ٣٢**) .

أما المؤلفون والفقهاء ، فمنهم مَنْ عظم شأنه ودعاه المهدى المنتظر ، ومنهم كالمتصوفين مَنْ قد عده ولياً أى قديساً وخاتمة أولياء الله كما كان محمد خاتمة الأنبياء . ومن أمثلتهم **الترمزى (+ ٨٩٨)** الذى ترى فى مؤلفاته تأثيرات الثقافة الهيلينية المسيحية . **فهو يعطى الأولوية للولى أو القديس على النبى ، ويدعو المسيح [خاتمة**

الأولياء]. وجاء بعده الحسين بن منصور الحلاج الصوفى الشهير (+ ١٩٣١) . الذى اعتقد أن المسيح ولد من الروح القدس وهو ممتلىء منه ومثال أعلى لكل قداسة . فيقول : [ومتى خلا المتصوف من التعلق بالجسد . حل عليه روح الله الذى ولد منه عيسى بن مريم . **فهو آدم الثانى الذى سوف يرأس الحكم يوم القارعة . فهو وحده لا نظير له بين الخلق صدقاً وإتحاداً بالله] .**

هذه وجهة نظر الإسلام ، أما المسيحية فتعتقد أن المسيح لم يكن نبياً وحسب ، ولكنه هو الله الظاهر فى الجسد . والقول بأن المسيح هو الله الظاهر فى الجسد ليس هو من صنع المسيحين ولكنه إعلان المسيح عن ذاته كما سيأتى فيما بعد ... وإذا ثبت أن الأمر هكذا كما قال المسيح وكما نعتقد نحن المسيحيون ، فإن الأمر لا يعدو أحد إحتمالين : فإما أن يكون المسيح نبياً وانحرف عن دعوته ورسالته واغتر بذاته وادعى لنفسه ما ليس له ، وفى هذه الحالة يكون كاذباً ومضلاً : وإما أن يكون صادقاً وجديراً بما نادى به ... لكن كيف ينحرف عن دعوته و يتخطى حدود رسالته إن كان الله أنفذه لغاية معينة ؟ وهل الله أساء إختياره إن كان مجرد نبى ؟!!. ومَنْ من الأنبياء القدامى الصادقين إنحرف عن دور نبوته ؟ **وإن كان إدعى الألوهة وهو كاذب وماكر ، فلماذا أيده الله بالعجائب والمعجزات ؟**

٤ العقلانية والمسيح

فى القرن ١٨ ظهر فلاسفة المدرسة العقلانية Rationalism الذين أنكروا كل ما وراء الطبيعة، (الميتافيزيقا)، وعلى وجه الخصوص المسيحية التى تدور رسالتها حول الحياة الأبدية الفائقة للطبيعة. أخذوا يناصبون المسيحية العداء، وكرسوا أقلامهم وجهودهم لملاشاة المسيحية. وكان فى مقدمتهم فولتير Voltaire وديدرو Diderot وجان جاك روسو وغيرهم.

فالمسيح فى نظر فولتير رجل قروى من الجليل بفلسطين، متأخر حضارياً شأنه فى ذلك شأن معاصريه لكنه كان يفوقهم ذكاء وبصيرة أراد أن يؤسس جماعة دينية مثل جماعات الاسينيين والفريسيين، فاتخذ له تلاميذ. ثم حُكِمَ عليه بالموت صلباً، لكن الأفلاطونية الجديدة التى كانت شائعة وقتئذ فى حوض البحر المتوسط جعلت تلاميذه يوقنون أنه قام من بين الأموات ... **لكن التناقض المثير للضحك فى حياة فولتير هو أنه بعد أن حارب المسيحية والكنيسة طوال حياته، حينما دنت ساعة موته توسل بإلحاح إلى تلاميذه وذويه أن يستحضروا له كاهناً ليمنحه سر التوبة الذى رسمه المسيح نفسه !!**

أما زميله ديدرو فكان يرسل ابنته إلى مدرسة الراهبات لتتلقن مبادىء التعليم المسيحى. فلما سُئِلَ عن هذا التناقض فى حياته قال: **[إننى لا أؤمن بالمسيح وكنيسته، لكنى شديد الإعجاب بطهارة**

أخلاق الراهبات ، وأريد أن تصير إبنتى يوماً إمرأة شريفة ، ولهذا لا أرى بدأ من تثقيفها وتنشئتها وفقاً لمبادىء الإنجيل] ... لكن فاتت ديدرو قضية منطقية ، وهى أن الخلق الرفيع ليس سوى ثمار المعتقد وفعله فى قلب الإنسان . فالأخلاقيات لن تكون بمعزل عن المعتقد واليقين ، بل تأتى بعده على نحو ما تأتى الثمرة من الزهرة . هكذا قال المسيح : « لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة » (متى ٧ : ١٨) .

* أما تناقضات جان جاك روسو Jean Jaques Rousseau فى هذا الأمر فكانت كثيرة . فهو تارة يؤمن بألوهة المسيح وتارة أخرى لا يؤمن بها . ومن أقواله : [الأناجيل هى من صنع البشر، لكن يسوع المسيح بطل الأنجيل هو فوق البشر. وإذا كانت حياة وموت سقراط هى حياة وموت فيلسوف حكيم ، فحياة يسوع المسيح وموته هما حياة إله وموته] .

والخلاصة أن الفلسفة العقلانية التى حاربت المسيحية كانت سلبية أكثر منها إيجابية . ولم يتعد نفوذها وأثرها بعض رجال الثقافة والعلم ، على الرغم مما إستخدمه قادتها من نفوذ سياسى لدى الأسر الحاكمة فى بروسيا وفرنسا وأسبانيا لترويج آرائهم ، وما أنزلوه بالكنيسة من صنوف الإضطهاد سواء من جهة الجمعيات السرية الماسونية أم من جهة الثورة الفرنسية التى إنضموا إليها وحاولوا إستغلالها لتحقيق مآربهم ... إنه لا يكفى أن ينكر الإنسان ألوهة المسيح وحقيقة رسالته

الإلهية ، بل عليه أن يشرح كل ما أحاط بشخص المسيح من تعاليم وحكم ومعجزات . أما مهاجمة الكنيسة والقول بعدم نفعها أو لزومها فى هذه الدنيا فغير صحيح إذ أن الكنيسة ليست سوى علامة وجوده بين البشر وبالأحرى هى إمتداد لوجوده بينهم ، يواصل بها رسالته الخلاصية « ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » (يوحنا ١١ : ٥٢) فى جسد سرى كبير ، ريثما ينقلهم إلى مجده الأبدى ليؤلفوا هناك معه الكنيسة المنتصرة .

⑤ المحدثون والمسيح Modernistics :

وهؤلاء المحدثون أطلقوا بعض السفسطات العصرية ، مؤداها أن المعتقدات الدينية ضرب من الأساطير والخرافات . وكان فى مقدمتهم **الفيلسوف الألمانى هيجل Hegel** (١٧٠ — ١٨٣١) الذى لا يعترف فى فلسفته إلاَّ بسنة التطور الأدبى . **وهكذا فإن المسيح حسب زعمه يمثل أكبر حلقة فى سلسلة التطورات البشرية .**

• **وحذا حذو هيجـل أوجســت ســباتييه Auguste Sabatier** (**١٨٣٧ ــ ١٩٠٢**) **بفرنسا ، وأدولف هرناك Harnack بألمانيا** (**١٨١٧ ــ ١٨٨٩**) . كان سباتييه مدير المعهد اللاهوتى البروتستانتى فى باريس . ألف عدة كتب تشهد بلاهوت المسيح . ومن أقواله فى هذا الصدد : [هل المسيح إنسان فقط ؟ إن إعتقدنا أنه إنسان فقط ــ ومهما قلنا أنه يتفوق بسموه الروحانى ــ جعلنا من المسيحية نوعاً من الفلسفة لا

غير، وأفقدناها طابعها الروحانى كحقيقة مطلقة. وإن كان المسيح ابن الله تظل المسيحية وحياً إلهياً. ولذا فبعد تفكير طويل وإستقصاء دقيق إنضممت نهائياً إلى جانب الرسل، وأجدنى أعترف للمسيح وأقول له مع رسوله بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحى !!»] ... **لكن لم يثبت سباتييه على هذا المعتقد بل تأثر بمذهب العقلانية وفلسفة هيجل Hegel ونزعته لإخضاع الدين لناموس العلم التجريبى**. فعاد وناقض نفسه بكتابه "فلسفة الدين حسب سيكولوجية التاريخ" أصدره سنة ١٨٩٦. فأصبح المسيح حسب مفهومه [رائداً كبيراً من رواد البشرية ونبياً عظيماً يقود البشر إلى الله ... ظهرت فيه أصفى صورة للإنسان المثالى الذى تلألأت فيه روح الله ...]. ولأجل ذلك دعى سباتييه بحق أنه شيخ المحدثين.

* **أما أدولف هرناك** فقد اعترف فى أول أمره بأن المسيح [كان الطريق الوسيط الأوحد إلى الله والمحامى والديان العادل للبشرية ... لم يعرف قبله أحد الله مثلما عرفه هو. وقد كشف تلك المعرفة للبشر وأدى لهم بذلك أكبر خدمة. لقد قادهم إلى الله لا بالقول فقط بل بالمثل فيما كان وفيما عمل وفيما تألم] ... **غير أن هرناك عاد كزميله سباتييه تأثر بفلسفة هيجل Hegel** وحسب المسيح رائداً للبشرية وأكبر حلقة فى سلسلة الأنبياء أو قادة الفكر والروح وليس غير.

* **وثمة مدرستان فى مذهب المحدثين :**

(أ) المدرسة النقدية : وترفع من قدر المسيح وتعترف بفضائله

والخوارق التى ذكرها الإنجيل لكنها تحط من قدر رسله وتلاميذه الذين ألهوه ، ومن قادة المدرسة النقدية المبرزين **رينان Renan الفرنسى** .

(ب) المدرسة الأسطورية : وهى عكس الأولى تحط من قدر المسيح وتحسبه أسطورة من أساطير التاريخ ، وترفع من شأن التلاميذ وتجعلهم رجال فكر وتصوف إستطاعوا أن يخترعوا شخصاً كالمسيح ليصير موضع تفكيرهم وأحلامهم ومن قادة هذه المدرسة الألمانى ستراوس Strauss .

ورداً على مزاعم قادة حركة المدرسة النقدية التى تزعمها رينان نقول أنها لا ترتكز على الواقع التاريخى . فالتلاميذ لم ينسبوا الألوهة للمسيح لكنه هو الذى أعلن ذلك وأيد صحة أقواله بالمعجزات الخارقـة . ولم يسبق أن اليّهود ألهوا نبياً من أنبيائهم ، وإلاً لكان موسى كليم الله هو أولى بذلك . وكيف إتفق التلاميذ على هذا الرأى لو لم يكن الأمر حقيقياً . **ومما يثبت زيف هذه المدرسة النقدية أن رينان Renan نفسه ناقض ذاته أكثر من مرة وفى أكثر من موضوع فى كتابه الشهير " حياة يسوع ". فبعد أن نفى عن المسيح الألوهة نفياً باتاً عاد واعترف مضطراً بقداسة الرب يسوع وصدقه وإخلاصه بل وألوهته نفسها** . فبينما كان يستعرض قصة السامرية وكلمات الرب لها : « تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ... الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » . هنا لم يتمالك رينان نفسه فيقول : [**حقاً بدا يسوع هنا ابن الله ، لأنه نطق لأول مرة بالكلمة التى يرسخ عليها أساس الدين الخالد . لقد**

وطد أساس العبادة النقية التى تتسامى فوق الأزمان والأوطان، والتى سوف تتمرس بها النفوس الرفيعة إلى منتهى الدهر. وقد أصبح دينه منذ ذلك الوقت ــ لا دين البشرية وحسب بل الدين على الاطلاق. وإن يكن ثمة كواكب آهلة بأناس ذوى عقول وأخلاق بخلاف الأرض، فلا سبيل لهم أن يدينوا بدين يفوق سموا ذاك الدين الذى أعلنه يسوع المسيح على بئر يعقوب ... إن الدين الحقيقى يبقى أبداً من صنع يسوع المسيح وليس للبشر فيما بعد إلاَّ أن يشرحوا ما فاه به من مبادىء وتعاليم]. واعترف للمسيح بالقداسة المطلقة فقال: [سوف يبقى يسوع المسيح مبعث يقظة أخلاقية للبشر لا يخبو نورها لأن الفلسفة وحدها لا تكفى معظم البشر، فإنهم بحاجة إلى القداسة]. وقد رفع المسيح فوق موسى والأنبياء حينما قال: [لم يبن يسوع المسيح الدين على العرق والدم، بل على القلب ومنذ ذاك الحين فاق موسى] ... وبينما يستعرض آلام المسيح على الصليب قال: [ألاَّ أرقد الآن هانئاً فى مجدك يا دليلنا السامى إلى الله. أما الآن وقد تحررت من قيود الضعف ستشهد من أعالى مقرك الإلهى نتائج أعمالك اللامتناهية. إن العالم سيبقى مديناً لك إلى آلاف السنين ... سوف تبقى حياً محبوباً بعد موتك أكثر مما كنت فى حياتك على الأرض. سوف تبقى حجر الزاوية من البشرية بحيث يستحيل محو اسمك من العالم دون أن يتزعزع الكون وينهار. فيا قاهر الموت ألاَّ استلم زمام ملكوتك، حيث سبقك منذ الآن على الطريق الملوكى الذى شققته، آلاف من عبادك] ... إن هتافات من هذا النوع

تحوى أقوالاً متناقضة ، هى فى ذاتها دليل يفند مزاعم رينان ويظهر بطلانها ... وبنفس الطريقة يظهر بطلان مزاعم ستراوس زعيم المدرسة الأسطورية .

أما من جهة صلب المسيح فنقول هل ممكن أن تكون فكرة المسيح المصلوب من إختراع اليهود الذين آمنوا بالمسيح والتفوا حوله ؟ لقد ظل اليهود طوال أجيال يحلمون بمسيح زمنى يملك عليهم ويحطم تشامخ الشعوب عند أقدام إسرائيل ويعيد لهم مجدهم الغابر، فكيف إنقلبت الحال إلى هذا الحد ؟ إن كثيرين من اليهود لم يؤمنوا بالمسيح بسبب هذه النقطة ، لقد رأوه فى وداعة مخيباً لآمالهم السياسية ، ولهذا السبب فقد رفضوه ... ومن ناحية أخرى كيف إتفق إتمام النبوات فى العهد القديم كلها مع دقائق حياة المسيح وآلامه وصلبه وتوقيت ذلك ... أما القول بان المسيح شخصية أسطورية فإن وقائع التاريخ والأشخاص الوارد ذكرهم فى الأناجيل تدحض هذه الفرية وتكذبها ... **وإذا كان المسيح أسطورة ، أحاطها الرسل بكل ما يعظم صورة البطل ، فلماذا ذكروا كل نواحى المهانة لهذا البطل مثل ميلاده فى مذود للبهائم وهربه إلى مصر وأحزانه وآلامه وموته كمجرم وضعيف !!**

إن تاريخ المسيحية لا تفسره الأساطير . لكن هناك شخصاً حقيقياً ولد وعاش وقام برسالة روحية فى فترة محدودة من الزمن وفى مكان جغرافى معين يدعى يسوع المسيح . كان كاملاً من أى ناحية أتيته ... إجتمع فيه تواضع فى عظمة ، ووداعة فى جرأة ، وعفاف وطهر فى

مرونة وروح إجتماعية سمحة تقدميه فى حفظ للتقاليد، رفق ومحبة منقطعة النظير...

وقد جاهرت المدرسة الأسطورية بلسان أحد قادتها وهو الفريد لوازى Alfred Loisy أن المسيحية تأثرت بالديانات الوثنية السرية التى كانت منتشرة ببلاد الشرق الأدنى كمصر وسوريا وبلاد فارس وفريجية بآسيا الصغرى، حيث كانت طقوس العبادة تمثل على المسرح موت الآلهة وبعثهم تشجيعاً لضم أعضاء جدد لتلك الديانات من الراغبين فى البقاء والخلود. وهكذا تكون المسيحية نتاج الديانتين الأورفية Orphism والفيثاغورية المحدثة Neophythagorian وقد إتهموا بولس الرسول بأنه هو الذى نقل عن الوثنية هذه الأفكار، وأثر بدوره على بقية التلاميذ لكن معلوم أن بولس جاء متأخراً عن بقية تلاميذ الرب، هذا فضلاً عن أن بولس كان يحذر المؤمنين من الإشتراك فى الطقوس الوثنية ولو على سبيل المجاملة لأصدقائهم، ويعتبرها عبادة للشيطان. فيقول: «**لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين**. لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة. وأى إتفاق للمسيح مع بليعال. وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان» **(كورنثوس الثانية ٦: ١٤-١٦)**. ويقول أيضاً: «يا أحبائى **إهربوا من عبادة الأوثان» (كورنثوس الأولى ١٠: ١٤)**. وهو يمدح المؤمنين فى تسالونيكى قائلاً لهم: «لأنه من قبلكم قد أذيعت كلمة الرب ليس فى مكدونية وأخائية فقط بل فى كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئاً. لأنهم هم يخبرون عنا

أى دخول كان لنا إليكم **وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحى الحقيقى** » (تسالونيكى الأولى ١ : ٨، ٩) . وهو نفسه الذى كتب إلى الكورنثيين يقول : « **فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطاياكم حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب** » (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣، ٤) . وواضح من ذلك أن موضوع موت المسيح وقيامته قبله ممَنْ كانوا قبله — ولم يكن هو البادىء به — وأن هذا الأمر موافق لنبوءات الكتب المقدسة ، وأنه حدث تاريخى . لقد كان المؤمنون بالمسيح يزدادون بقبولهم المعمودية كسر مقدس ، وليس كما كان مألوفاً فى الديانات الوثنية السرية . يقول بولس الرسول لأهل رومية : « وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية . ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان » **(رومية ١٦ : ٢٥، ٢٦) . وكلمة سرّ هُنا هى باليونانية « مستيريون Mistirion » جاءت فى (دانيال ٢ : ١٨، ٢٧، ٣٠) ومعناها سرّ حكمة الله ، وسرّ تدبير الله . والقديس بولس إستخدمها بهذا المعنى ، أى سّر تدبير الله الذى أخفاه طويلاً والذى كان بعيداً عن أفهام البشر ، وكشفه لهم أخيراً بموت المسيح وقيامته ، وقد غدا الآن فى متناول الجميع حتى يجذبهم إلى طاعة الإيمان .**

ليس معنى وجود تشابه ما بين بعض الأفكار والمعتقدات المسيحية وبين بعض أفكار الديانات الوثنية السابقة لها ، إن

المسيحية **أخذت عنها بالضرورة**. فشتان ما بين مبادىء المسيحية وأفكارها ومعتقداتها وبين ما فى الوثنية ... **هذا فضلاً عن أن جوهر الديانات الوثنية السرية شهوانى دنس مثير للذة الحسية، وهو على النقيض تماماً من الطهارة المسيحية. والديانا الوثنية السرية ليست سوى مجموعة من الخرافات والأساطير.**

٦ هل من علاقة بين المسيح والأسينيين ؟

إدعى فردريك الثانى ملك بروسيا أن المسيح كان واحداً من الأسينيين، وكتب إلى صديقه الفيلسوف الفرنسى دالمبير فى سنة ١٧٧٠ يقول : [ليس يسوع سوى واحد من الأسينيين فهو مشبع من الروح الأخلاقية التى نجدها عند الأسينيين والتى تمت بصلة وثيقة إلى أخلاقيات زينون] . وبعده جاء **رينان المؤرخ والناقد الفرنسى** وقال فى سنة ١٨٦٣ : [ليست المسيحية سوى شكل من الأسينية قيض لها النجاح عل نطاق أوسع] ... **فمَنْ هم هؤلاء الأسينيين ؟**

تكلم الإنجيل عن بعض طوائف اليهود كالفريسيين والصدوقيين والهيرودسيين، لكن لم يرد أى ذكر أو إشارة إلى الأسينيين ... **أشار إليهم بلينى الكبير Pliny المؤرخ الوثنى فى كتابه "تاريخ الطبيعيات" فى وصفه لجغرافية فلسطين عندما عرض لموقع سكناهم بجوار البحر الميت شمالى « عين جدى » وكذلك فيلو الفيلسوف اليهودى الإسكندرى** فى مؤلفه " مشاكل العصر "، **ويوسيفوس المؤرخ**

اليهودى فى كتابه " حروب اليهود "، وجميعهم عاشوا فى القرن الأول الميلادى . لكن هذه الكتابات كانت مقتضبة إلى حد كبير . وفى سنة ١٨٩٧ إكتشفت وثيقة فى إحدى المدافن بالقاهرة عُرفت باسم **[وثيقة دمشق]** وكانت من كتابة الأسينيين ... لكنها لم تلق ضوءاً كبيراً على هؤلاء الأسينيين حتى اكتشفت **مخطوطات قمران فى الفترة من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٥٢** . ومن ضمن المكتشفات مخطوط اسمه **" سفر السلوك "** يحوى وصفاً شاملاً لنظامهم وعقائدهم . أما من جهة تسميتهم بالأسينيين Essenes ، فعلى أرجح الآراء فإنها تعنى (الأتقياء) .

كانت الفترة السابقة لظهور السيد المسيح من الفترات المحمومة : حروب وضوائق وإضطهاد وظلم وعنف وفقر مدقع وغنى متغطرس ، تدين ظاهرى ورجس فى الخفاء ... فى مثل هذه الظروف يتطلع الناس إلى العلاء من حيث يأتى العون ... **ولعل رواد هذه الجماعة أرادوا أن يطبقوا حرفياً قول إشعياء النبى : « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا »** (إشعياء ٤٠ : ٣) ، فاعتزلوا فى البرية أو القفر ... ولعل حافزهم الأكبر لتأسيس جماعتهم ما جاء بوثيقة دمشق السالفة الذكر : [لقد ضل شعب إسرائيل وتنكب سواء السبيل ونقض العهد مع الله ، لذلك قرر الله عهداً جديداً مع البقية الباقية من شعبه فأصبحت بموجبه شعب الله الجديد] .

أما الذى دفع البعض للقول بأن المسيح أخذ مبادءه من الأسينية فهى بعض التشابهات مثل :

١ - إختبار الشخص الذى يريد الإنضمام لفترة قد تطول إلى ثلاث

سنوات ، وهناك تعهد يتعهد به أمام الجماعة بالتزام الفضيلة والخضوع للجماعة وبذا يدخل فى عهد مع الله . وقد حاولوا أن يقيموا وجه الشبه بين هذه وبين نظام الموعوظين ثم حفل العماد .

٢ ـ كانت الإشتراكية مبدأهم حتى أنهم حرموا الملكية الشخصية .

٣ ـ كانوا ديموقراطيين ولم يكن بينهم خادم ومخدوم . وكان لهم مجلس من ١٢ عضواً منهم ثلاثة من الكهنة [قالوا إن تلاميذ المسيح ــ رسله ــ كانوا إثنا عشر وكان يقرب إليه منهم ثلاثة هم بطرس ويعقوب ويوحنا !!] .

٤ ـ كان عندهم وجبه طعام مقدس بعد أن يتطهروا بالماء البارد ــ وهى قاصرة على أعضاء الجماعة ــ تبدأ بصلاة بركة للكاهن وتنتهى بصلاة شكر ــ قالوا إنها أشبه بمائدة الإفخارستيا !!

٥ ـ كرس الأسينيون جزء كبيراً من وقتهم لدراسة الكتب المقدسة ، وإستبدلوا الذبائح الدموية بتسابيح الشفاه ، وغدا هيكل الله الحقيقى ليس هيكل أورشليم بل إجتماع الجماعة نفسها . وهذه الأفكار خطوة تحررية كبيرة شبيهة بتعاليم العهد الجديد . وكان لديهم حفلة دينية سنوية ذات طابع روحى خاص يجددون فيها العهد مع الله . **وهكذا تبدو جماعة الأسينين ليس فقط جماعة طقوس وعبادة على نحو ما كانت الجماعات اليهودية وقتذاك ، بل كمدرسة روحية تنشد الكمال .**

وإن كانت ثمة تشابهات بين المسيحية والأسينية ، لكن لا يعنى هذا بالضرورة أن المسيحية إستمدت تعاليمها منها . فالأسينيون كانوا يعلقون أهمية كبرى على الحفظ الحرفى للشريعة واستمرار الطقوس الخارجية شأنهم فى ذلك شأن الفريسيين على عكس المسيحية . وكان تقديسهم ليوم السبت بصورة حرفية قاسية ، حتى أنه إذا غرق إنسان فى حوض ماء فى يوم السبت فلا يجوز لأحد أن يخرجه بأية وسيلة — أين هذا من تعليم المسيح عن السبت والإنسان « السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت » (مرقس ٢ : ٢٧) — كانت الطهارة يستمدونها من الاغتسال بالماء ، وشتان بين هذا المفهوم المادى والمفهوم الذى قدمه المسيح للطهارة . إن محور تعليم المسيح هو طهارة القلب والداخل ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان » (متى ١٥ : ١-١١) . (انظر أيضاً تعليم السيد المسيح إلى سمعان الفريسى تعليقاً على إدانته المرأة الخاطئة فى فكره — لوقا ٧ : ٣٦-٥٠) .

كان الأسينيون ينتظرون مسيحاً [من هارون وإسرائيل يملك على عرش الدنيا ويقتل أعداءه بالسيف] — أين هذا من المسيح المتواضع الذى سبق وتنبأ عنه إشعياء (إشعياء ٤٢ : ١-٨) « لا يصيح ولا يسمع فى الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (انظر متى ١٢ : ١٨-٢٠) .

٦ - مؤسس الأسينية يدعى [المعلم العدل] وكان — بحسب

المخطوطات ــ يتحلى بفضائل سامية (عمق روحى ــ تفهمه لبشاعة الخطية ــ تواضعه العميق ــ تسليمه لمشيئة الله ــ شكره الدائم) .

وأهم من ذلك أنه ذكر عنه أنه أوحى إليه بقرب مجىء المسيح فبشر ونادى بذلك ــ لكن هناك فارق كبير بينه وبين المسيح ــ كان المعلم العدل كاهناً من ذرية صادوق الكاهن لكن المسيح من ذرية داود ــ كان المعلم العدل يتحاشى مجالسة الخطاة والأشرار على عكس المسيح ــ كان المعلم العدل يشعر بحاجته دوماً إلى التوبة بينما المسيح كان يقول : « مَنْ منكم يبكتنى على خطية » (يوحنا ٨ : ٤٦) .

ونحن نرى فى ظهور وقيام جماعة الأسينيين تدبيراً إلهياً لإعداد شعب إسرائيل لمجىء المسيح . كانت رسالتها تنحو نحو الروحانية ، ودعت إلى مسيح روحى أكثر منه زمنى ، وخلقت جواً روحياً . ونحن نرى فى أوجه الشبه الكائنة بين المسيحية وبعض الأديان القديمة التى سبقتها فى بعض النواحى ، أنها ليست سوى إعداد دبرته العناية الإلهية لتعد البشر لقبول المسيح المخلص ورسالته ... ورب سائل يتساءل قائلاً هل من تعامل بين العناية الإلهية وروح الله والشعوب غير المؤمنة ؟! ونحن نقول ما علينا إلاَّ أن نعود إلى بدء الخليقة وما كُتِبَ عنه فى الكتاب المقدس « فى البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة **وروح الله يرف** على وجه المياه » (سفر التكوين ١ : ١ ، ٢) .



لماذا المسيح.. ومن يكون؟

عقيدة المسيحيين فى المسيح .

حقيقة لاهوت المسيح .

أمثلة من النبوات التى تنبأت عن المسيح .

المسيح يتصف بجميع صفات الله .

المسيح يعمل جميع أعمال الله .

المسيح قبل السجود والتعبد له .

لماذا المسيح ... ومَنْ يكون ؟

والمقصود بالموضوع ، هل من داع للمسيح ؟ هل من لزوم له ؟ سنتحدث فى هذا الموضوع فى هذا الأسبوع والأسبوع القادم ، حتى نستطيع ــ بقدر ما يتسع الوقت ــ أن نوفى الموضوع حقه من الكلام ، على قدر إستطاعتنا ــ لا أقول فى الكلام ــ بل فى التركيز مع الإيجاز غير المخل .

أيها الإخوة الأحباء يا مَنْ دعيتم على اسم المسيح . و يا مَنْ أتيتم اليوم إلى بيته المقدس وتستمعون الآن إلى صوته . إن نفسى تصغر عندما أحاول الكلام عن شخص المسيح . إذ كيف يستطيع التراب والرماد لا أن يتكلم بل مجرد أن يدرك هذا السر العظيم الذى لتجسد ابن الله ، الذى يدعوه الرسول بولس « سر التقوى » (تيموثاوس الأولى ٣ : ١٦) . ولهذا السبب يقول الكاهن فى صلاة تقديس سر الإفخارستيا : « ووضع لنا هذا السر العظيم الذى للتقوى » وما ذلك إلاَّ لأنه يعطينا جسده . فنحن فى هذا السر نأخذ جسد المسيح .

إن شخصية المسيح هى شخصية مهابة ، يحوطها الإجلال والإكبار . ولم يحدث فى تاريخ العالم والبشرية أن التف حول زعيم مثل ما التف حوله من أتباع ، تعلقت به قلوبهم ورحبوا بالموت حباً فيه على أن ينكروه أو يتخلوا عن محبته . ولم يحدث أن شخصاً أحدث تغييرات فى العالم وفى نفوس البشر مثلما أحدث السيد المسيح بتعاليمه ... وفى الناحية المقابلة لم يحدث أن شخصاً جرد

عليه أعداؤه حملات مسعورة وشنوا عليه حروباً محمومة بالسيف والقلب ـــ دامت واستمرت ومازالت قائمة ـــ مثلما تعرض السيد المسيح وأتباعه ... إذن فنحن أمام شخصية عجيبة بحق ، و يتعين علينا دراسة كل ما يتعلق بها !! لكن لا يخفى أن الباطل دائماً محارب ، وأن الشخص الناجح له حساده العديدون الذين يكيدون له فى الظلام !! وها نحن نرى المسيح منذ ولادته ومجيئه إلى عالمنا ، يكيد له اليهود . والمسيحية منذ نشأتها وظهورها صارت هدفاً لهجمات وانتقادات ومقاومات ـــ قديماً من اليهود والعالم الوثنى ، وحالياً من المعاصرين . فالمسيح وهو بعد جنين فى أحشاء أمه العذراء مريم ثارت شكوك حولها . حتى أن القديس يوسف خطيبها اعتزم على تخليتها سراً لما عاين آثار الحبل دون أن يقربها (متى ١ : ١٩) ... وما أن وُلِدَ المسيح حتى هاج هيرودس ملك اليهود وصمم على قتله وإذ أوحى إلى المجوس ـــ الذين أتوا من بلاد المشرق ليسجدوا للمسيح الطفل و يقدموا له هدايا ـــ ألاَّ يعودوا إليه ليخبروه بمكان مولده ، قتل كل صبيان بيت لحم ، حيث ولد المسيح حتى يضمن أن لا يفلت هذا الطفل يسوع من قبضته (متى ٢ : ١٢ ، ١٦) ، ثم هرب المسيح إلى مصر محمولاً بواسطة مريم وخطيبها . وتغرب بها متنقلاً بين أرجائها حتى مات هيرودس . فعاد ، إلى أرض اليهودية بإعلان ملاك الرب ليوسف (متى ٢ : ١٩ - ٢١) . ثم ما تلى ذلك من مقاومات وتكتلات إنتهت بصلبه وموته . ثم ما لحق بدعاة المسيحية وأتباعها من أهوال وحشية خضبت بدمائهم أديم المسكونة .

لعلنا نعجب لهذا يا أحبائى ؟! ولماذا كل هذا العداء ، ولماذا كل هذه المقاومة ، التى بلا أدنى سبب مقبول !! على أن المرتل رأى بروح النبوة كل ذلك فهتف قائلاً : « **لماذا إرتجت الأمم وتفكرت الشعوب فى الباطل قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع أغلالهما ونطرح عنا نيرهما** » (مزمور ٢ : ١-٣) . لكن حيرة المرتل لم تستمر طويلاً ، ولم يظل سؤاله دون جواب فقد تلقى الجواب من الله وسجله . قال بعد ذلك مباشرة : « **الساكن فى السماء يضحك منهم والرب يستهزىء بهم . حينئذٍ يكلمهم بغضبه وبرجزه يقلقهم . إنى مسحت ملكاً منه على صهيون جبل قدسى ، لأخبر بأمر الرب . الرب قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . إسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وسلطانك إلى أقاصى الأرض لترعاهم بقضيب من حديد . ومثل آنية الفخار تسحقهم . الآن أيها الملوك إفهموا وتأدبوا يا جميع قضاة الأرض . إعبدوا الرب بخشية ، هللوا له برعدة . الزموا الأدب لئلا يغضب الرب ، فتضلوا عن سبيل الحق » (مزمور ٢) .**

وإذا أردنا أن نوفى هذا الموضوع حقه من الكلام ، نحتاج إلى سلسلة متكاملة من المحاضرات تدور حول هذا الموضوع ، الذى هو بلا شك بمثابة القلب فى الديانة المسيحية . لكننا بقدر ما تسمح به الفرصة فى آحاد هذا الصوم المقدس ، نحاول أن نوجز ونركز .

لماذا المسيح ..؟

هل كان البشر بحاجة حقاً إلى المسيح ؟ نقول إجابة على السؤال نعم ... ولأسباب ثلاثة على الأقل :

الفداء والخلاص :

لما سقط الإنسان فى المعصية وطرد من الفردوس محكوماً عليه بالموت ، بدأ يظهر الندم وعبر عن ذلك بالاعتراف والصلوات وتقديم الذبائح ... **ومعنى الذبيحة التى قدمها الإنسان أنه أحس بحاجته إلى فادى ... هذا الفادى كان دوره هو دور الوسيط بينه وبين الله .** لكنه كان مستحيلاً أن يكون الحيوان وسيطاً بين الإنسان والله . لأنه يفترض فى الوسيط أن يكون فى مكانة أسمى وأرفع من الإنسان ، وله دالة عند الله . وهكذا أدرك آدم وذريته أنهم بحاجة إلى وسيط لم يأتِ زمانه بعد ... **وما الذبائح التى كانت تقدم باستمرار إلاّ مجرد تذكرة للإنسان بحاجته إلى هذا الوسيط بالذات ،** الذى أُعطى آدم عنه وعداً أن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تكوين ٣ : ١٥) ... ونسل المرأة هو المسيح الذى لم يأتِ بطريقة طبيعية كسائر البشر ، عن طريق زواج رجل بامرأة . **وحتى لا ينسى الإنسان حاجته إلى هذا الوسيط أمرت الشريعة بتقديم الذبائح .** وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول : « لأنه لا يمكن أن دم

ثيران وتيوس يرفع الخطايا ... لأن الناموس ... لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون » (عبرانيين ١٠ : ٤،١) . « لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا » ، ومع ذلك إستمروا يقدمونها ، **للتذكرة الدائمة المتكررة أن الإنسان بحاجة لا إلى وسيط ، بل إلى هذا الوسيط ، الذى كانت ترمز إليه هذه الذبائح الدموية .**

كانت الذبائح التى أمرت بها شريعة العهد القديم فى جملتها ترمز إلى ذبيحة المسيح الذى أتى وقدم ذاته « ليبطل الخطية بذبيحة نفسه » (عبرانيين ٩ : ٢٦) . هكذا آتى المسيح من أجل فداء الإنسان ... **ومعنى الفداء أن هناك وسيطاً ينقذ آخر. بهذا المعنى كان المسيح وسيطاً وفادياً** « الرب وضع عليه إثم جميعنا » (إشعياء ٥٣ : ٦) ... « لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار ... الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رومية ٥ : ٦،٨) ... « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » (يوحنا ١٥ : ١٣) .

لكن يقول قائل : ألم يكن ممكناً أن الله يرحم الإنسان ويخلصه ويفديه بكلمة واحدة من فيه دون أن يلجأ إلى أن يأخذ جسداً بشرياً ويتألم ويُصلب ويموت ؟! والرد على هذا ، أن فداء الإنسان ورحمته بكلمة واحدة من الله يتعارض مع إحترامه لعدله ، والحكم الذى نطق به للإنسان الأول « موتاً تموت » (تكوين ٢ : ١٧) . إن الله يحترم كلمته ، والحكم الذى صدر منه . فالسماء والأرض تزولان أيسر من أن

تسقط كلمة واحدة أو حرف واحد مما نطق به الله (متى ٢٤ : ٣٥ ؛ مرقس ١٣ : ٣١ ؛ لوقا ٢١ : ٣٣) .

من هنا كان الحل الوحيد هو أن يأخذ الله صورة الإنسان ويتخذ شكله محتجباً فى جسد ، ويقبل فى هذا الجسد نفس الحكم الصادر على الإنسان ... وفى هذا كل الرحمة وكل العدل ... كل الرحمة لأنه ليس حب أعظم ، ولا رحمة أوسع من أن يقبل الله على ذاته القدوسة أن يتخذ له جسداً ترابياً ويقبل فيه كل صنوف الضعف والهوان والمذلة والألم والصلب والموت ... **وكل العدل** لأن ليس أدل على هذه العدالة المطلقة من أن يقبل على نفسه تنفيذ الحكم الذى أصدره هو بنفسه على الإنسان ، ولا شك أن فى قبول الله ذلك معنى العدالة واحترام الحكم الصادر منه على الإنسان ، حتى أنه لما لم يجد ما يصلح أن يكون بديلاً للإنسان المذنب ، قام هو بنفسه بتنفيذ هذا الحكم فى جسده الذى اتخذه .

وخلاصة القول يا أحبائى أن الفداء كان ضرورة . والخلاص بالصورة التى تم بها بالصليب كان ضرورة . ولو كان هناك طريق آخر غير هذا لما كان هناك داع لذلك . أو بحسب تعبير القديس بولس الرسول : « **فالمسيح إذن مات بلا سبب** » (غلاطية ٢ : ٢١) أى بدون داع ... هكذا نفهم كلمات القديس بولس الرسول عن المسيح كالوسيط الوحيد « **لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع** » (تيموثاوس الأولى ٢ : ٥ ، ٦) . ولعلنا نلاحظ هنا أن الرسول يقول :

« **الإنسان يسوع المسيح** » . وهذا التعبير لتأكيد المفهوم أن المسيح له المجد إقتبل الآلام فى جسده ، وأتم الفداء حينما قبل بإرادته أن ينفذ العقوبة فى جسده أيضاً . هذه أول نقطة عن لماذا المسيح وننتقل إلى نقطة ثانية على جانب كبير جداً من الأهمية هى تجديد الخليقة .

تجديد الخليقة

منذ مخالفة الإنسان الأول آدم عرف الشر طريقه إلى البشرية كلها . وظل يتفاقم ويستشرى جيلاً بعد جيل . وكانت النتيجة ما نراها الآن ماثلة أمام عيوننا من خراب ودمار وصراعات أصابت البشرية فى كل مكان ، سواء على مستوى الأفراد أو الشعوب . **تشوهت صورة الإنسان الذى خُلِقَ يوماً على صورة الله فى البرّ وقداسة الحق (أفسس ٤ : ٢٤) . وسيطر على هذا الإنسان مرض اسمه الشر !! فماذا فعل** الإنسان لعلاج هذا الشر ، وماذا فعل هذا الإنسان ليجتث جذور هذا الشر ؟ . بطبيعة الحال لم يقف الإنسان مكتوف اليدين أمام الشر . **فلقد** بذل ـــ ومازال يبذل ـــ جهوداً مضنية من أجل علاجه والبرء منه . فأوجد الشرطة (البوليس) والقضاء والسجون والمستشفيات لهذا المغرض . أوجد الشرطة والسجون لكى يهابها ويخشاها ويرتعب منها الأشرار . **لكن كل النتائج التى وصلوا إليها تؤكد أنهم فى حكم الفشل فى علاج المصابين بالشر.** وضعوا قوانين للعقوبات واستحدثوا التشريعات **... لكن العقاب لم ولن يستأصل الشر. ومهما كان العقاب مخيفاً**

ورهيباً كالإعدام العلنى وقطع بعض أطراف الجسم مثلاً ، فإن ذلك لم ولن يستأصل الشر. ربما كان العقاب العنيف رادعاً للبعض ، فتختفى بعض الجرائم ، لكن الشر يظل كامناً داخل الإنسان. يتوقف الإنسان عن أقتراف جريمة يعاقب عليها القانون ليرتكب جرائم مستحدثة لم يضع القانون لها عقوبات لحداثة نوعيتها !! وكأنهم يحاورون الدولة والقانون ... لماذا ؟ لأن الشر موجود داخلهم. ولا يوجد شيء يستطيع أن يقوم مقام ضمير الإنسان حتى لو عينوا حارساً يقف إلى جوار كل إنسان !!

لقد ظن بعض الفلاسفة والمصلحين الإجتماعيين فى القرن الثامن عشر أن علاج المشاكل الإجتماعية كالفقر مثلاً ، سوف يؤدى إلى إختفاء الجرائم تماماً. لكن على نحو ما نرى اليوم ، فإن الشر يتزايد بقدر ما تتزايد جهود المصلحين !! فما السر فى هذا الفشل ؟! السر فى فشل القوانين الوضعية فى إستئصال الشر، أن الشر كامن داخل الإنسان ، ولا يمكن إنتزاعه بالقوة المادية. فالشر يصيب كل قوى الإنسان الروحية والفكرية وحتى الجسدية ... وكل المحاولات الحسية والمادية لاستئصاله ، والقضاء عليه هى أشبه بمحاولة علاج مرض عضوى كالحمى مثلاً بالعقل والحوار والمنطق !! لا علاج لهذا المرض العضوى إلاَّ باستئصال أسباب هذا المرض.

أيها الإخوة الأحباء. إن جميع الأديان غير المسيحية بلا إستثناء علمت أن قهر الخطيئة هو فى طاعة الله ، وحفظ أحكامه وشرائعه.

والتدين السليم عن هذه الأديان يتمثل فى سعى الإنسان نحو الله . لكن المسيحية تعلم غير ذلك هى ترى أن الخطية والشر هما مرض الروح ، وأن الإنسان بدون الله مريض ولقد أتى المسيح إلى البشرية كالطبيب الحقيقى الوحيد ولعلنا نذكر كلمات المسيح : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (متى ٩ : ١٢ ؛ مرقس ٢ : ١٧ ؛ لوقا ٥ : ٣١) ... حين ذهب إلى مريض بيت حسدا ، كان سؤاله : « أتريد أن تبرأ » (يوحنا ٥ : ٦) . فالإنسان بدون الله مريض ، ويحتاج إلى الطبيب . من أجل هذا جاء ربنا يسوع المسيح الطبيب الحقيقى إليه . جاء الطبيب إلى المريض يسعى إليه دون أن يطلبه « وجدت مَنْ الذين لم يطلبونى ، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى » (رومية ١٠ : ٢) .. فى معجزة تفتيح عينى المولود أعمى نلاحظ أن هذا الإنسان لم يطلب من المسيح أن يشفيه ، لكن المسيح هو الذى تقدم نحوه ليشفيه مؤكداً أن ذلك الرجل ولد بهذه العلة « لكى تظهر أعمال الله فيه » (يوحنا ٩ : ٣) . كان هذا الرجل مريضاً بمرض عضوى . ولدينا مثل آخر لإنسان كان مريضاً بمرض روحى وسعى إليه المسيح دون أن يطلبه كان هذا الإنسان هو زكا . زكا لم يطلب من المسيح شيئاً ولا حتى دنا منه ، لكن المسيح هو الذى كلمه ، قائلاً له : « يا زكا إسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك » أسرع الرجل وقبل المسيح فرحاً فى بيته . وفى نهاية ذلك اللقاء يقول المسيح : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلّص ما قد هلك » (لوقا ١٩ : ١-١٠) . هكذا يظهر لنا

السيد المسيح من خلال معاملاته مع المولود أعمى وزكا سعى الله نحو الإنسان ليشفيه ويعافيه وينقذه من كل وجه ...

يا أحبائى ... إن البشرية بكل شرورها تشابه إنساناً ينزف دماً غزيراً ويحتاج على الفور إلى نقل دم ، ومن نفس فصيلة دم هذا المريض لكى يستمر حياً .

فماذا كانت طريقة الله فى العلاج ؟

ماذا كانت طريقة الله لعلاج الإنسان المريض الذى شوه الشر صورته الأولى ؟ **كإعداد للعلاج الحقيقى والناجح ، أرسل الله الأنبياء** « أنت الذى أرسلت لى الأنبياء من أجلى أنا المريض » (القداس الغريغورى) ... **أرسل الله الأنبياء لكى ما يهيئوا البشرية ويعدوها لمجىء المخلّص الحقيقى ربنا يسوع المسيح**. ولقد نجح الأنبياء فى شىء واحد ... **نجحوا فى تشخيص مرض البشرية وتعريفهم بعظم خطاياهم وبشاعتها وسوء أحوالها**. هذا هو كل ما إستطاعوا أن يعملوه . والحقيقة أن وصايا الله كانت معروفة لدى البشر ، وكانوا يحفظونها ، لكنهم كانوا فى حالة عجز تام عن الإستفادة منها !! ويقول القديس بولس الرسول فى ذلك : **« لأن بالناموس معرفة الخطية »** (رومية ٣ : ٢٠) ... **« وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية »** (رومية ٥ : ٢٠) . والناموس فى هذه الحالة يشبه المرآة التى تظهر للإنسان صورته وما بها من عيوب ، لكن لا قدر لها على إصلاح هذه العيوب . نعم كانت وصايا الله موجودة لدى البشر وكانوا على علم بها

بل كانوا يحفظونها . فالشاب الغنى الذى ركض نحو المسيح يسأله فى لهفة عما يعمل ليرث الحياة الأبدية ، لما علم بأن عليه أن يحفظ الوصايا أجاب : « هذه كلها حفظتها منذ حداثتى » ، ومع ذلك فقد كان حفظه للوصايا حفظاً تلقينياً لم يستطع أن يغيّر من حياته . إذ لما نصحه المسيح بأن يوزع أمواله على الفقراء « مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة » (متى ١٩ : ١٦ - ٢٢ ؛ مرقس ١٠ : ١٧ - ٢٢ ؛ لوقا ١٨ : ١٨ - ٢٢) .

على أنه لا ينبغى أن يفهم من قول الرسول بولس : « لأن بالناموس معرفة الخطية ... وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية » . ان المشكلة كانت فى الناموس والوصايا الإلهية . فنفس الرسول بولس يقول : « **هل الناموس خطية . حاشا** . بل لم أعرف الخطية إلاَّ بالناموس ... **إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة** » (**رومية ٧ : ٧، ١٢**) . **لكن المشكلة الحقيقية هى فى مدخل الإنسان، وفى عجزه عن إتيان الصلاح** . يقول معلمنا بولس : « فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية لأنى لست أعرف ما أنا أفعله . إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فإياه أفعل ... فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىَّ أى فى جسدى شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل . **فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىَّ ... أرى ناموساً آخراً فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . وَيْحِى أنا الإنسان الشقى .**

مَنْ ينقذنى من جسد هذا الموت » (رومة ٧ : ١٤-٢٤) .

أيها الإخوة هذه هى مأساة البشرية !! فلدينا كتب جميع الأنبياء التى تشخص المرض ، لكننا نحتاج إلى العلاج . كيف نقهر الشر فينا ؟! ولا يفوتنا أن نذكر أنه ليس بدون حكمة قد سجل الكتاب المقدس سير هؤلاء الأنبياء ، وضمنها أخطاءهم ... إنهم بشر كسائر البشر يخطئون ... **وعلى الرغم من الرسالة المقدسة التى قام بها هؤلاء الأنبياء ، لكن تكرار ظهور الأنبياء ــ فى حد ذاته ــ كان يعنى أن البشرية تحتاج إلى شىء أقوى من مجرد رسالات هؤلاء الأنبياء الشفوية والمكتوبة ... كانت تحتاج إلى الله ذاته !!**

ولقد تنبأ عن **ذلك** ارميا النبى فقال : « ها أيام تأتى يقول الرب ، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً**. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر ، حين نقضوا عهدى ، فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب . **أجعل شريعتى فى داخلهم ، وأكتبها على قلوبهم** وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً » (ارميا ٣١ : ٣١-٣٣) ... **ونلاحظ كلام السيد الرب عن هذا العهد الجديد ، إنه يجعل شريعته فى داخل البشر ، ويكتبها على قلوبهم !!. كانت شريعة الله قديماً مجرد نواهى ووصايا من الخارج ، أما بالمسيح وفيه فقد تجددت طبيعة الخليقة ، وصارت الشريعة والوصية ليست شيئاً مفروضاً من الخارج بل مكتوبة على القلب من**

الداخل ... وهنا تظهر إمكانية حياة القداسة وغلبة الشر فى العهد الجديد ، عهد النعمة ... وإلى ذلك أشار بولس الرسول فى (عبرانيين ٨ : ٨-١٠) مقتبساً نفس كلمات ارميا النبى .

وفى عظة السيد المسيح على الجبل ، نلاحظ قوله : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . ومَنْ قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ... قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ... وقيل مَنْ طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم إن مَنْ طلق امرأته إلاَّ لعلة الزنى يجعلها تزنى . ومَنْ يتزوج مطلقة فإنه يزنى . أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة ... سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ... سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم (متى ٥) ... لقد قال السيد المسيح كل هذه التعاليم بعد أن قال : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (متى ٥ : ١٧ ، ١٨) ... معنى هذا الكلام أن شريعة العهد القديم كانت صالحة لبناء الإنسان

والقوية ، لكن الإنسان بطبيعته التى أفسدتها الخطية ما كان يستطيع أن يحيا حياة الكمال الإنجيلى . ومن أجل هذا راعى الله ظروف الإنسان القديم . لكن المسيح أتى ليجدد طبيعة البشر، حتى ما يستطيعوا أن يحيوا حياة الكمال النسبى (الكمال الإنسانى) .

هكذا جاء الله إلينا فى المسيح يسوع عندما حل فى أحشاء البتول العذراء الطاهرة مريم ، وأخذ منها جسداً ، ووُلِدَ مثل سائر البشر ... فى المسيح يسوع حدث إتحاد بين كل ما لله (اللاهوت) بكل ما للإنسان أى الجسد والنفس . وعندما اتخذ الله له جسد ، جعل قوة الحياة الإلهية تتحــد بهذا الجسد إتحاداً كاملاً ، « الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده » (يوحنا ١ : ١٤) . لقد إتحد الله بكل ما للطبيعة البشرية ـــ ما خلا الخطية (الخطية شىء دخيل على الإنسان . والخطية ليست من صنع الله ولكنها من صنع الإنسان) . كان هذا الاتحاد ـــ إتحاد اللاهوت بالطبيعة الإنسانية ـــ هو أهم إعلانات الله عن محبته للإنسان محبة فائقة المعرفة . لأنه إرتضى أن يتحد بالعنصر الإنسانى ، بكل ما فيه من جسد ونفس . وعندما إتحد اللاهوت بطبيعتنا البشرية ، إكتسبت هذه الطبيعة خواص جديدة . يقول القداس الغريغورى : « لكن وضعت ذاتك وأخذت شكل العبد .. وباركت طبيعتى فيك ، وأكملت ناموسك عنى . أريتنى القيام من سقطتى ... أزلت لعنة الناموس . أبطلت الخطية بالجسد . أريتنى قوة سلطانك ... أنهضت الطبيعة بالكلمة » ... ولما حدث هذا الإتحاد وصار جسد ابن الله حياً ، وقهر الموت بالقيامة ، أصبح كل مَنْ يريد أن يحصل

على حياة جديدة ، عليه أن يتحد به فى المعمودية ، لينال التجديد والقيامة ، ويتحد به سرياً فى الأفخارستيا (التناول المقدس) فيعطى عناصر الحياة وعدم الفساد والقيامة من الموت . وبذا تتم كلمات القديس بطرس عن الإنسان ، أنه يصير شريك الطبيعة الإلهية (بطرس الثانية ١ : ٤) . أو كما تقول ثاؤطوكية الجمعة فى الأبصلمودية السنوية المقدسة : « هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له ، نسبحه ونمجده ونزيده علواً » . أخذ الجسد وأعطانا بركات الطبيعة الإلهية .

يا أحبائى هذه هى الطريقة الوحيدة لعودة الإنسان إلى الله بتجديد طبيعته وهذه العودة ليست مثل عودة الإنسان فى الأزمنة السابقة بالتوبة وإطاعة الوصية ، بل هى عودة فيها إقتراب الله من الإنسان ، وإتحاده به لعلاج الفساد الذى أصاب الطبيعة الإنسانية .

ولنلاحظ هنا ، أن الدور الذى قام به المسيح لم يكن كدور موسى مثلاً وباقى الأنبياء . فلقد جاء بعلاقة جديدة لايمكن للشر أن يهددها أو يقصمها ولا تقوى الخطية عليها ... وفى ذلك يقول القديس بولس : «لأن الخطية ليست مثل النعمة» (رومية ٥ : ١٥) ... يقول القديس كيرلس الكبير: [إن الطبيعة الإنسانية أسرت وصارت فى قبضة الموت ، وساد عليها الفساد ، لذلك فمن الضرورى لكى تقوم علاقة جديدة لا يهددها الفساد ، أن يتم لقاء بين الله والإنسان تجد فيه المشاكل القائمة بين الاثنين حلها النهائى والأخير.

فكان الحل الإلهى . لأن المبادرة بيد الصالح وحده ، أن يأخذ لنفسه جسداً من هذ الطبيعة الفاسدة ، ويجعله واحداً مع لاهوته ، فى إتحاد لا إنفصال فيه أو إختلاط مثل إتحاد النار بالحديد] .

وأود قبل أن أنتقل من هذه النقطة إلى غيرها فى هذا الموضوع ، أن أجيب على بعض التساؤلات والاعتراضات ، التى قد تعرض للعقل البشرى ...

• كيف يستطيع الله غير المحدود أن يسكن فى الإنسان المحدود ؟

• وكيف يتحد الله القدوس الفائق السمو بالإنسان الدنىء الخاطىء ؟

• وكيف يستطيع البشر أن يروا الله الذى لا يُرى ؟

• الله غير المحدود وكيف يسكن فى الإنسان المحدود ؟ ...

حقيقة أن الله غير محدود ، لكنه يمكنه أن يحل فى كل البشر ، و يظل هو الله غير المحدود . **نضرب مثلاً** من الهواء الذى يغلف الكرة الأرضية كلها ... هذا الهواء نفسه موجود فى رئات البشر . وعن طريقه يتنفسون سواء فى اليقظة أو النوم لكن وجود الهواء فى رئات البشر ، لا يمكن أن يكون هو مالئاً لكل الغلاف الجوى للأرض . **مثال آخر .** أوانى كثيرة فارغة تضعها فى مياه بحر أو مياه محيط . إنها جميعها تمتلىء بالماء ، ومع ذلك يظل الماء يملأ الماء من البحر أو المحيط ويحيط بتلك الأوانى . هكذا الله يمكن أن يسكن فينا ، وفى نفس الوقت يكون مالئاً لكل مكان لأنه غير محدود .

• نأتى إلى السخرية من إتحاد المسيح بالطبيعة الإنسانية الدنيئة ... يقولون إن الإنسان يأكل و يشرب ويمارس عمليات الإخراج (التبرز والتبول) ... إلخ . فكيف يتحد الله بمثل هذه الطبيعة الإنسانية ، وكأن هذا الأمر إهانة لله وطبيعته ؟! ونحن نقول إن ممارسة الإنسان للأكل الشرب وعمليات إخراج البول والبراز ليست دليلاً على الدناءة ... وبالتالى لا تعتبر خطية ... أليس جسد الإنسان هو من صنع الله ؟ فهل يخلق الله شيئاً حقيراً دنيئاً ؟. الله الكامل خلق كل شىء كاملاً وطاهراً ومقدساً وبعد ما أكمل الله خلقه الإنسان فى اليوم السادس يذكر الكتاب المقدس هذه العبارة « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً » (تكوين ١ : ٣١) . ومن جهة أخرى كيف يغفل هؤلاء المعترضون ما فى الإنسان من أجهزة غاية فى الدقة والسمو والتعقيد ، كالمخ والجهاز العصبى والدورى والتنفسى ، ليذكروا فقط عمليات الإخراج ؟!

• أما عن إمكانية رؤية الله نقول حقيقة أن الكتاب المقدس يقول : « الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (تيموثاوس الأولى ٦ : ١٦) . وقال الله لموسى قديماً : « لأن الإنسان لا يرانى و يعيش » (خروج ٣٣ : ٢٠) . كيف بعد هذا يُقال أن المسيح هو الله ورآه كل الناس ؟!! وجوابنا على ذلك أن الكلام فى كلتا الآيتين عن رؤية اللاهوت مجرداً . وهذا بطبيعة الحال أمر مستحيل . لذا حينما أراد الله أن ينزل إلى البشر ليتمم عملية الفداء ويصبح عمانوئيل (= الله معنا) ، كان لابد أن يأخذ جسداً يخفى به هذا اللاهوت ... هذا من

ناحية ، ومن ناحية أخرى نقول لماذا يحتجب الله عن البشر ، ويحدثهم من خلال الأنبياء فقط . إن مثل هذا الإله هو إله أرستقراطى ، إختار له صفوة من البشر هم الأنبياء يتحدث معهم و يكشف لهم أسراره و يترك البشر يعيشون على ما يعلنه لهم هؤلاء الأنبياء . كان إختيار الله للوحى للتعريف عنه سواء بواسطة الأنبياء أو الكتب المقدسة إنما هو بمثابة تمهيد للإعلان الأكبر والأكمل عندما يحل بيننا ، و يصير كواحد من البشر ، و يصبح عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا .

قدم للبشرية مثلا للكمال الإنسانى

وهذه تعتبر نقطة ثانوية بالقياس إلى النقطتين الأولى والثانية . **أتى المسيح لكى يقدم للبشرية مثلاً للكمال الإنسانى . ولكى ما يعرّفهم ويسلّمهم تسليماً أن هذا الكمال الإنسانى ــ الذى يُسمى الكمال النسبى بالنسبة لكمال الله المطلق ــ إنما هو شىء ممكن .** كمالات الله وكمال الفضيلة الإنسانى كانا منذ القديم معروفين للإنسان معرفة نظرية عن طريق الكتب المقدسة . لكن أمكن للإنسان فى العهد الجديد وفى شخص المسيح أن يعرف صفات الله وكمالاته معرفة مباشرة فى المسيح ، الذى هو صورة الله غير المنظور (كولوسى ١ : ١٥) ... « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر » (يوحنا ١ : ١٨) . **لقد علّم السيد المسيح الفضيلة بشخصه وليس بكلامه كما فعل كل المعلمين الذين سبقوه . عاش بالجسد كاملاً حياة**

الكمال الإنسانى ، لكى مايثبت للإنسان أن هذا الكمال النسبى أو الكمال الإنسانى فى إستطاعته أن يحياه . وقدم ذاته كاملاً فى كل سيرة متحدياً مقاوميه . هؤلاء المقاومين الذين حاولوا فى كل مناسبة أن يصطادوه ولو بكلمة (لوقا ١١ : ٥٤) . تحدى هؤلاء المغرضين الأشرار أن يثبتوا عليه خطية « مَنْ منكم يبكتنى على خطية » (يوحنا ٨ : ٤٦) . وهكذا ترك لنا المسيح مثالاً لكى نتبع خطواته (رسالة بطرس الأولى ٢ : ٢١) . كل ذلك دعا القديس أوغسطينوس لأن يهتف و يقول : [مباركة هى خطية آدم التى جلبت للإنسان كل هذا الخير] ... ومعنى هذه الكلمات أنه لولا خطية آدم وما ترتب عليها ، وما نتج عنها ، لما أتى المسيح إلينا ولبس جسدنا الترابى ، وعاش بين البشر كواحد منهم ...!!

تكلمنا فيما سبق عن السؤال الذى طرحناه « لماذا المسيح » ، **والآن ننتقل للإجابة على الشطر الثانى من السؤال « مَنْ يكون المسيح » .**

أولا : عقيدة المسيحيين فى المسيح

ما هى عقيدتنا نحن المسيحيين فى المسيح ؟

١ - يؤمن المسيحيون منذ أن قامت المسيحية وحتى اليوم أن المسيح هو « ابن الله الحى » « ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية

فيلبس سأل تلاميذه قائلاً : مَنْ يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان . فقالوا قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء . **قال لهم وأنتم مَنْ تقولون إنى أنا .** فأجاب سمعان بطرس وقال **أنت هو المسيح ابن الله الحى .** فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان ابن يونا . **إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبى الذى فى السموات .** وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس ، **وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ،** وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٣-١٨) ... **ومعنى تعليق المسيح على إجابة بطرس أن حقيقة لاهوت المسيح يخفيها ناسوته ... فالناظر إلى المسيح لا يرى فيه إلاَّ إنساناً . أما كونه « ابن الله الحى » فهذا أمر جاء نتيجة إعلان الآب السماوى** أى أنك لم تحضر هذا الكلام من عندك وواضح من الكلام أن الصخرة التى يشير إليها المسيح أنه يبنى عليها كنيسته هى المسيح نفسه هذا ما أوضحه القديس بولس « الصخرة هى المسيح » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٤) . ويقول داود النبى عن ذلك : « لأنه مَنْ هو إله غير الرب . ومَنْ هو صخرة سوى إلهنا » (مزمور ١٨ : ٣) ... **ومعنى ذلك أن المسيح والإيمان بلاهوته والاعتراف بأنه ابن الله الحى ، هو الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها . والحق إنها الحقيقة الأولى فى الإيمان المسيحى ، وبدونها لا يُحسب الإنسان مسيحياً .**

٢ - ويؤمن المسيحيون أنه إلى جانب كون المسيح ابن الله الحى ، أنه هو الله الظاهر فى الجسد . هو الله الذى لم يكن منظوراً فى العهد القديم ، وصار منظوراً فى العهد الجديد فى المسيح . بمعنى

أنه هو الله غير المنظور وقد صار منظوراً فى المسيح . فالمسيح هو كلمة الله أو الله الكلمة أى اللوغوس . نقرأ فى بدء إنجيل يوحنا : « فى البدء كان الكلمة » . وعلى الرغم من أن الكلمة فى اللغة العربية مؤنثة فنحن لا نقول فى البدء كانت الكلمة . لأن الكلمة هنا تعبير عن ابن الله الأقنوم الثانى فى الثالوث القدوس . فى النص الأصلى اليونانى الذى كُتب به العهد الجديد نقرأ هكذا : « فى البدء كان اللوغوس » . فما هو اللوغوس ؟ اللوغوس كلمة يونانية تعنى العقل الإلهى الكائن فى الذات الإلهية منذ الأزل . ولم تمر لحظة من الزمان كانت الذات الإلهية بدون هذا العقل (١) وحينما يقول الإنجيلى : « فى البدء كان الكلمة » فإنما يعنى الأزل . فلم تمر لحظة من الزمان كانت الذات الإلهية بدون لوغوس أى بدون عقل ، فإن العقل فى الله ليس جزء منه لأن الله لا يتجزأ . فالله كله عقل ولا مادة فيه . فالمسيح هو الله الكلمة ، والكلمة الفاعلة أى الخالقة « فإن فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خُلق » (كولوسى ١ : ١٦) . والمسيح هو الذى « به كان كل شىء ، وبغيره لم يكن شىء مما كان ... كان فى العالم ، والعالم به كُوِّن (يوحنا ١ : ٣ ، ١٠) . وهو الله الكلمة الذى تكلم على أفواه الأنبياء القديسين جميعاً . وهو الله الكلمة ، لأن الله غير المنظور كلمنا فى المسيح المنظور « الله بعد ما كلّم الآباء

(١) اللوغوس هو تعبير يونانى عرفه الفلاسفة الرواقيون الذين دعوا إلى الحياة بمقتضى الطبيعة ، والطبيعة فى اعتقادهم هى اللوغوس أو العقل الكونى .

بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأ يام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شيء . الذى به أيضاً عمل العالمين » (عبرانيين ١ : ١ ، ٢) .

٣ - ويؤمن المسيحيون أيضاً أن المسيح ليس نبياً أو رئيس أنبياء .

وهو وإن كان قد أشير إليه فى بعض المواضع على أنه « **النبى** » معرف بالألف واللام (٢) . كما أنه حال كونه فى الجسد ـــ أخذ وظيفة نبى ، فليس معنى ذلك أنه نظير باقى الأنبياء الذين عرفتهم البشرية . ولكن المسيح دُعى نبياً لأنه أخبرنا بأمور ما كان ممكناً للبشر أن يعرفوها بدونه ، على نحو ما يقول يوحنا فى صدر إنجيله : « الله لم يره أحد قط لابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبرّ » (يوحنا ١ : ١٨) « هو خبرّ » أى أنه هو الذى قال لنا عن الله . كما أخبرنا بأمور مستقبلة عتيدة أن تحدث كخراب أورشليم وهيكلها ونهاية العالم وما يسبقها من علامات وأحداث ... **هكذا نرى أن المسيح ليس نبياً بمفهوم الأنبياء الذين عرفتهم البشرية .**

---

(٢) إشارة إلى نبوءة موسى عن المسيح الواردة فى (تثنية ١٨ : ١٥-١٩) ، و يدعو المسيح فيها « نبياً مثلى » . وقد كانت هذه النبوءة عن المسيح معروفة معرفة كاملة لدى اليهود . وكلمة « النبى » معرّفة بالألف واللام إنما تشير إلى المسيح الذى تنبأ عنه موسى وقال بلسان الرب : « و يكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » .

٤ ـ **ويؤمن المسيحيون أن المسيح ليس هو عبد الله** وإن كان فى تجسده أخذ صورة عبد حجب بها لاهوته . يقول القديس بولس الرسول عن المسيح الذى « **إذ كان فى صورة الله** لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (= لم يحسب مساواته لله إختلاساً أى أنه لم يأخذ شيئاً ليس له) . لكنه آخلى نفسه **آخذاً صورة عبد** صائراً فى شبه الناس » . وهنا لابد وأن نقف وقفة طويلة عند تعبير « **صورة الله** » الذى يستخدمه بولس الرسول عن المسيح فى هذه الآية **حتى لا يظن أحد أن المسيح مجرد صورة وليس الأصل** . أسفار العهد الجديد كُتبت باللغة اليونانية . **وفى اللغة اليونانية كلماتنا تترجمان فى اللغة العربية « صورة » الكلمة الأولى مورفى** μορφη MORPHI **والكلمة الثانية ايكون** εικων **ومنها كلمة ايقونة بالعربية** . الكلمة الأولى (مورفى) المستخدمة هنا لا تعنى الشكل الجسدى . بل كانت تعبيراً يونانياً فلسفياً يعبرّ به عن الكائن الذى يحمل فى ذاته الطبيعة والصفة المميزتين للكائن الذى يُنسب إليه . فهذه الكلمة ـــ والحال هذه ـــ تدل على الوصف الخارجى الذى ينبع من الداخل ، والذى يعبرّ به الكائن عن طبيعته فى أعمق أعماقها . كان ربنا يسوع المسيح فى صورة الله بهذا المعنى . كما أن لفظ الله فى هذ الآية ورد فى النص اليونانى بدون أداة تعـــريف . ولهذا فهو يشير إلى الجوهر الإلهى . **وعلى ذلك فإن المعنى المقصود بتعبير « صورة الله » فى هذه الآية ، أن تعبير الرب يسوع الخارجى لأعمق أعماقه الداخلية بالنسبة لطبيعته ، إنما هو تعبير عن جوهر اللاهوت الإلهى . وحيث أن ذلك التعبير الخارجى ـــ الذى يدل عليه لفظ**

مورف أى صورة ــ نابع من الكيان الداخلى ويصوره تصويراً حقيقياً ، فيتبع ذلك ، أن ربنا يسوع من جهة طبيعته يملك جوهر اللاهوت الإلهى ، ويشترك مع الله الآب ، والله الروح القدس فى نفس جوهر اللاهوت . أما الكلمة اليونانية الثانية التى تترجم فى اللغة العربية صورة فهى كلمة ELKWV « ايقونة » وتعنى المماثلة ، وأنها نموذج مطابق للأصل تماماً .

وثمة ملاحظة فى نفس الآية السابقة ... **إن عبارة « الذى إذ كان ... » فى أصلها اليونانى لا تشير إلى الزمان الماضى الذى تم وانقضى . بل هى مكتوبة فى صيغة تعبر عن حالة فى الماضى تمتد إلى الحاضر. وعلى ذلك فإن المعنى فى الآية السابقة يصبح كالآتى : إن الرب يسوع ــ من جهة حوزته لجوهر اللاهوت ــ لم يتوقف عن ذلك حينما أخلى ذاته بالتجسد وبعبارة أخرى : إن الرب يسوع كان بجوهر اللاهوت ــ ليس فقط قبل تجسده ــ بل بعد هذا التجسد أيضاً .** ويوضح ويؤكد هذا المعنى قول المسيح له المجد لنيقوديموس : « ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) ... ابن الإنسان صعد ونزل وهو الذى يكلمك .

٥ ـ ويؤمن المسيحيون أن المسيح ليس رسولاً بمفهوم الرسل الآخرين المعروفين . فإن كان المسيح قد قال فى بعض المواضع أن الآب أرسله مثل قوله : « لا يقدر أحد أن يقبل إلىَّ إن لم يجتذبه الآب الذى

أرسلنى ... كما أرسلنى الآب الحى ، وأنا حى بالآب فمَنْ يأكلنى فهو يحيا بى » (يوحنا ٦ : ٤٤ ، ٥٧) ... فما ذلك إلاّ لأن المسيح هو صاحب رسالة أتى من السماء ليبلغها ويتممها ... على أن هناك فارق كبير جداً بين إرسالية المسيح بالمعنى الذى قصده والإرسالية بالنسبة للأنبياء والرسل من البشر. إرسالية المسيح من الآب. إرسالية باطنية فى داخل وحدة الثالوث القدوس. أما إرسالية الأنبياء والرسل فهى إرسالية خارجية من الله إلى البشر.

٦ - إيمان المسيحيين بالمسيح اليوم هو بعينه الإيمان الرسولى الذى عاشه المسيحيون الأوائل. ولا صحة مطلقاً لما يحاول بعض أعداء المسيحية أن يشيعوه من أن الإيمان الأصلى للمسيحيين حتى أوائل القرن الرابع المسيحى كان هو إيمان آريوس الهرطوقى المبتدع الذى نادى بأن المسيح غير مساو للآب فى الجوهر. وأن أثناسيوس البابا الاسكندرى هو الذى فرض فكرة الإيمان بألوهة المسيح بالقوة. هذا الكلام غير صحيح ومحض إفتراء. لكن المسيح هو الذى تكلم عن نفسه معلناً عن لاهوته وشهد لألوهته بأعماله : « الأعمال اتى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى » (يوحنا ١٠ : ٢٥).

٧ - جميع المسيحيين أمس واليوم مجمعون على الاعتقاد بلاهوت المسيح. فعلى الرغم من الإختلافات العقائدية بين الكنائس والمذاهب المختلفة فى نطاق المسيحية ، فالمسيحيون على إتفاق تام فيما يختص بلاهوت المسيح. لا فرق فى ذلك بين أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت.

وأية طائفة تنتسب إلى المسيحية ولا تعترف بلاهوت المسيح هى ليست مسيحية على الإطلاق ، مثل الذين يسمون أنفسهم « **شهود يهوه** » ...

ثانياً - حقيقة لاهوت المسيح كما عبر هو عنها بنفسه وكما جاء بالأسفار المقدسة :

ونود قبل الخوض فى هذا البحث أن نضع أمامكم ملاحظتين :

الملاحظة الأولى : لم يحدث أن شخصاً ظلت تترقبه أجيال البشر وكل شعوب الأرض منذ أن سقط الإنسان الأول وطُرِدَ من الفردوس ، مثل شخص المسيح . فقد ظل الله يهىء أذهان البشر لمجيئه تارة بالرموز وتارة بالنبوات . ولا عجب فى ذلك **فالمسيح هو هدف الكتاب المقدس كله من أوله إلى آخره . وهو البؤرة التى تتجمع فيها أشعة الوحى الإلهى ، وتنعقد عليها نبوات الأنبياء .** والكتاب المقدس فى عهده القديم ملىء بالرموز التى تشير إلى شخص المسيح ، سواء كانت الرموز أشخاصاً مثل آدم وإسحق و يوسف وموسى وغيرهم ، أو كانت خليقة غير عاقلة مثل خروف الفصح والعليقة والمن والصخرة فى البرية والحية النحاسية وخيمة الاجتماع بمشتملاتها ومحتوياتها ، أو كانت طقوساً خاصة تمارس حسب الشريعة كطقوس الذبائح وتطهير الأبرص مثلاً . هذه نسوقها فقط كأمثلة .

لقد حاول منكرو لاهوت المسيح أن يفسروا بعض الكلمات أو

العبارات الواردة فى الأناجيل المقدسة ورسائل الرسل التى تُعلن عن لاهوت المسيح ، تفسيراً خاصاً يتفق وأهوائهم ، ظناً منهم أن ذلك ينفى عن المسيح صفة اللاهوت ، لكنهم فشلوا . أما السبب فى ذلك فهو أن **إثبات لاهوت المسيح لا يستند إلى آية واحدة فى الإنجيل ، إذ أسقطت هذه الآية زالت عن المسيح ألوهته !! لكن حقيقة لاهوت المسيح ثابتة راسخة فى الكتاب المقدس كله من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا .**

الملاحظة الثانية : لماذا أوقعنا المسيح فى هذا الحرج الظاهرى ، **فلم يعلن عن لاهوته بصورة أوضح وأقطع مما ورد فى هذا الشأن فى الأناجيل المقدسة . صورة ليس فيها أى لبس أو إبهام ، ولا تحتمل قولين أو رأيين أو تفسيرين ؟!!** ونحن نجيب عن ذلك فنقول إنه كان لابد وأن يأتى المسيح محتجباً ومختفياً فى الجسد ، من أجل تحقيق أهم غرض بالنسبة لمصير البشر وهو الفداء ... **ولو كان المسيح كشف لاهوته على حقيقته كاملاً وبكل وضوح ، لما أمكن لأحد من البشر أن يعيش ، ذلك أن الإنسان لا يقدر أن يعاين** اللاهوت الذى يشبه بالنار الآكلة (انظر عبرانيين ١٢ : ٢٩) ... ومن ناحية أخرى كان لابد لنجاح تدبير الفداء أن يختفى اللاهوت بالناسوت على حد قول الرسول بولس : « بل نتكلم بحكمة الله فى سر . الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا . التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر . **لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد** » (كورنثوس الأولى ٢ : ٧، ٨) . **إذ مَنْ كان يجرؤ على صلب المسيح لو رآوه فى كمال لاهوته ؟! وعلى الرغم**

من أن المسيح أخفى لاهوته لحكمة من أجل تدبير الفداء ، لكنه علم بألوهته وأظهرها فى بعض المواقف ، كما فى معجزة تفتيح عينى المولود أعمى . إذ قال له : « أتؤمن بابن الله أجاب ذاك وقال مَنْ هو يا سيد لأؤمن به . فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن يا سيد وسجد له » (يوحنا ٩ : ٣٥-٣٨) . كما أعلن السيد المسيح أيضاً عن لاهوته أمام رئيس الكهنة اليهودى ومجمع السنهدرين أثناء محاكمته قبل صلبه . فقد قال رئيس الكهنة للمسيح : « أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله . قال له يسوع أنت قلت . وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء » (متى ٢٦ : ٦٣ ، ٦٤) .

المسيح والنبوات عنه :

إن الموضوع الخاص بلاهوت المسيح ، ليست بدايته العهد الجديد ، ولا مجيء المسيح وتعليمه . بل إن الإشارة إليه تبدأ مع بداية الكتاب المقدس . تبدأ من آدم وحواء اللذين بعدما سقطا فى المعصية وطُردا من الفردوس ، أعطاهما الله الوعد بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية ... موضوع لاهوت المسيح لا يبدأ بالعهد الجديد ، لكن جذوره تمتد متشعبه وبعمق فى العهد القديم ، فى النبوات والرموز التى أشرت إليها . والآن نحاول أن نتحدث عن مجرد أمثلة فقط من النبوات التى تنبأت عن المسيح ... عن ميلاده وملابساته وحياته ومعجزاته

وآلامه ووظائفه وألقابه وتلاميذه وصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء ... إلخ والحق إن السيد المسيح نفسه هو الذى لفت الأنظار إلى ما يتعلق بشخصه فى أسفار العهد القديم ...

أمثلة من النبوات التى تنبأت عن المسيح

لقد حض السيد المسيح اليهود على تفتش أسفارهم المقدسة لأنها تشهد له : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التى تشهد لى » (يوحنا ٥ : ٣٩) ... وفى حديث المسيح إلى تلميذى عمواس ، عشية قيامته المجيدة ، نراه يوجه نظرهم إلى هذه الحقيقة فيقول لهم : « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده . ثم إبتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لوقا ٢٤ : ٢٥-٢٧) .

ومرة ثانية يقول السيد المسيح لتلاميذه مجتمعين عقب قيامته : « لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياءوالمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لوقا ٢٤ : ٤٤) ... وفيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ، الذى آمن الخصى الحبشى وزير كنداكية بالمسيح على يديه ، التقى به فيلبس فى عربته ، ووجده يقرأ سفر إشعياء النبى « فابتدأ من هذا الكتاب وبشره بالرب يسوع » (أعمال الرسل ٨ : ٣٥) ... ونقدم هنا بعض النبوات كأمثلة فقط :

(أ) نبوات عن خلقة العالم بالمسيح الكلمة :

* « **بكلمة الرب صنعت السموات** ، وبنسمة فيه كل جنودها » (مزمور ٣٣ : ٦) ... وكلمة الرب هنا تعنى المسيح ... وجاء فى فاتحة إنجيل يوحنا : « فى البدء **كان الكلمة** . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله . **كل شىء به كان . وبغيره لم يكن شىء مما كان** » (يوحنا ١ : ١-٣) ... ويقول معلمنا بولس : « بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت **بكلمة الله** » (عبرانيين ١١ : ٣) . ويقول أيضاً : « **فإن فيه خلق الكل ، ما فى السموات وما على الأرض ، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق** » (**كولوسى ١ : ١٦**) .

(ب) نبوءة عن تجسده الطاهر :

قالها الله للحية ، وآدم مايزال فى الجنة بعد سقوطه : « وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة ، وبين نسلكِ ونسلها . **هو يسحق رأسكِ وأنت تسحقين عقبه** » (تكوين ٣ : ١٥) . ويقول القديس بولس الرسول فى إتمام هذه النبوة « **ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة** » (غلاطية ٤ : ٤) .

(جـ) نبوات عن مجيئه وميلاده :

* **نبوءة عن مجيئه من نسل إبراهيم :** قال الله لإبراهيم « أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء . وكالرمل الذى على شاطىء البحر ... **ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض** » (تكوين ٢٢ : ١٧ ، ١٨) ... **هذه النبوة تكررت لإسحق ويعقوب ، وتمت فى المسيح** كما جاء فى إنجيل متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم » (متى ١ : ١٠) وقال بطرس الرسول لليهود بعد شفاء مقعد باب الهيكل الجميل : « أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم **وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض** » (أعمال الرسل ٣ : ٢٥) .

* **نبوءة عن مجيئه من نسل يهوذا :** قال يعقوب أب الأسباط وهو يبارك يهوذا ولده قبيل موته : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه **حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب** » (تكوين ٤٩ : ١٠) ... ويؤكد بولس الرسول أن هذه النبوة خاصة بالمسيح فيقول : « فإنه واضح أن ربنا **قد طلع من سبط يهوذا** » (عبرانيين ٧ : ١٤) ... ويأتى سفر الرؤيا فيقول : « **هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود** » (رؤيا ٥ : ٥) .

* **نبوءة عن مجيئه من نسل داود :** يقول إشعياء النبى : « ويخرج قضيب من جذع يسى (والد داود النبى) **وينبت غصن من أصوله** »

(إشعياء ١١ : ١) ... والقديس بولس فى كلامه أمام اليهود فى المجمع بأنطاكية بيسيدية ، يذكر إتمام هذه النبوة فى شخص المسيح ، كما يشير إلى هذا الأمر عينه فى رسالته إلى رومية (أعمال الرسل ١٣ : ٢٢ ، ٢٣ ؛ رومية ١٥ : ١٢) .

* **نبوءة عن نزوله من السماء :** يقول سليمان الحكيم عن ذلك : « لم أتعلم الحكمة ولم أعرف معرفة القدوس . مَنْ صعد السموات ونزل . مَنْ جمع الريح فى حفنتيه . مَنْ صر المياه فى ثوب . مَنْ ثبت جميع أطراف الأرض . **ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت** » (أمثال ٣٠ : ٣ ، ٤) .

* **نبوءة عن ميلاده من عذراء :** يقول إشعياء النبى : « يعطيكم السيد نفسه آية . **ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ... لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفيه . ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام .** لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد » (إشعياء ٧ : ١٤ ؛ ٩ : ٦ ، ٧) ... **وقد أشار متى فى إنجيله إلى إتمام هذه النبوءة فى شخص المسيح (انظر متى ١ : ٢٢ ، ٢٣)** ... وظل إشعياء يرقب ويطلب سرعة مجىء هذا الشخص الإلهى الذى تنبأ عنه والذى يولد من عذراء فقال مناجياً الله : « ليتك تشق السموات وتنزل » (إشعياء ٦٤ : ١) ... وكان داود قبل إشعياء قد تنبأ عن ذلك فقال : « طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه » (مزمور ١٨ : ٩) .

* **نبوءة عن موعد مجيئه : قال دانيال النبى :** « سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأ بدى ولختم الرؤيا والنبوءة ولمسح قدوس القديسين » (دانيال ٩ : ٢٤) .

* **نبوءة عن مكان مولده :** يقول ميخا النبى : « أما أنتِ **يا بيت لحم إفراته ، وأنتِ صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنكِ يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأ زل** » (ميخا ٥ : ٢) .

* **نبوءة عن مجىء المجوس وسجودهم وتقديمهم هدايا : يقول** المرنم : « ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة . **ملوك سبأ وشبا يقدمون هدية . ويسجد له كل الملوك** » (مزمور ٧٢ : ١٠ ، ١١) ... ويقول داود النبى كذلك : « **لك تقدم ملوك هدايا** » (مزمور ٦٨ : ٢٩) .

(د) نبوءات عن حياته وصفاته ورسالته ومعجزاته :

لقد تنبأ العهد القديم عن كثير من ظروف حياة السيد المسيح وشخصيته ... ونستطيع أن نقدم لمحات من بعض هذه النبوات ...

* **يقول إشعياء النبى :** « ولكن لا يكون ظلام للتى عليها ضيق . كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتاليم يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً

عظيماً . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (إشعياء ٩ : ١ ، ٢) ... وقد أشار القديس متى الإنجيلى إلى إتمام هذه النبوءة فى شخص المسيح (انظر متى ٤ : ١٣-١٦) .

* **وتنبأ موسى النبى عن مجىء السيد المسيح ومركزه فقال :** « يقيم لك (= إسرائيل) الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك . مثلى له تسمعون ... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك . وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به . و يكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (تثنية ١٨ : ١٥-١٩) ... **كان اليهود يعرفون هذه النبوة جيداً التى سجلها موسى نبيهم الأول . وكانوا يعلمون أنها تخص شخص المسيح له المجد** ... لذا نجد بطرس الرسول بعد معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل . يوجه كلامه إلى الشعب اليهودى المحتشد فى الهيكل : « توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب . **ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل .** الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء . التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . **فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . و يكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب .** وجميع الأنبياء وأيضاً صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأ يام » (أعمال الرسل ٣ : ١٩-٢٤) ... **وواضح من كلام بطرس الرسول أن ذاك الذى بخصوصه تنبأ موسى ، كان هو الرب يسوع المسيح ... وأوضح أيضاً**

فى كلامه للشعب اليهودى أنه لا يقدم لهم مفهوماً جديداً ، **بل هم يعرفون جيداً أن هذه النبوءة تخص شخص المسيح ...**

وبخصوص نبوءة موسى هذه ، **يتكلم شهيد المسيحية الأول استفانوس ،** مؤكداً أن هذا النبى ، ذا الأوصاف التى ينفرد بها عن سائر الأنبياء ، إنما هو المسيح . يقول فى دفاعه الذى إنتهى باستشهاده : « هذا هو موسى الذى قال لبنى إسرائيل ، نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون » (أعمال الرسل ٧ : ٣٧) . **وواضح أن استفانوس إستشهد على اسم المسيح ...**

قبل أن نترك هذه الآية ، نود أن نوضح بعض النقاط **إذا كانت هذه النبوءة تشير إلى المسيح . فلماذا يدعوه « نبياً مثلى »** ، فيقول : « **نبياً من وسطك من إخوتك مثلى** له تسمعون » ... سبق أن شرحنا فى القسم الأول من هذا الموضوع . لماذا أشير فى بعض المواضع إلى أن المسيح يُدعى نبياً . وقلنا إنه **حال كونه فى الجسد أخذ وظيفة نبى ، حيث أنه أنبأنا عن الآب بأمور لم نكن نعرفها (يوحنا ١ : ١٨) ، كما أنبأنا عن أمور مستقبلة تحققت فيما بعد كخراب أورشليم ، وأخرى لم يحن وقتها بعد ...** فقوله : **« نبياً من وسطك » أى من بنى إسرائيل** حيث أن بنى إسرائيل هم خاصة المسيح « جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله » (يوحنا ١ : ١١) ... **أما قوله « مثلى » ، فلأن موسى مشرع ، أعطى بنى إسرائيل شريعة العهد القديم ، والمسيح له المجد أيضاً أعطى شريعة العهد الجديد شريعة الكمال .** فموسى من هذه الناحية يرمز إلى

السيد المسيح حيث أن كلاً منهما أعطى شريعة ... وعلى أية الحالات فقد كان موسى رمزاً للمسيح من أوجه كثيرة ، وأعطاء الشريعة واحد منها ...

* وعن صفة الوداعة فى شخص المسيح . يقول إشعياء النبى : « هوذا عبدى (٣) الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يسمع فى الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء . إلى الأمان يخرج الحق » (إشعياء ٤٢ : ١-٣) وقد أشار متى الإنجيلى إلى هذه النبوءة ، على أنها عن المسيح فقال : « لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل ... » (متى ١٢ : ١٤-٢١)

* وعن المسيح الراعى الصالح قال إشعياء أيضاً : « على جبل عالٍ اصعدى يا مبشرة صهيون . إرفعى صوتكِ بقوة يا مبشرة أورشليم إرفعى لا تخافى . قولى لمدن يهوذا هوذا إلهكِ . هوذا السيد الرب بقوة يأتى ... كراع يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان . وفى حضنه يحملها » (إشعياء ٤٠ : ٩-١١) ... والسيد المسيح قدم نفسه كالراعى الصالح (يوحنا ١٠). كما أعلن محبته للخروف الضال (لوقا ١٥ : ٤-٦).

* وعن مجىء المسيح ورسالته وإعداد يوحنا المعمدان الطريق له ، قال إشعياء النبى : « عزوا عزوا شعبى يقول إلهكم . طيبوا قلب أورشليم ... صوت صارخ فى البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا فى

---

(٣) للتواضع إذ أن المسيح أخلى نفسه أخذاً صورة عبد (فيلبى ٢ : ٧) .

القفر سبيلاً لإلهنا ، كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً . فيعلن مجد الرب و يراه كل بشر معاً ، لأن فم الرب تكلم » (إشعياء ٤٠ : ١-٥) ... وقد أشار إلى ذلك القديس مرقس والقديس لوقا فى إنجيلهما (مرقس ١ : ١-٣ ؛ لوقا ٣ : ٢-٦) .

* وعن معجزات الشفاء المتنوعة التى أجراها المسيح ، قال إشعياء النبى : « حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالايل و يترنم لسان الأخرس ... ومفديو الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم إبتهاج وفرح يدركانهما . و يهرب الحزن والتنهد » (إشعياء ٣٥ : ٥-١٠) .

* وعن سلطان المسيح وملكوته تنبأ دانيال النبى قائلاً : « كنت أرى فى رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ ، ١٤) .

* ويكتب هوشع النبى متنبئاً عن هربه إلى مصر من وجه هيرودس : « لما كان إسرائيل غلاماً أحببته . ومن مصر دعوت ابنى » (هوشع ١١ : ١) ... وقد أشار متى الإنجيلى إلى إتمام هذه النبوءة فى شخص المسيح (متى ٢ : ١٤ ، ١٥) .

* **وعن أزلية الابن المسيح وصفاته ورسالته يقول سليمان الحكيم عن الحكمة** وتقابل لفظ الكلمة اللوغوس فى العهد الجديد : « **منذ الأزل مسحت ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض** ... لما ثبت السموات كنت هناك أنا ... لما وضع للبحر حده فلا يتعدى المياه تخمه . لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً ... طوبى للذين يحفظون طرقى ... مَنْ يجدنى يجد الحياة » (أمثال ٨ : ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥) ... **كما يقول :** « العل الحكمة لا تنادى ... لكم أيها الناس أنادى ... هلّموا كلوا من طعامى واشربوا من الخمر التى مزجتها » (أمثال ٨ : ١ ، ٤ ؛ ٩ : ٥) ... **هكذا كان المسيح الذى نادى المتعبين والثقيلى الأحمال ليريحهم (متى ١١ : ٢٨) .**

* **ويتنبأ سليمان الحكيم فى سفر نشيد الأنشاد عن إكليل الشوك الذى تكلل به المسيح على الصليب فيقول بروح النبوة :** « اخرجن يا بنات صهيون ، وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه » (نشيد ٣ : ١١) ... **والعريس ليس هو سليمان .** فالله يقول بلسان إشعياء النبى : « **لأن بعلكِ (زوجكِ) هو صانعكِ رب الجنود اسمه** » (إشعياء ٥٤ : ٥) .

(هـ) نبوءة عن رفض اليهود له :

يقول المرتل : « **الحجر الذى رفضه (رذله) البناؤون قد صار رأس الزاوية .** من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » (مزمور

١١٨ : ٢٢، ٢٣) ... **وقد أكد السيد المسيح فى مثل الكرم والكرامين أن هذه النبوءة إنما قد تمت فيه (متى ٢١ : ٤٢) ... كما طبق بطرس الرسول هذه النبوءة على المسيح** فقال : « فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة ، وأما للذين لا يطيعون ، فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية » (بطرس الأولى ٢ : ٧) .

كما إستشهد بطرس الرسول بهذه النبوءة أيضاً أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة عقب معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل . قال : « إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شُفى هذا فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه **باسم يسوع المسيح الناصرى** الذى صلبتموه أنتم ، الذى أقامه الله من الأموات بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً . **هذا هو الحجر الذى إحتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية .** وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس أسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أعمال الرسل ٤ : ٩-١٢) .

(و) نبوءات عن آلام المسيح :

أما عن آلام المسيح ، فما أكثر النبوءات التى قيلت عنها نقتطف منها الآتى :

* **يقول داود النبى فى (مزمور ٢٢ : ١ - ١٢) :** « إلهى إلهى لماذا تركتنى ... أما أنا فدودة لا إنسان ، عار عند البشر ومحتقر الشعب .

كل الذين يرونني يستهزئون بى . يفغرون الشفاة و ينغضون **الرأس** قائلين إتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به . أحاطت به **ثيران** كثيرة ، أقو ياء باشان إكتنفتنى . **فغروا على أفواههم كأسد مفترس** مزمجر . كالماء إنسكبت إنفصلت كل عظامى . صار قلبى كالشمع . **قد** ذاب فى وسط أمعائى . يبست مثل **شقفة** قوتى ولصق لسانى بحنكى ... لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار إكتنفتنى . **ثقبوا يدى ورجلى أحصى كل عظامى .** وهم ينظرون و يتفرسون فىَّ يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » ...

وفى (مزمور ٦٩) يقول داود :

* **أيضاً بروح النبوة : « يبس حلقى** ... أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب ... **لأنى من أجلك إحتملت العار.** غطى الخجل (الخزى) وجهى . صرت أجنبياً (غريباً) عند إخوتى (اليهود) ، وغريباً عند بنى أمى . **لأن غيرة بيتك أكلتنى ،** وتعييرات معيريك وقفت علىَّ ... **العار قد كسر قلبى ... يجعلون فى طعامى علقماً ، وفى عطشى يسقوننى خلاً »** ...

هذا الكلام قاله داود ــ ليس عن نفسه ــ فداود لم يُصلب ولم تثقب يداه ورجلاه ولم يسقوه خلاً ولم يحدث له شىء مما ذكره فى المزمورين بل مات ميتة طبيعية ... لكن هذا الكلام نبوءة عن المسيح ... وقد تمت تفاصيل هذه النبوءات حرفياً (انظر متى ٢٧ ؛ مرقس ١٤ ؛ لوقا ٢٢ ، ٢٣ ؛ يوحنا ١٨ ، ١٩) ... ولنتأمل قدره هذه النبوءة : المسامير التى

ثقبت اليدين والرجلين وشرب الخل ، وحتى تقسيم ثيابه والإقتراع عليها بين الجند ... فكأن داود كان واقفاً عند الصليب يدون مشاهداته .

* وفى مزمور آخر هو (مزمور ٤٠ : ٦ - ٨) يقول داود أيضاً بروح النبوة : « بذبيحة وتقدمة لم تسر . ثقبت (فتحت) آذنى . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب . حينئذ قلت هأنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عنى أن أفعل مشيئتك يا إلهى سررت . وشريعتك فى وسط أحشائى » ... ويستشهد القديس بولس الرسول بهذه النبوءة فيقول : « لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً » (عبرانيين ١٠ : ٥) ... والمقصود من عبارة « **هيأت لى جسداً** » ــ أى جسداً يقدم ذبيحة كفارية . **والقول : « ثقبت آذنى ، يعيد إلى أذهاننا ما جاء فى (خروج ٢١ : ٥، ٦) عن العبد الذى يخصص نفسه لخدمة سيده إلى النهاية .. كان سيده يأتى به إلى الباب ، ويثقب أذنه بالمثقب فيخدمه إلى النهاية ، هكذا المسيح له المجد بإرادته ومسرته « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فيلبى ٢ : ٧) ، وأحبنا وخصص ذاته لفدائنا ، وأرتضى أن تثقب ــ لا أذنه ــ بل يداه ورجلاه وجنبه ... وكل ذلك تم خارج الباب ــ باب أورشليم (انظر عبرانيين ١٣ : ١٢) .**

+ وما أكثر وما أوضح ما تنبأ به إشعياء عن آلام المسيح :

*** « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين . ووجهى لم أستر عن العار والبصق » (إشعياء ٥٠ : ٦) .**

* « مَنْ صدق خبرنا ، ولمَنْ إستعلنت ذراع الرب ... لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ، ولا منظر فنشتهيه . محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به . لأن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها . ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه . وبحبره (جراحاته) شفينا . كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامة أمام جازيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفى جيله مَنْ كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء . أنه ضرب من أجل ذنب شعبى . وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . أن جعل نفسه ذبيحة إثم ... سكب للموت نفسه ، وأحصى مع أثمة . وهو حمل خطية كثيرين ، وشفع فى المذنبين » (إشعياء ٥٣ : ١-١٢) ...

وإذا رجعنا إلى كتاب العهد الجديد ، نجد أن فيلبس المبشر الذى عمد الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة قال له الوزير : « عن مَنْ يقول النبى هذا . عن نفسه أم عن واحد آخر ؟ **ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب (إشعياء) فبشره بيسوع »** (أعمال الرسل ٨ : ٢٦-٣٥) ... هذا عن آلام الفادى المخلّص .

أما عن العبارة الواردة فى مطلع هذه النبوءة : « **مَنْ صدق خبرنا** »

فقد إستشهد بها يوحنا الإنجيلى « ومع أنه (يسوع) كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به . ليتم قول إشعياء النبى الذى قال : يارب مَنْ صدق خبرنا ولِمَنْ إستعلنت ذراع الرب » (يوحنا ١٢ : ٣٧) ... كما أشار بولس الرسول إلى ذلك أيضاً فى أسف على عصيان اليهود وعدم إيمانهم بالمسيح المخلص : « لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل ، لأن إشعياء يقول يارب مَنْ صدق خبرنا » (رومية ١٠ : ١٦) .

* **ويتنبأ زكريا النبى عن خيانة يهوذا الاسخريوطى** وأخذه ثلاثين من الفضة من الكهنة ورؤسائهم مقابل تسليمه سيده ، وما أنتهى إليه أمره فيقول : « فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى وإلاَّ فامتنعوا . **فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة** . فقال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به . **فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب** » (زكريا ١١ : ١٢ ، ١٣) ... **وهذا ما تم حرفياً يقول متى الإنجيلى** : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً : قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً . فقالوا ماذا علينا . أنت أبصر . فطرح الفضة فى الهيكل وأنصرف . ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا **وأشتروا بها حقل الفخارى** مقبرة للغرباء . لهذا سُمّى ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم » (متى ٢٧ : ٣-٨) .

(ز) نبوءات عن المسيح الممجد :

* يقول داود النبى فى المزمور الثانى ــ وهو مزمور خاص بالمسيح الممجد : « لماذا إرتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب **وعلى مسيحه** ، قائلين لنقطع أغلالهما ولنطرح عنا نيرهما . الساكن فى السموات يضحك ، والرب يستهزىء بهم . حينئذ يكلمهم بغضبه وبرجزه يقلقهم أما أنا فقد **مسحت** على صهيون جبل قدسى . أنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى **أنت ابنى** . أنا اليوم ولدتك . إسألنى **فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك** . تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إناء خزاف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . **قبلوا الابن** لئلا يغضب . فتبيدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » .

فى هذا المزمور نرى أسماء المسيح : مسيح ، ابن الله ، ملك الملوك ... ولقد تم هذا المزمور بنبوءاته فى مخلصنا ... وقد أشار إلى ذلك الرسل فى صلاتهم عقب شفاء مقعد باب الهيكل الجميل : (أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . القائل بفم داود فتاك : لماذا إرتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه . لأنه بالحقيقة إجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته ، هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل ، ليفعلوا كل ما سبقت

فعينت يدك ومشورتك أن يكون » (أعمال الرسل ٤ : ٢٤-٢٨) ...

كما يؤكد القديس بولس الرسول أن هذا المزمور نبوءة عن السيد المسيح ففى خطابه فى المجمع اليهودى فى أنطاكية بيسيدية قال : « إن الله أكمل هذا لنا نحن أولادهم ، إذ أقام يسوع **كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى ،** أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ... » (أعمال الرسل ١٣ : ٣٣) ... كما يقول بولس أيضاً **فى العبرانيين :** « لأنه لمَنْ مِنَ الملائكة قال قط ، أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (عبرانيين ١ : ٥) .

* **ويقول داود النبى فى (مزمور ٢٤ : ٧ - ١٠) :** « إرفعوا أيها الملوك أبوابكم ، وارتفعى أيتها الأ بواب الدهرية **ليدخل ملك المجد** مَنْ هو هذا ملك المجد . الرب القدير الجبار . الرب الجبار فى الحروب » ... **هذا المزمور نبوءة عن قيامة الفادى .** ولذا تستخدمه الكنيسة فى قداس عيد القيامة فى تمثيلية القيامة ...

* **ويقول داود أيضاً بروح النبوة فى (مزمور ٤٥) :** « فاض قلبى بكلام صالح ... أنت أبرع جمالاً من بنى البشر ... **تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار** ... الشعوب تحتك يسقطون . كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب الاستقامة هو قضيب مُلكك . أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك ... » .

ويشير بولس الرسول فى العبرانيين إلى هذه النبوءة وأنها تمت فى المسيح . فيقول : « **أما عن الابن ، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**

قضيب إستقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الإبتهاج أكثر من شركائك» (عبرانيين ١ : ٨، ٩) ... **ولذا رتبت كنيستنا القبطية أن تقال بعض كلمات هذا المزمور فى أسبوع البصخة وترتل بلحن رائع مزمور ΠΕΚΘΡΟΝΟC فى الساعة الحادية عشر من يوم ثلاثاء البصخة، وفى الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة.**

* **يقول داود النبى فى (مزمور ١١٠) : «قال الرب لربى** اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك عصا قوة يرسل لك الرب من صهيون وتسود فى وسط أعدائك. معك الرياسة فى يوم قوتك فى بهاء القديسين. أقسم الرب ولن يندم أنك **أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق**. الرب عن يمينك. يحطم فى يوم رجزه ملوكاً. يقضى بين الأمم ويملأهم جثثاً» ... **ولقد أوضح السيد المسيح أن نبوءة هذا المزمور هى خاصة به**. قال للفريسيين : «ماذا تظنون فى المسيح، ابن مَنْ هو قالوا له ابن داود. قال لهم **فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً : قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه بالروح رباً فكيف يكون ابنه. فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة**» (متى ٢٢ : ٤٢ - ٤٥).

وبطرس الرسول فى عظة يوم الخمسين يثبت أن نبوءة داود هذه كانت عن المسيح فيقول : «لأن داود لم يصعد إلى السموات، وهو نفسه يقول قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً

لقدميك . فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً » (أعمال ٢ : ٣٤-٣٦) .

*** وقد تنبأ زكريا النبى عن دخول السيد المسيح إلى أورشليم دخول الظافرين ، وإستقبال الشعب له بسعف النخيل ، والهتافات الدالة على شخصيته : « إبتهجى جداً يا ابنة صهيون . إهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملككِ يأتى إليكِ . هو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن آتان » (زكريا ٩ : ٩) --- فى الوقت الذى دخل فيه المسيح دخول الملوك الظافرين لكنه كان وديعاً راكباً على حمار وعلى جحش --- كانت هتفات الشعب اليهودى تدوى « أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . أوصنا فى الأعالى مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب --- » . كل ذلك جعل بعض الفريسيين يضطربون فقالوا للمسيح : « يا معلم إنتهر تلاميذك » فأجاب وقال لهم : « أقول لكم أنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » (انظر متى ٢١ : ١- ١١ ؛ مرقس ١١ : ١- ١٠ ؛ لوقا ١٩ : ٢٨- ٤٠ ؛ يوحنا ١٢ : ١٢-١٥) .**

هذه مجرد عينات من النبوءات التى تمتلىء بها أسفار العهد القديم ، والتى تنبأ بها الأنبياء القديسون عن رب المجد يسوع المسيح . وبطبيعة الحال ، لا يسعفنا الوقت أن نقدم كل شىء فى مثل هذه العظة ، أو نورد الرموز التى ترمز لشخصه المبارك ، والتى يمتلىء بها أيضاً كتاب العهد القديم كما سبق وأشرنا ...

وقبل أن ننتقل إلى الجزء الثانى من بحثنا « مَنْ يكون المسيح » نود أن نلفت النظر إلى تيار خبيث معاصر يدعى أن كل نبوات العهد القديم الخاصة بالمسيح أنما تخص شخصاً آخر غيره. وأن المسيح لم ينسب لنفسه الألوهة ، وإنما بولس الرسول هو صاحب هذه الفكرة ، وهو الذى بذر بذرتها ، وصادفت تلك البذرة أرضاً خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والإتجاهات التى سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأوائل من إضطهادات مدمرة ... ويثير هذا التيار أيضاً الشكوك حول سفر إشعياء بالذات . ويقولون إنه سفر مشكوك فيه ، واليهود لم يعتبروا قانونيته كسفر مقدس ولم يسلموه للنصارى إلاَّ سنة ٩٠ ميلادية !!...

ورداً على ذلك نقول :

لقد أثبتنا سابقاً بما لا يدع مجالاً للشك أن نبوات العهد القديم إنما تنطبق إنطباقاً تاماً على السيد المسيح دون سواه كولادته من عذراء ، وتقدمات المجوس له ، وهروبه إلى مصر ، ومعجزاته الخارقة وأعماله ودخوله أورشليم يوم أحد الشعانين ، وآلامه وثقب يديه ورجليه ، وحتى الإقتراع على ثيابه ... إلخ ، مما لا ينطبق على سواه بحال من الأحوال .

أما القول بان المسيح له المجد لم ينسب الألوهة إلى نفسه ، بل

أن هذا كان من صنع بولس الرسول ، فنقول إن الإيمان بألوهة المسيح ليس من صنع المسيحيين ، لكنه إعلان المسيح عن ذاته كما سيأتى فى بحثنا هذا وإذا ثبت أن الأمر هكذا كما قال المسيح ، وكما يعتقد المسيحيون ، فإن الأمر لا يعدو أحد إحتمالين :

إما أن يكون المسيح نبياً وانحرف عن دعوته ورسالته واغتر بذاته وأدعى لنفسه ما ليس له . وفى هذه الحالة يكون كاذباً ومضلاً وإما أن يكون صادقاً وجديراً بما نادى به ... لكن كيف ينحرف المسيح عن دعوته و يتخطى حدود رسالته إن كان الله قد أنفذه لغاية معينة ؟! وهل الله أساء أختياره إن كان هو مجرد نبى ؟!! ومَنْ مِنَ الأنبياء القدامى الصادقين إنحرف عن حدود نبوته ؟! ثم إن كان قد إدعى الألوهة وهو كاذب وماكر ، فلماذا أيده الله بالعجائب والمعجزات ؟!

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فالقول بان تأليه المسيح من صنع بولس الرسول ، وأن هذه البذرة صادفت أرضاً خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات التى سبقت المسيحية ، قول مردود عليه ...

فالمسيحية فى بدايتها لم تعرف طريقها إلى الفلاسفة ، حتى يقال إنها [صادفت أرضاً خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات التى سبقت المسيحية] . كان إنتشار الدعوة إلى الإيمان المسيحى ، فى بدء المسيحية ، ينتشر أساساً بين الطبقات الفقيرة والكادحة ، التى كانت معتبرة كماً مهملاً فى العالم القديم ـــ سواء فى اليهودية أو الوثنية .

وكانت الكنيسة المسيحية تعنى بهؤلاء المؤمنين الجدد من الفقراء والمعدمين حتى أنها أقامت السبعة شمامسة ليخدمونهم و يقدموا لهم المعونة فى صورة وجبات طعام . ولذا فقد سميت خدمة هؤلاء الشمامسة بخدمة الموائد (انظر أعمال الرسل ٦ : ١-٦) ...

والمسيح نفسه حرص منذ البداية ، على إختيار كل رسله وتلاميذه من المعتبرين جهلاء وأميين . وفى ذلك يقول الرسول بولس : « **إختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود . لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه** » (كورنثوس الأولى ١ : ٢٧-٢٩) ... **ولنلاحظ كلمة « إختار »** التى يكررها بولس الرسول . والإختيار دائماً يكون بين شيئين أو أكثر . ومعنى ذلك أن العلماء والفلاسفة كانوا موجودين ، لكن المسيح إختار الجهلاء والفقراء والضعفاء ... أما السبب فى إختيار هذه الفئات والجاهلة والضعيفة لتبشر بالمسيحية وتكرز بالإنجيل ، فحتى لا يقال أن إنتشار المسيحية كان الفضل فيه لفلاسفة أو علماء لهم قوة فى الإقناع ومقدرة على الكلام . إنما يكون إنتشار الإيمان بالمسيح بقوة الله وعمله وحده . وهذا ما يعبر عنه بولس الرسول : « **ليكون فضل القوة لله لا منا** » (كورنثوس الثانية ٤ : ٧) .

ثم هناك نقطة أخرى تتصل ببولس الرسول . **حقيقة كان بولس دارساً لعلوم عصره مقتدراً فى ذلك . لكنه فى كرازته لم يستخدم**

أساليب الفلسفة والحكمة العالمية. نجد هذا واضحاً فى كلامه إلى أهل كورنثوس (وكورنثوس إحدى مدن اليونان مهد الفلسفة وآبائها) يقول لهم : « وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة ، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً بشهادة الله . لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً ... **وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع (= الفلسفة)، بل ببرهان الروح والقوة. لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله** » (كورنثوس الأولى ٢ : ١-٤) .

وليس أدل على أن المسيحية فى بداية تاريخها لم تعرف طريقها إلى الفلاسفة ، مما حدث مع بولس الرسول نفسه فى مدينة أثينا وفى الأريوس باغوس . فحينما تقابل مع جماعة من الفلاسفة الرواقيين والابيقوريين ، قالوا بعضهم لبعض : « ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول » . وانتهى الأمر باستهزائهم به (انظر أعمال الرسل ١٧ : ١٨ ، ٣٢) .

على أن بولس الذى يدعى أنه هو الذى بذر بذرة ألوهة المسيح لم يؤمن بالمسيح إلاّ بعد نحو سبع سنوات من قيام المسيحية . وكان فى مدة تلك السنوات السبع يضطهد كنيسة الله بإفراط و يتلفها . وكان يسطو على بيوت المسيحيين ليجرهم رجالاً ونساء إلى السجون، بل كان مشتركاً فى مقتل استفانوس أول شهداء المسيحية (انظر أعمال الرسل ٨ : ١-٣؛ غلاطية ١ : ١٣) ...

بولس عرف المسيح بعد نحو سبع سنوات من قيام المسيحية **وكان**

الرسل فى تلك السنوات يكرزون بالمسيح على أنه « الله الذى ظهر فى الجسد » ، والقدوس الذى ليس بأحد غيره الخلاص (انظر أعمال الرسل ص ٢ إلى ص ٨) . بل لقد إستشهد استفانوس أول شهيد مسيحى من أجل هذا الإيمان (انظر أعمال الرسل ص ٧) ...

وبولس الرسول فى رسالته إلى غلاطية يروى قصة حياته السابقة لإيمانه المسيحى ، ثم قصة إيمانه المسيح ، وكيف تعرف على الرسل وعرض عليهم الإنجيل الذى يكرز به بين الأمم فكانت النتيجة أنهم لم يشيروا عليه بشىء وأعطوه يمين الشركة مع برنابا ــ شريكه فى خدمة الأمم . أى أنهم إعتبروه شريكاً لهم فى الخدمة (انظر غلاطية ص ٢ : ١ - ١٠) .

أما من جهة التشكك فى سفر إشعياء النبى الملىء بالنبوات الواضحة والصريحة عن المسيح ، فنحن نشكر الله أن الإكتشافات والحفريات المعاصرة تغنينا عن الرد . فلقد عثر فى سنة ١٩٤٧ على مخطوطات ثمينة جداً فى مكان قرب البحر الميت يعرف باسم « خربة قمران » ، لجماعة عاشت فى القرن الأول الميلادى وما قبله . وكان ضمن هذه المخطوطات سفر إشعياء النبى كاملاً ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد . ويعتبر أقدم نسخة لهذا السفر فى العالم . ولقد أحدث إكتشاف هذا المخطوط وغيره دوياً هائلاً فى الدوائر العلمية فى العالم ... فمَنْ يجرؤ بعد ذلك على التشكيك فى هذا السفر ؟!

ونتقل الآن للإجابة عن السؤال « مَنْ يكون المسيح » وهو الشطر الثانى لموضوعنا ونعالج هذا السؤال من خلال أربع نقاط :

(أ) نبوات العهد القديم عن المسيح . وهذه قد تحدثنا عنها .

(ب) المسيح يتصف بجميع صفات الله .

(جـ) المسيح عمل جيع أعمال الله .

(د) المسيح قبل السجود والعبادة ، وهما أمران ينفرد الله بهما .



العليقة التى رآها موسى

« وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ... أميل الآن لأنظر المنظر العظيم ... » (خر ٣ : ٢ - ٦) .

المسيح يتصف بجميع صفات الله

١ ـ أزلى أبدى :

الإنسان محدود له بداية ونهاية . له تاريخ ميلاد وله تاريخ وفاة . **لكن المسيح له المجد له ميلادان. ميلاد فى الزمان وميلاد قبل الزمان. ميلاد فى الزمان حينما وُلِدَ من العذراء الطاهرة مريم. وميلاد قبل الزمان وهو ولادته من الآب قبل كل الدهور، وهذه هى الأزلية.** فالمسيح أزلى أبدى . لا بداية أيام له ولا نهاية حياة **هذه الصفة يتصف بها الله وحده.** وقد نسبها المسيح إلى ذاته فقال لليهود : « أبوكم إبراهيم تهلل أن يرى يومى فرأى وفرح فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد ، أفرأيت إبراهيم فقال لهم يسوع **الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »** (يوحنا ٨ : ٨) .

وفى اللغة الأصلية إذا رجعنا إلى كلمة « **أنا كائن** » ، نجد أن لها مفهوم الكينونة الدائمة التى لا يتصف بها غير الله . **والمعنى الحرفى لعبارة « أنا كائن » هو أنا الموجود دائماً. أنا الموجود دائماً فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل. والمعنى الحرفى لاسم الله قديماً « يهوه » هو « الكائن دائماً » أو « الدائم » (خروج ٣ :**

١٤، ١٥). **وهو نفس التعبير الذى استخدمه يوحنا الرسول عن المسيح** فى سفر الرؤيا « يوحنا إلى السبع الكنائس التى فى آسيا نعمة لكم وسلام **من الكائن والذى كان والذى يأتى** » (رؤيا ١ : ٤ ؛ ٤ : ٨ ؛ ١١ : ١٦ ، ١٧ ؛ ١٦ : ٥) . **من الكائن أى فى الوقت الحاضر والذى كان أى فى الماضى ، والذى يأتى أى فى المستقبل وهذا هو المعنى الحرفى لكلمة « يهوه »** فى العهد القديم أو **« أنا كائن »** التى استخدمها السيد المسيح . فى العهد الجديد .

قال السيد المسيح فى إحدى مناجاته للآب : « والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد **الذى كان لى عندك قبل كون العالم** » (يوحنا ١٧ : ٥) . وقال أيضاً : « أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى ، **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم** » (يوحنا ١٧ : ٢٤) ...

وفى سفر الرؤيا يقول المسيح له المجد : « **أنا هو الألف والياء البداية والنهاية . يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى** ، القادر على كل شىء » (رؤيا ١ : ٨) . إن هذه الصفة **لا يتصف بها غير الله** حتى أنه يقول بلسان إشعياء النبى : **« أنا الأول والآخر ولا إله غيرى »** (إشعياء ٤٤ : ٦) فكون المسيح يتصف بهذه الصفة : فإن ذلك يعنى أنه هو الله .

٢ ـ المسيح هو الحياة ومعطى الحياة :

الله وحده هو الحىّ بذاته ، واصل الحياة ، وواهب الحياة لجميع الكائنات . لذلك يقول الله قديماً : « **أنا هو وليس إله معى . أنا أميت وأحيى ... أقول حى أنا إلى الأبد** » (تثنية ٣٢ : ٣٩ ، ٤٠) . **هذه الصفة التى ينفرد بها الله ينسبها المسيح لذاته** . فيقول فى معجزة إقامة لعازر من الموت : « **أنا هو القيامة والحياة** » (يوحنا ١١ : ٢٥) . ويقول فى موضع آخر : « **أنا هو الطريق والحق والحياة** » (يوحنا ١٤ : ٦) **مَنْ يجرؤ ــ سواء من الملائكة أو البشر ــ أن يقول « أنا هو الحياة »** فالمسيح يُعلن أنه ليس حياً فقط ، بل هو الحياة عينها . **الحياة معرّفة بأل التعريف** ... ويقول لمرثا ومريم أختى لعازر : « **أنا هو القيامة والحياة ، مَنْ آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل مَنْ كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد** » (يوحنا ١١ : ٢٥ ، ٢٦) ... من أجل كل هذا يقول يوحنا عن المسيح فى فاتحة إنجيله : « **فيه كانت الحياة** » (يوحنا ١ : ٤) .

وثمة ملاحظة ثانية : يقول المسيح له المجد : « **كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته** » (يوحنا ٥ : ٢٦) . ومعنى أن المسيح له حياة فى ذاته ، **أن الحياة ليست معطاة له من الخارج ، بل هى من ذاته تماماً مثل الآب . معنى ذلك أنه ليس مخلوقاً** . والفرق بين الخالق والمخلوق ، هو أن المخلوق بعثت فيه الحياة من الله ، ولم يكن قبل ذلك حياً . أما الخالق

فهو حى منذ الأزل والحياة فيه من ذاته .

وليس فقط أن المسيح هو الحياة بل هو **معطى الحياة الروحية** فحينما عقد مقارنة بينه وبين المن الذى أكله اليهود فى البرية قديماً بعد خروجهم من مصر، قال : « **خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم ... أنا هو خبز الحياة** » (يوحنا ٦ : ٣٢-٣٥) . والمقصود بالحياة هنا الحياة الروحية ، حياة الشركة مع الله ... وعلى ذلك يكون المسيح هو مُعطى الحياة بمعانيها المتعددة ، بمعنى الوجود من العدم أى الخلق ، وبمعنى أنه غذاء الحياة . وعن هذا المعنى الأخير يقول : « أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يوحنا ١٠ : ١٠) .

٣ ـ يغفر الخطايا :

من المعلوم والمقرر أن الله وحده هو الذى يملك أن يغفر الخطية (خروج ٣٤ : ٧) . لكن المسيح **غفر الخطايا ... غفر خطايا المفلوج الذى حمله أربعة رجال ودلوه من سقف البيت** (متى ٩ : ١ـ ٨ ؛ مرقس ٢ : ١ـ ١٢ ؛ لوقا ٥ : ١٧-٢٦) ... **وغفر خطايا المرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى** حتى أن المتكئين تذمروا فى أنفسهم وقالوا : « مَنْ هذا الذى يغفر خطايا أيضاً » (لوقا ٧ : ٤٨ ، ٤٩) .

ولئلا يظن أحد أن قول المسيح عن غفران الخطايا ، ما هو إلاَّ مجرد كلام وادعاء لا يمكن التحقق من صدقه ، إذ مَنْ يدرى هل غُفرت

الخطايا أم لا !! وإذ كان يعلم المسيح ما يفكرون به فى قلوبهم ، أقرن قوله بمعجزة هى شفاء المفلوج الذى حمله الأربعة ، كدليل عملى وفعلى على أنه بالفعل قد غفر خطايا ذلك المفلوج هكذا قال لليهود المتورين : « أيما أيسر أن يُقال قم وامشى . ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ، قال للمفلوج لك أقول قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك » .

٤ ـ يعلم الخفايا والسرائر :

معلوم أن الله وحده هو عالم الخفايا والسرائر ، وفاحص القلوب والكلى ، كما يقول المرنم : **« فاحص القلوب والكلى هو الله البار »** (مزمور ٧ : ٩) . وقال سليمان فى صلاة تدشين الهيكل : **« أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر »** (ملوك الأول ٨ : ٣٩) ...

فى حياة السيد المسيح بالجسد نراه يعرف ما يدور فى الخفاء . فلقد كشف للمرأة السامرية ما خفى على الناس . قال لها : « إذهبى وادعى زوجكِ وتعالى إلى ههنا . أجابت المرأة وقالت ليس لى زوج . قال لها يسوع حسناً قلتِ ليس لى زوج . لأنه كان لك خمسة أزواج والذى لكِ الآن ليس هو زوجكِ . هذا قلتِ بالصدق . قالت له المرأة يا سيد أرى **أنك نبي »** ... ومن أجل أنها اكتشفت أنه عرف ما خفى على الناس ، ذهبت لأهل مدينتها تدعوهم إليه : « هلّموا انظروا إنساناً **قال لى كل ما فعلت** . ألعل هذا هو المسيح » (يوحنا ٤ :

١٦-٢٩) ... **وكان يعرف أفكار التلاميذ**، وكثيراً ما نقرأ فى الإنجيل هذه العبارة : « وعلم يسوع أفكارهم » (انظر متى ٩ : ٤ ، ١٢ ، ٢٥ ؛ لوقا ٥ : ٢٢ ؛ ٦ : ٨ ؛ ١١ : ١٧) ...

ومن هذا القبيل **عرف أفكار سمعان الفريسى** الذى دعاه إلى بيته . وأخذ يدينه فى داخله لما رآه يترك المرأة الخاطئة تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها ، وتقبّل قدميه وتدهنهما بالطيب . وقال فى نفسه لو كان هذا (يسوع) نبياً لعلم مَنْ هذه المرأة التى تلمسه وما هى . أنها خاطئة (لوقا ٧ : ٣٦-٤٠) .

كما أنه كشف لنثنائيل أمر حدث فى طفولته . فحينما قال عنه : « هوذا إسرائيلى حقاً لا غش فيه » ، قال له نثنائيل : « من أين تعرفنى » أجابه : « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » . **وإذ تملكت الدهشة نثنائيل قال للمسيح : « يا معلم أنت ابن الله .** أنت ملك إسرائيل » ... حينئذ قال له الرب يسوع : « هل آمنت لأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة . سوف ترى أعظم من هذا » (يوحنا ١ : ٤٧-٥٠) .

ويقدم التقليد الكنسى تفسيراً لدهشة نثنائيل الكبيرة حينما قال له المسيح : « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » ... لم يكن المقصود أن نثنائيل كان جالساً تحت التينة قبل أن يدعوه فيلبس مباشرة ... لكن لهذا الأمر قصة ترتبط بطفولة نثنائيل ... حينما أصدر هيرودس الملك أمره بقتل أطفال بيت لحم وكل تخومها من سن سنتين فما دون ،

كان هذا الأمر ينطبق على نثنائيل . فوضعته أمه فى سفط وأخفته بين أغصان إحدى أشجار التين . فلما جاء جند هيرودس لم يعثروا على أطفال وانصرفوا ... هذه القصة ربما لم يكن أحد يعرفها ، وكشفها المسيح ، ولذا كانت دهشة نثنائيل عظيمة .

وقد أنبأ المسيح بطرس بما كان عتيداً أن يلحقه من ضعف وإنكار: « الحق أقول لك أنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات . فقال (بطرس) بأكثر تشديد ولو أضطررت أن أموت معك لا أنكرك » (مرقس ١٤ : ٢٩-٣١) .

والمسيح حينما أراد أن يوفى ضريبة الدرهمين كجزية ولم يكن له ، أمر بطرس أن يذهب إلى البحر و يلقى صنارته والسمكة التى يصطادها أولاً سيجد فيها إستاراً يدفع منه عن المسيح وعن نفسه (متى ١٧ : ٢٤-٢٧) ... فكيف علم المسيح بأمر السمكة والإستار الذى فيها ؟!

والسيد المسيح بعد قيامته ظهر لتلاميذه فى وقت الصباح عند بحر طبرية ، وكانوا قد أمضوا ليلة لم يمسكوا فيها شيئاً من السمك ... قال لهم : « القوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا . فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك » (يوحنا ٢١ : ٣-٦) ... ما هذا ؟ إنه يعلم على وجه التحديد ... جانب السفينة الأيمن !!

والسيد المسيح على لسان يوحنا الرسول يوجه الكلام إلى ملاك كنيسة ثياتيرا (خادم كنيسة ثياتيرا) « هذا يقوله ابن الله الذى له عينان

كلهيب نار، ورجلاه مثل النحاس النقي، **فستعرف جميع الكنائس أنى أنا فاحص الكلى والقلوب**، وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله » (رؤيا ٢ : ٢٣) .

مَنْ يكون هذا الذى يعرف الخفايا و يفحص القلوب والكلى و يعرف ما فيهما ؟! مَنْ هو هذا ، إلاّ الذى قال فيه موسى : « السرائر للرب إلهنا ، والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد » (تثنية ٢٩ : ٢٩) ... ومن قال عنه دانيال النبى : « ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد ... هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور » (دانيال ٢ : ٢٠، ٢٢) .

٥ ـ هــو الديــان :

من المعلوم أن الله وحده هو ديان البشر وليس سواه يقول المرتل : « **لأن الله هو الديان** » (مزمور ٤٩ : ٦) . و يقول : « ارتفع يا ديان الأرض » (مزمور ٩٣ : ٢) ... **والسيد المسيح فى حديثه عن نهاية العالم ، الذى سجله متى فى إنجيله ، يرسم صورة للدينونة ، والمسيح هو الديان .** « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه . فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » (متى ٢٥ : ٣١-٣٣) .

و يقول فى موضع آخر : « **إن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله** » (متى ١٦ : ٢٧) ... **بل إنه يقولها صراحة : « لأن الآب لا يدين أحداً ، بل أعطى كل الدينونة للابن »** (يوحنا ٥ : ٢٢) ... ابن الله يسوع المسيح ربنا هو الذى سيدين العالم . و يقول الرب يسوع فى ختام سفر الرؤيا : « ها أنا آتى سريعاً وأجرتى (= جزائى) معى ، **لأجازى كل واحد كما يكون عمله** » (رؤيا ٢٢ : ١٢) .

٦ - بيده سلطان الحياة والموت :

من المعلوم أن سلطان الحياة والموت هو بيد الله وحده . يقول الله قديماً : « أنا هو ولا إله معى . **أنا أميت وأحيى** » (تثنية ٣٢ : ٣٩) . **والسيد المسيح ينسب لذاته هذا السلطان فيقول** : « كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم . **كذلك الابن أيضاً يحيى مَنْ يشاء** » (يوحنا ٥ : ٢١) . إن كلمة « **مَنْ يشاء** » تعنى أن المسيح ليس مكلفاً بل هذا فى سلطانه .

وفى نفس الموضوع يقول : « تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته (= صوت ابن الإنسان) . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ،والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوحنا ٥ : ٢٨ ، ٢٩) . **ومعنى عبارة : « يسمعون صوته » أى يسمعون قوة الأمر الصادر من فمه الإلهى المبارك ، مثل صوته الآمر للعازر: « هلّم**

خارجاً » ، **ومثل صوته الآمر لابن أرملة نايين : « أيها الشاب لك أقول قم »** ... هذا الصوت الآمر يجعل الذين فى القبور يقومون بقدرة وقوة الكلمة التى أصدرها إليهم ... يقول السيد المسيح : « خرافى **تسمع صوتى** وأنا أعرفها فتتبعنى ، **وأنا أعطيها حياة أبدية** ولن تهلك إلى الأ بد » (يوحنا ١٠ : ٢٧ ، ٢٨) ... وفى كلامه عن الإفخارستيا ومفعولها يقول رب المجد : « مَنْ يأكل جسدى و يشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يوحنا ٦ : ٥٤) .

٧ - العصمة من الخطأ :

ليس أحد معصوماً من الخطأ إلاَّ الله وحده . يقولون : [العصمة لله وحده] . الجميع أخطأوا وزاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله . ليس مَنْ يصنع صلاحاً ليس ولا واحد . **لكن السيد المسيح قال متحدياً اليهود : « مَنْ منكم يبكتنى على خطية »** (يوحنا ٨ : ٤٦) . أى مَنْ منكم يثبت علىَّ خطأ . وقد قال السيد المسيح هذه العبارة لليهود بعد أن و بخهم وقال لهم : « أنتم من أب هو إبليس . وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » ... ولا شك أن هذه الكلمات عبأت فيهم مشاعر الغضب ، ومع ذلك لم يستطع ولا واحد فيهم أن يثبت عليه خطأ واحداً . رغم أنهم كانوا يرصدون حياته وخطواته وكلماته ؟!

مَنْ مِنَ القديسين والأنبياء تجرأ على أن ينطق بمثل هذه الكلمات حتى العذراء مريم ، الممتلئة نعمة تظهر حاجتها إلى مخلّص

وتقول : « تبتهج روحى بالله مخلصى ... هوذا أنا أمة الرب » .

إن جميع البشر يهتفون مع أيوب فى حضرة الله : « أأخطأت . ماذا أفعل لك يا رقيب الناس ، ولماذا لا تغفر ذنبى ولا تزيل إثمى لأنى الآن أضطجع فى التراب . تطلبنى فلا أكون » (أيوب ٧ : ٢٠ ، ٢١) ... **والبشر جميعاً يفزعون مع داود :** « لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت لكى تتبرر فى أقوالك وتزكو فى قضائك . هأنذا بالإثم حُبِلَ بى وبالخطية ولدتنى أمى » (مزمور ٥١) . **والبشر جميعاً يهتفون مع إشعياء :** « ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين.وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، ولأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود » . والبشر الضعفاء الخطاة يرددون مع يوحنا الرسول : « إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (يوحنا الأولى ١ : ٨) .

لكن المسيح وحده هو الذى نسب لذاته العصمة : « مَنْ منكم يبكتنى على خطية » (يوحنا ٨ : ٤٦) . ويشير إلى أحداث الصليب فيقول : « **رئيس هذا العالم (= الشيطان) يأتى وليس له فىَّ شىء** » (يوحنا ١٤ : ٣٠) . ويقول القديس بطرس عن المسيح : « **الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر** » (بطرس الأولى ٢ : ٢٢) . ولا عجب فلقد قال الملاك للعذراء مريم : « **القدوس المولود منكِ يدعى ابن الله** » (لوقا ١ : ٣٥) **وكلمة قدوس لا تُطلق إلاَّ على الله** ، أما البشر فقديسون ويقول معلمنا بولس الرسول عن المسيح الرب : « **قدوس بلا شر ولا دنس قد إنفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات** » (عبرانيين ٧ : ٢٦) .

٨ ـ المسيح هو رب الشريعة (= معطى الشريعة) :

مَنْ مِنَ الأنبياء أو الرسل أو المبشرين له سلطان أن يضع تشريعاً يجدد به تشريعاً إلهياً قديماً قائماً إلاَّ الله نفسه . **لكن المسيح أظهر بأقواله وتصرفاته أنه رب الشريعة** « سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . ومَنْ قتل يكون مستوجب الحكم . **أما أنا فأقول لكم** إن كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ... سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . **أما أنا فأقول لكم** إن كل مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ... وقيل مَنْ طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . **وأما أنا فأقول لكم** إن مَنْ طلق امرأته إلاَّ لعلة الزنى يجعلها تزنى . ومَنْ يتزوج مطلقة فإنه يزنى ... إلخ » (متى ٥) .

وفى أحد السبوت إذ كان الرب يسوع يسير مع تلاميذه بين الزروع جاعوا وقطفوا سنابل القمح وأكلوا ، فتذمر الفريسيون معترضين على التلاميذ أنهم كسروا السبت . فقال لهم المسيح له المجد : « أما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت يدنسون الهيكل وهم أبرياء . **ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل ... إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً** » (متى ١٢ : ١ ـ ٨ ؛ مرقس ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ؛ لوقا ٦ : ٥) . **ويعنى بقوله : « ابن الإنسان هو رب السبت » أنه رب الشريعة . إذ مَنْ يكون المسيح الذى يعدل الشريعة القديمة التى أعطاها الله لموسى ، إلاَّ إذا كان هو الله نفسه ...**

٩ ـ المسيح الابن مساو للآب :

ونستطيع أن نلمس هذه المساواة فى النقاط الآتية :

المسيح مساو للآب فى الجوهر وفى القدرة على كل شىء ، وفى المعرفة الكائنة بينه وبين الآب ، وفى الكرامة نتكلم عن كل نقطة من هذه النقاط .

+ فى الجـــــوهر :

لقد أوضح المسيح فى أحاديثه أنه واحد مع أبيه فى الجوهر. فبينما كان يتحدث إلى تلاميذه و يقول لهم : « أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بى . لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً . ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ، قال له فيلبس **يا سيد أرنا الآب وكفانا** قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس . **الذى رآنى فقد رأى الآب .** فكيف تقول أنت أرنا الآب **ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ** الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى ، لكن الآب الحال فىَّ هو يعمل الأعمال . **صدقونى أنى فى الآب والآب فىَّ .** وإلاَّ فصدقونى لسبب الأعمال نفسها » (يوحنا ١٤ : ٦-١١) .

+ فى المعرفة الكائنة بينه وبين الآب :

إن المسيح يعرف الآب معرفة عيانية يقينية ، ليست كمعرفة

الإنسان لله ولا حتى معرفة الأنبياء الملهمين بالروح القدس. قال له المجد: « ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومَنْ أراد الابن أن يعلن له » (متى ١١ : ٢٧) ... هنا نرى المسيح يسوى بين معرفته للآب ومعرفة الآب له بصورة لا نظير لها. ثم إن هذه المعرفة موقوفة على الابن أى قاصرة على الابن « مَنْ أراد الابن أن يعلن له ».

+ فى القدرة على كل شىء :

واضح أن المسيح نسب إلى نفسه القدرة على كل شىء وإلاَّ لما قال لتلاميذه: « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يوحنا ١٥ : ٥). كما يقول أيضاً: « لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن أيضاً يحيى مَنْ يشاء » (يوحنا ٥ : ٢١) ... ويقول فى سفر الرؤيا: « أنا هو الألف والياء. البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء » (رؤيا ١ : ٨). ويتحدث عنه القديس بولس الرسول فيقول: « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عبرانيين ١ : ٣).

+ فى الكرامة :

السيد المسيح بعد شفاء مريض بيت حسدا، قال لليهود إن الابن

يعمل نفس أعمال الآب . ثم ختم كلامه بقوله : « **ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . ومَنْ لا يكرم الابن لا يكرم الآب** » (يوحنا ٥ : ٢٣) .

١٠ ـ الحضور فى كل مكان وزمان :

معلوم أن الله وحده ، باعتباره غير محدود ، هو الذى يملأ كل مكان ، لأن الله روح غير محدود وليس مادة ... حديث المسيح له المجد إلى نيقوديموس عن الولادة الثانية بالمعمودية قال له : « إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات . **وليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء** » (يوحنا ٣ : ١٢ ، ١٣) صعد ونزل وهو فى السماء . وكأنه يقول لنيقوديموس : « وأنا أكلمك الآن ، أنا فى السماء » .

وقبيل صعوده إلى السماء قال لتلاميذه القديسين : « **وها أنا معكم كل الأيام حتى إنقضاء الدهر** » (متى ٢٨ : ٢٠) . كما يقول : « **حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم** » (متى ١٨ : ٢٠) . أى أنه لو إجتمع إثنان فى إستراليا أو جنوب أفريقيا أو أمريكا أو عند خط الاستواء أو فى أى مكان ، هناك يكون المسيح فى وسطهم .

المسيح يعمل جميع أعمال الله

بعد معجزة شفاء مريض بيت حسدا قال السيد المسيح لليهود : « الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ إذا رأى الآب قد عمله . **لأن مهما عمل ذاك (= الآب) فهذا يعمله الابن كذلك** » (يوحنا ٥ : ١٩) ... **فالمسيح إذن عمل جميع أعمال الله . ويمكننا أن نلاحظ ذلك بالتأمل فى النقاط الآتية :**

(أ) قـــوة الخـــلق :

يقول يوحنا الرسول فى فاتحة إنجيله : « **كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان** » ... ويقول القديس بولس السول عن المسيح : « **به أيضاً عمل العالمين** » (عبرانيين ١ : ٢) ؛

وهناك معجزة تفتيح عينى المولود أعمى التى نقرأ عنها فى (ص ٩) من إنجيل يوحنا هذا الرجل لم يكن فاقد البصر شأنه شأن بقية العميان . لكن تجويف العين كان موجوداً بينما المقلتين غير موجودتين . **لقد خلق المسيح مقلتين لهذا الأعمى .** لقد تفل على الأرض وأخذ من الطين وطلى به عينى المولود أعمى . وقال له إذهب إغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مرسل . فذهب واغتسل وعاد مبصراً

والطين كما نعلم هى المادة التى خلق الله بها الإنسان في البداية من الطين خلق المسيح عينين لذلك الرجل وكانت المعجزة عجيبة وفريدة حتى قيل : « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى » ... والمسيح هنا يُظهر ــ لا قدرته على الشفاء ــ بل قدرته على الخلق وأنه هو عينه الذى خلق فى أول الزمان .

(ب) قوة حفظ الأشياء :

والمسيح يستطيع أن يحفظ الأشياء حتى أن معلمنا بولس يقول عنه : « أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم (= يوم الدينونة) » (تيموثاوس الثانية ١ : ١٢) . وهو يستطيع أن يحفظ كل شيء .

(جـ) صنع العجائب والمعجزات :

مجال صنع المعجزات بالنسبة للسيد المسيح يشمل أربعة ميادين . لقد أظهر السيد المسيح سلطانه على الإنسان ، وعلى مملكة الحيوان ، وعلى مملكة النبات ، وعلى الجمادات .

فيما يختص بسلطانه على الإنسان :

الإنجيل ملىء بالمعجزات . ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه المعجزات . والقرآن نفسه يشهد للسيد المسيح بأنه كان مقتدراً فى عمل

المعجزات وأقام الموتى ، وإن كان ذلك « بإذن الله » !! **ويتوج هذه المعجزات إقامته للموتى.** والمسيح له المجد أقام موتى كثيرين ولكن الإنجيليين لم يسجلوا لنا سوى ثلاث معجزات منها . هذه الثلاث معجزات هى إقامة ابنة يايروس وإقامة الشاب ابن أرملة نايين وإقامة لعازر من القبر . ونلاحظ أن هناك تدرج .

ابنة يايروس كانت صغيرة وكان جسدها لم يزل بمنزلها ... كانت ترقد ممددة على فراشها . وقد أقامها المسيح من الموت بقوله لها : « يا صبية قومى » (متى ٩ : ١٨- ٢٦ ؛ مرقس ٥ : ٣٥- ٤٣ ؛ لوقا ٨ : ٤٩ - ٥٥) .

والشاب ابن أرملة نايين كان قد وضع فى النعش وحملوه فى طريقهم إلى المقابر . وتقابل معهم المسيح فى الطريق . ولمس النعش فوقف الحاملون وقال : « أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وأبتدأ يتكلم » (لوقا ٧ : ١١-١٦) . ونلاحظ أن الشاب ظل ميتاً فترة أطول كما أنه حمل خارج البيت . فإذا أتينا إلى لعازر نجده أمضى فترة أطول من الاثنين . فقط ظل مدفوناً فى القبر أربعة أيام . ومرثا أخت الميت أشفقت على المسيح ، وقالت فى يأس : **« يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام »** .

والإنجيل المقدس يسجل هذه المعجزات الثلاثة بتدرجها حتى يقطع كل شك فى قدرة المسيح اللاهوتية فإذا قيل بنوع من المماحكة إن إبنة يايروس كانت فى حالة أغماء ، وأن الشاب ابن أرملة نايين كان

فى حالة إغماء لفترة أطول ، فماذا يمكن أن يقال عن لعازر الذى أنتن ومكث فى القبر أربعة أيام !!

لقد أظهرت هذه المعجزات الثلاثة قدرة المسيح اللاهوتية . لكن إلى جانب ذلك فهى تعطينا تأملاً روحياً فى قدرة المسيح الروحية أيضاً كما يقول القديس أغسطينوس ... كان الميت — فى العهد القديم يعتبر نجساً ، ومَنْ يمس ميتاً يظل نجساً سبعة أيام ... وهذه إشارة إلى ما تفعله الخطية ... فالخطية هى الموت الروحى الحقيقى ... وهؤلاء الموتى يشيرون إلى مراحل الخطية ... ابنة يايروس تشير إلى الخطية وهى صغيرة ومازالت مخفية فى القلب على نحو ما كانت هى ميتة ومازالت بالبيت . والشاب ابن الأرملة يشير إلى الخطية وهى فى عنفوانها وقد خرجت إلى خارج وعرفت للناس . أما حالة لعازر فتشير إلى الخطية فى أبشع مراحلها . « **قد أنتن » !! ومع ذلك فالسيد المسيح أظهر قدرة فى كل من هذه الحالات ... وأنت مهما كانت خطاياك ، تقدم إليه فى ثقة وإيمان ، وهو بقوته يقيمك من موت الخطية** ...

فيما يختص بسلطانه على مملكة الحيوان :

أما سلطان المسيح على مملكة الحيوان فنستطيع أن نراه ونلمسه فى **معجزة صيد السمك الكثير** التى أوردها القديس لوقا فى (لوقا ٥ : ١-١١) حينما دخل سفينة بطرس بعد ليلة لم يصطادوا فيها شيئاً البتة والصيادون غسلوا شباكهم ... وعلى كلمة المسيح دخلوا إلى العمق وألقوا

شباكهم للصيد فأمسكوا سمكاً كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرق، حتى أنهم طلبوا إلى شركائهم فى سفينة ابنى زبدى أن يأتوا ويساعدوهم.

ومرة أخرى بعد قيام المسيح المجيدة تتكرر نفس المعجزة تقريباً ويحدد المسيح للتلاميذ المكان الذى يلقوا فيه شباكهم للصيد **« إلى جانب السفينة الأيمن »** وأصطادوا فى تلك المرة مائة وثلاثة وخمسين سمكة كبيرة (يوحنا ٢١ : ١-١١).

ومن أمثلة سلطان المسيح على مملكة الحيوان ما حدث حينما تقدم للذين يأخذون الدرهمين كضريبة إلى بطرس يسألونه ما يخص المسيح. **فأشار إليه المسيح أن يذهب إلى البحر ويلق صنارته والسمكة التى تطلع أولاً يجد فيها إستاراً يدفع من قيمته هذه الضريبة** (متى ١٧ : ٢٤-٢٧).

أما إظهار المسيح لسلطانه على مملكة النبات :

فهذا ما نراه فى لعنه للتينة التى كانت مورقة ولا تحمل ثمراً، فى طريقه من بيت عنيا إلى أورشليم (يوم أثنين البصخة عقب دخوله أورشليم فى يوم أحد الشعانين). وكانت النتيجة أن « يبست التينة فى الحال » (متى ٢١ : ١٨-٢٠).

أما سلطانه على الجمادات :

فنراه فى سلطانه على الخمسة أرغفة حين أشبع منها عدة آلاف فى البرية بعد أن باركها (لوقا ٩ : ١٠-١٧) ... ونراه كذلك فى مشيه على الماء ، ومشى بطرس أيضاً على الماء بناء عن أمره (متى ١٤ : ٢٥-٣١) . و يتضح ذلك من سلطانه على البحر والريح والعواصف ، حتى أن الناس تعجبوا وقالوا : « أى إنسان هذا فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه » (متى ٨ : ٢٣-٢٧) ... ومن ذلك أيضاً دخوله على تلاميذه أكثر من مرة فى العلية وأبوابها ونوافذها مغلقة وذلك عقب قيامته المجيدة (يوحنا ٢٠ : ١٩-٢٦) .

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام أن الرسل والتلاميذ صنعوا معجزات باهرة لكنهم صنعوها باسمه ، وبناء على السلطان الذى منحهم إياه ... فبعد أن عين الرب سبعين تلميذاً إلى جانب الاثنى عشر ، أرسلهم فى إرساليات تدريبية ، وأعطاهم سلطاناً على شفاء الأمراض وإخراج الأرواح الشريرة ... وبعد إنتهاء مهمتهم « رجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » (لوقا ١٠ : ١-١٧) ... والقديسان الرسولان بطرس و يوحنا شفيا الرجل المقعد الذى كان له أكثر من أربعين سنة وكان يجلس عند باب الهيكل الجميل — شفياه بقولهما : « باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش » (أعمال الرسل ٣ : ١-١٠) .

المسيح قبل السجود والتعبد له

من المعروف أن السجود والتعبد يقدمان لله وحده . فلا يجوز السجود لغير الله . ولا يجوز سجود العبادة لمخلوقات على الاطلاق ، وحسب الوصية : « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠ ؛ لوقا ٤ : ٨) **فإذا كان المسيح قد قبل السجود والعبادة فمَنْ يكون ؟!**

لقد قبل السيد المسيح السجود من كثيرين ... ومنهم الأبرص السامرى الجنس الذى شفاه (لوقا ١٧ : ١١-١٩) ... ومنهم المولود أعمى الذى فتح عينيه ... فى معجزة تفتيح عينى المولود أعمى بعد أن شفاه المسيح وصنع له عينين من الطين وأسكن فيهما النور . وبعد حوار مغرض بين الفريسيين وذلك الذى كان أعمى ووالداه ، وبعد أن حكم عليه هؤلاء الفريسيين بالخروج من المجمع ، قابله الرب يسوع وقال له : « أتؤمن بابن الله . أجاب ذلك وقال مَنْ هو يا سيد لأؤمن به . فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو . فقال أؤمن يا سيد **وسجد له** » (يوحنا ٩ : ٣٥-٣٨) .

وقد قبل المسيح التعبد من توما الرسول ... نحن نعلم قصة الشك التى رويت عن توما حينما أخبره الرسل أنهم رأوا الرب ، بينما لم يكن هو معهم . وكيف أنه قال للرسل أنه لن يؤمن ما لم يضع أصبعه فى

أثر المسامير ويضع يده فى الجنب الذى فتحته الحربة ... ذلك الشك الذى قدم للمسيحية خدمة جليلة ... حينا أظهر المسيح ذاته لتلاميذه ومعهم توما قال له : « هات اصبعك إلى هنا وابصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . **أجاب توما وقال له ربى وإلهى .** قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يوحنا ٢٠ : ١٩-٢٩) ...

كما أن المسيح له المجد أيضاً تقبل الصلاة ويتقبل أرواح العباد هكذا صلت إليه الكنيسة الأولى حينما أرادوا أن ينتخبوا رسولاً آخر خلفاً ليهوذا الاسخريوطى الخائن . لقد صلوا هكذا وقالوا : « **أيها الرب** العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الاثنين أياً أخترته » (أعمال الرسل ١ : ٢٤) . وألقوا القرعة فوقعت على متياس .

والقديس بطرس الرسول فى يوم الخمسين وهو اليوم الذى تأسست فيه الكنيسة عندما حل الروح القدس ، على الرسل والتلاميذ فى شكل ألسنة نارية ، اقتبس من نبوءة يوئيل النبى : « ويكون **كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلص** » (أعمال الرسل ٢ : ٢١) . **والمقصود بالرب هنا المسيح . أى يصلى باسم المسيح . واستفانوس أول شهداء المسيحية** بينما كانوا يرجمونه بالحجارة . كان يدعو ويقول : « **أيها الرب يسوع إقبل روحى** » (أعمال الرسل ٨ : ٥٩) . على أن صلاة استفانوس هذه ، والتى رفعها إلى الله فيما كان اليهودد يرجمونه بالحجارة ، لم تكن شيئاً جديداً ... فمما لا شك فيه أنها كانت إمتداداً لصلواته السابقة التى إعتادها ، بل ولصلوات الكنيسة كلها أنذاك .

وفى قصة إيمان بولس الرسول نقرأ عن المسيحيين أنهم كانوا يدعون باسم الرب يسوع ، أى يصلون باسمه . هكذا قال حنانيا للرب يسوع . وهذا ما علق به كل مَنْ سمع بولس يكرز بالمسيح فى دمشق عقب إيمانه (انظر أعمال الرسل ٩ : ١٤، ٢١) ... وبعد أن إلتقى حنانيا بشاول (بولس) قال له : « والآن لماذا تتوانى . قم واعتمد واغسل خطاياك ، داعياً باسم الرب » (أعمال الرسل ٢٢ : ١٦) ، أى صل للرب « يسوع » ... وبعد فترة وجيزة ، كتب بولس رسالة إلى كنيسة كورنثوس عنونها إلى القديسين « مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح فى كل مكان » (كورنثوس الأولى ١ : ٢) ... ولا جدال فى أن هذا التعبير معناه تقديم الصلاة للرب يسوع .

والقديس بولس الرسول كان يصلى للرب يسوع فى الهيكل بأورشليم (أعمال الرسل ٢٢ : ١٧-٢١) . ويقول لأهل فيلبى : « على أنى أرجو فى الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس » (فيلبى ٢ : ١٩) . وفى (تيموثاوس الأولى ١ : ١٢) يقول : « وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى أنه حسبنى أميناً ، إذ جعلنى للخدمة » ... وكلا التعبيرين يظهران أن الرب يسوع كان هو محور تفكير الرسول بولس ، على نحو ما نطلق نحن التعبيرات المعتادة [إن شاء الله ، وأشكر الله] ... إن الرب يسوع هو الإله الذى عبده بولس ، والذى ظهر له فى الجسد ... وواضح من كلام بولس بخصوص شوكة جسده ، أن صلواته كان يقدمها للرب يسوع ... من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات ... فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل علىَّ قوة المسيح

(كورنثوس الثانية ١٢ : ٨-١٠) .

وأود أن ألفت النظر إلى أمر فى غاية الأهمية بالنسبة لهذه النقطة ... **فلم تكن الكنيسة التى على الأرض (الكنيسة المجاهدة) ، هى التى تصلى وحدها للمسيح . بل إشتركت معها كل الخلائق فى السماء :**

يقول بولس الرسول فى الرسالة إلى العبرانيين وهو يثبت أن المسيح أعظم من الملائكة وكل الخلائق : « لأنه لمَنْ من الملائكة قال قط أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً . وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله . وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار . وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » (عبرانيين ١ : ٥-٨) ... و يقول أيضاً عن المسيح : « لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم . **لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّنْ فى السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض .** و يعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب » (فيلبى ٢ : ٩-١١) .

من هذه الآيات يتضح أن الرب يسوع ـــ الإله المتجسد ـــ عبده الملائكة والبشر وأرواح المنتقلين ... **ولم تكن صلوات عبيده وخدامه على الأرض ، إلاَّ إنعكاساً لصلوات الكنيسة المنتصرة فى السماء . والأمر واضح فى رسائل يوحنا ورؤياه ... يقول :**

« وهذه هى الثقة التى عنده ، أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا . وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا ، نعلم أن لنا الطلبات التى طلبناها منه » (يوحنا الأولى ٥ : ١٤ ، ١٥) ... **هذه التوسلات من الكنيسة المجاهدة على الأرض ، تتوافق مع العبادة التى تقدم للرب يسوع المسيح فى السماء :**

« ورأيت فإذا فى وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح » (الرؤيا ٥ : ٦) ... **ثم يرسم لنا يوحنا صورة ثلاث فئات تقدم العبادة للمسيح (الخروف القائم كأنه مذبوح) ...**

الفئة الأولى : الأربعة حيوانات غير المتجسدين ، والأربعة وعشرون كاهناً ... **والفئة الثانية :** ربوات وألوف من الملائكة ... **والفئة الثالثة :** يقول عنها يوحنا : « كل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض ، وما على البحر كل ما فيها » (الرؤيا ٥ : ٨-١٤) **وقد يختلف المفسرون فى مدلولات رموز سفر الرؤيا النبوية ، لكن لن يختلف إثنان** فى مَنْ يكون **الخروف المذبوح ، وطبيعة العبادة التى تقدم له ...**

وقد سلمت كنيسة الرسل هذه العقيدة إلى الأجيال التالية ... ويشير الآباء الرسوليين ــ تلاميذ الرسل ــ فى كتاباتهم إلى عبادة ربنا يسوع المسيح ، كشىء غير قابل للنقاش ...

فالقديس أغناطيوس الأنطاكى الشهيد (+ ١٠٧) يكتب إلى

مؤمنى رومية قائلاً : [**إسألوا المسيح** أن يجعل **منى ضحية بواسطة هذه الحيوانات**] ... **والقديس بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول** يفتتح رسالته إلى أهل فيلبيى ببركة هى فى حقيقتها صلاة لربنا يسوع المسيح ... وفى وقت إستشهاده قدم صلاته للمسيح .

وتقول قصة إستشهاد بوليكاربوس التى كتبتها كنيسة سميرنا (أزمير) عقب إستشهاده مباشرة ، أن اليهود أدركوا رغبة المسيحيين فى إختطاف جسد بوليكاربوس من النار ، فحرضوا الوالى ألاّ يسلم الجسد للمسيحيين ، لئلا يتركوا المصلوب (المسيح) و يعبدوا بوليكاربوس ... ثم يعلقون على ذلك بقولهم عن اليهود [**غير عالمين أننا لن نترك المسيح الذى تألم من أجل خلاص كل العالم ، ولن نعبد آخر**] .

والمدافعون المسيحيون فى القرن الثانى أشاروا إلى عبادة المسيح ، بعد أن أتهمهم الوثنيون بعبادة آلهة متعددة ... **من هؤلاء يوستينوس الشهيد** (+١٦٦م) . فى دفاعيه اللذين قدمهما للإمبراطور أنطونيوس بيوس ، وكذا فى حواره مع تريفو الحاخام اليهودى فى مدينة أفسس حيث يثبت له من كتاب العهد القديم أن الأنبياء تنبأوا عن عبادة المسيح ...

والليتورجيات القديمة تقطع بأن العبادة كانت تقدم للمسيح يسوع ربنا :

ففى ليتورجية القديس يعقوب الرسول : (أخى الرب) يقول الكاهن فى صلاة رفع البخور : « يا ربنا وملكنا يسوع المسيح ، يا كلمة

الله ، الذى قدم ذاته بإرادته لله الآب ، ذبيحة بلا عيب على الصليب » ... و يرتل الشماس قائلاً : « أنت هو ابن الله الوحيد وكلمة الله غير المائت ، الذى تنازلت من أجل خلاصنا ، فأخذت جسداً من والدة الإله القديسة مريم الدائمة البتولية ... أنت أيها المسيح إلهنا ، دست الموت بموتك » . **وكذلك فى ليتورجية القديس مار مرقس أحد السبعين رسولاً** (القداس الكيرلسى) . وهما من أقدم الليتورجيات .

ولم تكن العبادة تقدم للمسيح وحسب ، بل كان الناس يدعون أنفسهم عبيداً له ، كما يذكر الرسول مراراً أنه « عبد يسوع المسيح » ... يقول لأهل غلاطية : « فلو كنت بعد أرضى الناس ، لم أكن **عبداً للمسيح** » (غلاطية ١ : ١٠) .

وكان كل مَنْ يؤمن بالمسيح عليه أن ينال سر المعمودية المقدسة على اسمه « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) ... وفى عظته يوم الخمسين يقول بطرس الرسول لسامعيه وكان عددهم بالآلاف ، رداً على سؤالهم : « ماذا نفعل » ... « توبوا **وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح** لغفران الخطايا » (أعمال الرسل ٢ : ٣٨) ... وهكذا فإن كل مسيحى حتى الآن لا يصبح مسيحياً إلاَّ إذا إعتمد على اسم يسوع المسيح ربنا .

المسيحية ديانة التوحيد



حقيقة التثليث أمام العقل .

حقيقة التثليث على ضوء الدين .

ماهية الثالوث فى الواحد .

التثليث المسيحى غير التثليث الذى
يشير إليه القرآن

لماذا دعى الأقنوم الثانى بالابن ؟

مساواة الأقانيم الثلاثة فى الذات الإلهية

يقف الإنسان مندهشاً حينما يُرمى المسيحيون بالكفر والشرك . وهم الذين علموا العالم التوحيد ، و يبدأون عبادتهم و يستفتحون صلواتهم قائلين : « باسم الآب والابن والروحالقدس **الإله الواحد** » . ومع كل ذلك مازالت التهمة معلقة على رؤوسنا . ليس لأنها تهمة حقيقية ، ولكن لأنه هكذا شاء أعداء المسيحية ... **المسيحية أيها الإخوة لم تؤمن بالوحدانية فحسب بل هى التى علّمت العالم التوحيد ، وأن الله لا يمكن إلاّ أن يكون واحداً ...**

فالمسيحية حينما ظهرت وبدأت تكرز بمبادئها كان العالم من الناحية الدينية ينقسم إلى قسمين : اليهود والأمم أو اليهود والوثنيين أو كما يدعوهم بولس الرسول فى رسائله الختان والغرلة . العالم كله كان غارقاً فى الوثنية باستثناء قلة قليلة جداً جداً ، بالنسبة لمجموع سكان العالم فى ذلك الوقت وهم اليهود . رأت المسيحية أن هناك ضرورة موضوعة عليها ، ألاَ وهى تعليم التوحيد للوثنيين فى العالم ، وأن الله واحد ... والوثنيون كما تعلمون جميعاً عبدوا آلهة مختلفة متعددة .

ففى مصر مثلاً أيام قدماء المصريين كان هناك آلهة عامة مثل الإله رع والإله آمون . وكانت هناك آلهة إقليمية لكل إقليم ، بل كان هناك إله لكل مدينة ، وكانت هناك آلهة شخصية ، وأحياناً للأسرة . **وقد جمع الوثنيون فى عبادتهم بين الآلهة الخيرة والآلهة الشريرة . وقد عبدوا الآلهة الخيرة إستجلاباً لرضاها ، والآلهة الشريرة دفعاً لأذاها .**

وإذا كنا نتكلم عن ديانة قدماء المصريين . فلنعلم أنها ديانة أرقى من ديانات كثيرة عبدها الناس فى أماكن أخرى من العالم فى تلك الأزمنة . **كانت هناك بلا شك تعدد فى الآلهة . وكان على المسيحية أن تواجه الوثنية وتواجه هذا التعدد من ناحية أخرى . ونحن نستطيع القول دون ما أحساس أننا تجاوزنا الحقيقة أن المسيحية هى التى حاربت الوثنية فى كل صورها ومفاهيمها ومن ضمنها تعدد الآلهة .**

حقيقة أن اليهود كانوا يعبدون الله الواحد . **ولكن اليهود فى تاريخهم المبكر كانوا من حين إلى حين يتركون عبادة الإله الواحد إلى عبادة الآلهة الأخرى .** وسفر القضاة ـــ وهو من أسفار العهد القديم ـــ شاهد حق على هذا الكلام ، هذا من ناحية . **ومن ناحية أخرى فإن اليهودية كانت ديانة متحوصلة على ذاتها ، ولم تكن بحال ديانة كارزة .** فقد منعهم الله من الإتصال بالشعوب الأخرى والتزاوج منها خوفاً عليهم من إنتقال عدوى الوثنية إليهم .

ولم يعرف اليهود نظام التبشير أو الكرازة إلاً فى القرن الأول قبل الميلاد . الأمر الذى لأجله قال المسيح له المجد موبخاً الكتبة والفريسيين : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراؤون لأنكم **تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً** » (متى ٢٣ : ١٥) . ولعل القارىء فى كتاب العهد الجديد يلمس العداوة التقليدية بين الكتبة والفريسيين من

ناحية ، والصدوقيين من ناحية أخرى . أما سر العداوة فكان إتصال الصدوقيين بالاغريق الوثنيين بقصد التحضر . **وعلى أية حال فلم يكن لليهودية نصيب يذكر فى محاربة الوثنية وتعدد الآلهة والتبشير بالإله الواحد . أما الذين فعلوا ذلك فهم المسيحيون .**

لقد حارب آباء المسيحية ومعلموها وفلاسفتها ومدافعوها الأثنينية التى علمت بوجود إلهين ، إله للخير وإله للشر. وكانت هذه العبادة سائدة على وجه الخصوص فى بلاد فارس . **كما حاربوا تعدد الآلهة التى آمن بها اليونان والرومان ومعهم سائر شعوب العالم .** وفى الفترة المبكرة فى حياة الكنيسة تعرضت المسيحية لنوعين من الحرب حرب السيف . وحرب القلم . وقد صمدت أمام الاثنين ... ولقد ثبتت أمام حرب السيف بالإيمان البطولى الذى تحلى به الشهداء والمعترفون المسيحيون . أما حرب القلم فقد جابهته بكتابات أولادها من الفلاسفة المسيحيين الذين كرسوا أنفسهم لهذا الأمر. كرّس هؤلاء المدافعون المسيحيون أقلامهم للدفاع عن مبدأ التوحيد . ومنهم يوستينوس الشهيد والعلامة أثيناغوراس وأكليمنضس الاسكندرى من القرن الثانى الميلادى ، والعلامة ترتليانوس والعلامة أوريجينوس من القرنين الثانى والثالث وغيرهم كثيرون .

كانت مقاومة المسيحية للعبادة الوثنية بكل صورها ومفاهيمها كإقامة المعابد والتماثيل والضحايا الحيوانية والسكائب التى تسكب كل ذلك كان سبباً من أسباب سلسلة الاضطهادات التى حلت

بالكنيسة والمسيحيين قرابة ثلاثة قرون من الزمان .

الخطأ الذى يقع فيه مَنْ يهاجم المسيحية من زاوية التثليث ، أنهم يفصلونه عن التوحيد ، فيصبح هذا الاعتقاد فى نظرهم لوناً من الشرك . أى أن المسيحيين يشركون مع الله آخرين فى العبادة هم يقرأون أو يسمعون أو يعرفون أن المسيحيين يقولون : « باسم الآب والابن والروح القدس » لكنهم يقفون عند هذا الحد ولا يستمعون إلى التكملة : « الإله الواحد » . **والحق أننا معشر المسيحيين نؤمن بإله واحد وليس بثلاثة آلهة .** وفى رأيى إن موضوع التوحيد أى الاعتقاد بالله بديهة من البديهيات حتى أن يعقوب الرسول يقول : « **أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل .** والشياطين يؤمنون و يقشعرون » (**يعقوب ٢ : ١٩**) . أى أنك لست وحدك الذى تؤمن بالله واحد بل إن الشياطين يؤمنون بنفس هذا الإيمان . **وإذا كانت الشياطين تؤمن وتقشعر ، ونحن نُتهم بأننا نعبد ثلاثة آلهة ، فمعنى ذلك أننا فى نظر هؤلاء الناس لم نصل بعد إلى إيمان الشياطين !!**

لندخل إلى صلب الموضوع ولنرجع إلى الكتاب المقدس ــ كتاب المسيحيين ــ لنرى ماذا يقول فى هذه القضية ...

قال موسى النبى : « أعلم اليوم وردد فى قلبك أن **الرب هو الإله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من أسفل ، ليس سواه** » (تثنية ٤ : ٣٩) . وقال أيضاً : « إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » (تثنية ٦ : ٢٤) . و يقول الرب : « **أنا أنا هو وليس إله معى .** أنا

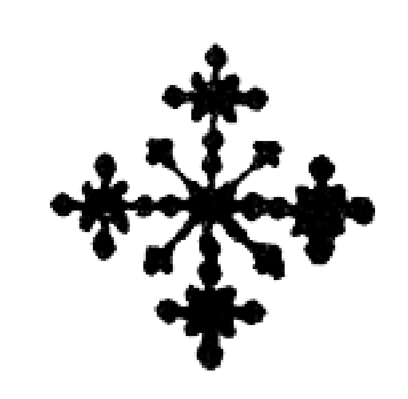
أميت وأحيى » (تثنية ٣٢ : ٣٩) . وقال الرب بلسان إشعياء النبى : **« أنا الرب ولا إله غيرى . إله بار ومخلّص ليس سواى »** (إشعياء ٤٥ : ٢١) . **هذا الكلام وارد فى كتاب العهد القديم ، والمسيحيون ملتزمون به ، فهو جزء من كتابهم المقدس .**

فإذا أتينا إلى العهد الجديد ، نجد أن السيد المسيح يقول : « ليس أحد صالح **إلاَّ واحد وهو الله** » (متى ١٩ : ١٧) ... « إن أول كل الوصايا ، اسمع يا إسرائيل **الرب إلهنا رب واحد** » (مرقس ١٢ : ٢٩ ؛ تثنية ٦ : ٢٤) ... و يقول معلمنا القديس بولس الرسول : **« ليس إله آخر إلاَّ واحد »** (كورنثوس الأولى ٨ : ٤) . وفى نفس الاصحاح يقول : **« لنا إله واحد ، الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له »** (كورنثوس الأولى ٨ : ٦) ... « أنواع خدم (أعمال) موجودة **ولكن الله واحد** الذى يعمل الكل فى الكل » (كورنثوس الأولى ١٢ : ٦) . و يقول القديس يعقوب الرسول : **« أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل »** (يعقوب ٢ : ١٩) .

وفاتحة قانون الإيمان الذى يؤمن به كافة المسيحيين من كل الكنائس والطوائف والمذاهب ، والذى يتلونه فى صلواتهم الخاصة والعامة يصرح بالحق ، « بالحقيقة نؤمن بإله واحد » وهذا القانون وضع فى مجمع نيقية المسكونى فى سنة ٣٢٥ م . أما البسملة التى نستفتح بها صلواتنا وعبادتنا وطقوس كنيستنا فنقول فيها : « باسم الآب والابن والروح القدس ، **الإله الواحد** » أى أننا حين نقول : « باسم الآب

والإبن والروح القدس »، نتبعه بالقول : « الإله الواحد ». **ونحن توكيداً لهذه الوحدانية نبدأ البسلمة « باسم » ولا نقول : « بأسماء » لأننا نشير إلى إسم الإله الواحد**. هذه هى عقيدتنا نحن المسيحيين .

ننتقل الآن لدراسة موضوع التثليث من زاويتين : زاوية العقل وزاوية الدين .



حقيقة التثليث

١ ـ أمـــام العقـــل :

يواجه العقل المسيحى عقيدة الثالوث باعتبارها سراً من أعمق أسرار الوجود . ولا عجب فى ذلك فهى تتناول طبيعة الله وشخصه . **ونحن المسيحيون نتقبلها كما نتقبل أى سر آخر من أسرار الحياة والكون بمزيج من التأمل والتسليم ، دون محاولة رفضها أو الانتقاص منها لمجرد عدم القدرة على فهمها وسر أعماقها !! وموضوع التثليث** يا **أحبائى ليس فلسفة عقلية ، أو نتاج عقول بشرية ... لكنها عقيدة أعلنت بواسطة الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس .**

فلماذا نرفض الإيمان والاعتقاد بالثالوث ؟! هناك فى الطبيعة أمور لا نفهمها ومع ذلك لا نرفضها .. فنحن لا نرفض مثلاً نظرية الجاذبية الأرضية أو الكهرباء أو تحطيم الذرة . ونحن جميعاً **لا نملك** أن نرفض أى إختراع علمى لمجرد أننا لا نستطيع أن نستوعب ما نراه أو نلمسه ... مَنْ منا مثلاً يأبى أن يقبل معجزات العلم الحديث كالراديو والتليفزيون لمجرد أنه لا يستطيع أن يفهم كيف ينتقل الصوت أو الضوء أو الصورة أو الكهرباء فى الأثير ؟!! فإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا نتقبل أسرار الطبيعة برضى ونرفض الإيمان والتسليم بأسرار الله ؟!!

ونقول لإخواننا المسلمين الذين يتهموننا بالشرك بسبب هذه العقيدة إن هناك أموراً مادية وسماوية لا يقدر العقل البشرى أن يدركها من ذاته. دون نور الوحى الإلهى ... وإلاّ فكيف يسلّمون ونحن معهم بما جاء فى قصة الخلق ــ خلق العالم ؟! الله عندما خلق العالم بكل الكائنات، هل كان يوجد وقتها شاهد عيان دون هذه القصة ؟! طبعاً لا ... ومع ذلك فنحن جميعاً مسيحيون ومسلمون و يهود نسلّم بها. كيف نصدق مثلاً رسالات الأنبياء وأنها من عند الله ... وكيف نصدق ما سُجِلَ عنهم من معجزات. كيف نقبل ونؤمن بعقيدة البعث والقيامة وأن هناك قيامة ودينونة وحساب. كيف سيقف جميع البشر أمام الله من آدم إلى نهاية العالم للدينونة ... الذين ماتوا ميتة طبيعية، والذين أكلتهم الوحوش، والذين حرقوا بالنار والذين غرقوا فى أعماق البحار والمحيطات. كيف نصدق أنهم سيأتون و يلبسون أجساداً حية و يقفون أمام الله للدينونة ؟ كيف نصدق كل ذلك ؟ نحن لا نسلّم بهذه العقائد الإيمانية لأن عقولنا تقبلها، لكننا سلّمنا بها رغم عجز إدراكنا.

وفى القرآن نفسه أمور لم يعط تفسير لها مثل موضوع الروح وكنهها. جاء فى سورة الإسراء: « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ». وقد فسرها البيضاوى والجلالين وفخر الرازى بأن الروح إما أن يكون الروح الذى يحيا به بدن الإنسان. وإما أن يكون الروح هو جبريل وقيل خلق أعظم من الملاك، وقيل هو القرآن وقيل خلق عظيم روحانى.

هناك أمور يعجز الإنسان عن تفسيرها ، حتى أن الخليفة أبو بكر قال : [سبحان من الجهل بذاته هو عين العلم] كما قال : [البحث عن ذات الله إشراك والجهل بذات الله إدراك] . سأل الزمخشرى الإمام الغزالى عن الآية : « الرحمن على العرش أستوى » (= الاستواء على الشيء الإستقرار عليه) فأجاب : [إذا إستحال أن تعرف نفسك بكيف وأين فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بأن أو كيف ، وهو مقدس عن الأين والكيف] . لماذا ينكر إخواننا علينا هذه العقيدة الخاصة بسر التثليث ؟!..

أيها الإخوة ، إن سر التثليث ليس هو مستحيلاً ، ولا فيه ما هو مضاد للعقل لأننا لا نقول إن الله ثلاثة جواهر ، بل ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد . فيه وحدة وتعدد . وحدة فى الجوهر وتعدد فى الأقانيم ، والأقنوم غير الجوهر . نحن نقول إن الله واحد بالنظر إلى ذاته ، وثلاثة بالنظر إلى أقانيمه .

٢ ـ على ضوء الدين :

موضوع التثليث حقيقة مسيحية معروفة . وهى حقيقة دينية وليست فلسفية ، جاءتنا من الوحى الإلهى . ولم نأت بها من بنات أفكارنا ، أو إبتكار عقولنا ... فهو تعليم إلهى ، وحقيقة من حقائق الديانة المسلّمة لنا من الله . ومَنْ يرفضها فقد رفض الله وأنكر الحق الإلهى . يقول أثناسيوس الرسولى : [كل مَنْ يروم أن يخلص يتحتم

عليه أولاً وقبل كل شيء ، أن يحفظ الإيمان ... ومَنْ لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه يموت موتاً أبدياً]. فمن أين جاء التعليم بالثالوث ؟

نثبت هذه القضية من الكتاب المقدس والتقليد الكنسى ، وقوانين الإيمان ، والمجامع المسكونية ، ومن أقوال آباء الكنيسة ، وسنكتفى بنقطة واحدة هى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ...

الكتاب المقدس :

(أ) فى العهد القديم :

لم يكن معقولاً أن الله يكشف عن التعدد فى ذاته الإلهية ، حينما كان الشعب فى مرحلة البداوة الروحية ، محاطين بكثرة وثنية ... ولعلنا نستطيع أن ندرك ذلك جيداً من **تاريخ شعب إسرائيل** ... فبعد كل المعجزات التى أظهرها الله معهم ــ سواء فى مصر وخروجهم منها ، أو فى البرية أثناء إرتحالهم ــ نجد أنه بينما كان موسى النبى فوق الجبل يستلم الشريعة من الله ، **صنع الشعب لهم عجلاً ذهبياً ليعبدونه ... والذى صنعه لهم هو شقيقه هارون** ... وكانوا يقولون عن العجل المسبوك : « هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر » .

كان الأمر مثيراً للغاية حتى أن الله قال لموسى : « إذهب إنزل . لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له . وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر » (خروج ٣٢ : ١-٨) .

لكن هناك إشارات إلى هذا التعدد فى الذات الإلهية . فاسم الجلالة « الله » باللغة العبرية هو « الوهيم » ، هو فى صيغة الجمع . فإن الـ « يم » فى العبرية هى علامة الجمع ... كلمة الله فى اللغة العربية لا تظهر كلمة الوهيم بصيغة الجمع . **وفى الوقت الذى كتبت كلمة « الوهيم ــ الله » بصيغة الجمع ، تأتى الأفعال والصفات المستعملة مع هذه الكلمة بصيغة المفرد !! هذا الإعلان جاء** يوم **خلقة الإنسان ، وكتب فى أول آية فى الكتاب المقدس :** « فى البدء **خلق الله (الوهيم)** السموات والأرض » (تكوين ١ : ١) . ويوم سقط الإنسان إستخدمت . يقول الله : « **هوذا الإنسان قد صار كواحد منا** عارفاً الخير والشر » (تكوين ٣ : ٢٢) ... **وفى بناء برج بابل . قال الله :** « **هلّم ننزل ونبلبل هناك لسانهم** » (تكوين ١١ : ٨) .

لقد ورد اسم الوهيم فى اللغة العبرية (٢٥٥٥) مرة فى العهد القديم منها (٢٣١٠) . مرة عن الإله الحقيقى ومعها ورد الفعل والصفات بصيغة المفرد . وورد **(٢٤٥) مرة بمعنى الآلهة المتعددة (الأصنام) . وجاء معها الفعل الصفة فى صيغة الجمع ... فما معنى ذلك ؟**

نعطى مثلاً : « ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك **مذبحاً لله (الوهيم)** ، الذى ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك . فقال يعقوب لبيته ولكل مَنْ كان معه ، **إعزلوا الآلهة الغريبة** (الوهيم) التى بينكم ، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم » (تكوين ٣٥ : ١ ، ٢) ... ونلاحظ أن **الفعل الخاص ، بالوهيم الأولى « ظهر » ورد بصغية المفرد ، لأنه يتكلم عن الإله الحقيقى ، بينما الفعل الخاص بالوهيم الثانية « إعزلوا » ورد بصيغة الجمع لأنه يتكلم عن الأصنام الكثيرة ...**

ومما يؤيد التعدد فى الذات الإلهية أن حديثاً جرى بين اقانيم الثالوث القدوس عن الخلق والأمور الأخرى ...

يقول داود بروح النبوة : « **قال الرب لربى** إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مزمور ١١٠ : ١) . قال الرب لربى **أى هناك إثنان . وقد ذكر السيد المسيح هذا المزمور ، على أنه يشير إليه هو** ... قال المسيح لليهود فى إحدى المرات وهو يعلّم فى الهيكل : « كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود . لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . فداود نفسه يدعوه رباً ، فمن أين هو ابنه » (مرقس ١٢ : ٣٥-٣٧) . **هذا حديث فى داخل الثالوث القدوس .**

وفى نفس المزمور يقول : « **أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق** » (مزمور ١١٠ : ٤) . **والقديس بولس**

فى الرسالة إلى العبرانيين يطبق كلام هذا المزمور على المسيح فيقول : « لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأ بد على رتبة ملكى صادق » (عبرانيين ٧ : ١٧) .

والقديس بولس يتكلم فى الرسالة إلى كولوسى عن المسيح فيقول : **« فإنه فيه قد خلق الكل ما فى السموات وعلى الأرض ما يُرى وما لا يُرى** ... الكل به وله قد خُلِقَ » (كولوسى ١ : ١٦) ... وهذه هى نفس كلمات يوحنا **« كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان »** (يوحنا ١ : ٣) . **ومن هنا نرى أن الله حين قال : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (تكوين ١ : ٢٦) ، كان المسيح هناك خالقاً . لأن « به عمل العالمين » . وهو « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عبرانيين ١ : ٢ ، ٣) .**

نعود إلى استخدام صيغة الجمع فى لفظ الجلالة ... إن استخدام صيغة الجمع ليس نوعاً من التفخيم كما يتبادر إلى ذهن البعض . وعلى نحو ما درج عليه بعض ملوك تلك الأزمنة الحديثة والمعاصرة . فإن هذا التقليد لم يكن مستخدماً فى العصور القديمة . **فالتاريخ وعلماء اللغات يقطعون بأن ملوك تلك الأزمنة لم تكن لهم تلك العادة ...** ونسوق ثلاثة أمثلة على ذلك من كتاب العهد القديم ، **الأول من مصر والثانى من بابل والثالث من فارس وهى بلاد الحضارات القديمة ...**

* **فرعون ملك مصر** يتحدث إلى يوسف فيقول : **« قد جعلتك** على كل أرض مصر ... » (تكوين ٤١ : ٤١) ... **ونبخذنصر ملك بابل**

العظيم يقول : « **أنا نبوخذنصر ... قد صدر أمر منى** بأحضار جميع حكماء بابل **قدامى** » (دانيال ٤ : ٦) ... **وداريوس ملك مملكة مادى** يقول : « **أنا داريوس قد أمرت** فليفعل عاجلاً » (عزرا ٦ : ١٢) ولم يقل نحن داريوس قد أمرنا .

هذا ونلاحظ إعلان الله للثالوث أكثر من مرة فى سفر إشعياء .
كان إشعياء فى الهيكل ورأى السيد الرب فى مجده ، والملائكة تهتف لجلاله « قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض » . وبعد أن إعترف إشعياء بنجاسته ، وطهره ملاك بجمرة نار من على المذبح يقول : « ثم سمعت صوت السيد قائلاً : **مَنْ أُرسل ومَنْ يذهب لأجلنا** » (إشعياء ٦ : ٨) . نلاحظ كلمة أُرسل بصيغة المفرد ، ولأجلنا بصيغة الجمع ... **ثم إلى أى شىء تشير هذ التقديسات الثلاثة قدوس قدوس قدوس ؟!**

ويقول الله بلسان إشعياء النبى أيضاً : « اسمع لى يا يعقوب وإسرائيل الذى دعوته . أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر ... يدى أسست الأرض ويمينى نشرت السموات . أنا أدعوهن فيقفن معاً . تقدموا إلىَّ اسمعوا هذا **لم أتكلم من البدء فى الخفاء . منذ وجوده أنا هناك . والآن السيد الرب أرسلنى وروحه** » (إشعياء ٤٨ : ١٢-١٦) ... **نلاحظ أن هنا ثالوث ... « الله أرسلنى وروحه »** . المهم فى بدء هذه الآية يقول : « اسمعوا هذا . لم أتكلم من البدء فى الخفاء » . **وقد قلنا أن الله منذ بدء الخليقة كان يتكلم بإشارات** . وجدير بالذكر أن

يوحنا الإنجيلي وكذلك بولس الرسول أشارا إلى نبوات إشعياء عن المسيح (انظر يوحنا ١٢ : ٤١ ؛ أعمال ٢٨ : ٢٥) .

(ب) فى العهد الجديد :

إذا أتينا إلى العهد الجديد نجد الأمر بدأ يتضح ويكمل كالشمس التى يكون ضوؤها وحرارتها وقت الظهيرة أشد من وقت شروقها ... فالناموس القديم « له ظل الخيرات العتيدة ، لا نفس صورة الأشياء » (عبرانيين ١٠ : ١) . ففى بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم يقول : « **الروح القدس** يحل عليكِ **وقوة العلى** تظللكِ . فلذلك أيضاً **القدوس** المولود منكِ يُدعى **ابن الله** » (لوقا ١ : ٣٥) . **وهنا نلاحظ فى بشارة الملاك أنه يشير إلى « العلى » ، « القدوس ــ ابن الله » ، « الروح القدس »** . والقدوس من الأسماء التى لا تطلق إلاَّ على الله وحده ...

ومرة ثانية فى وقت عماد المسيح رأى يوحنا المعمدان « السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه . وصوت من السماء قائلاً : **هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت** » (متى ٣ : ١٦ ، ١٧) ... **وهنا نرى الثالوث ظاهراً . الآب من السماء يُعلن عن ابنه ، والابن فى مياه الأردن ، والروح القدس فى هيئة جسمية كحمامة** . ولذا فإن الكنيسة تسمى هذا العيد ، **عيد الثيئوفانيا** أى الظهور الإلهى ، لأن الله ظهر بأقانيمه الثلاثة ...

ونصل إلى الإعلان الأكمل قبيل صعود السيد المسيح له المجد إلى السماء قال لتلاميذه : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) . قال لهم : « باسم الآب ... » وليس : بأسماء الآب والابن والروح القدس لأنهم إله واحد .

وفى البركة الرسولية التى منحها بولس الرسول للكورنثيين يقول : « نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين » (كورنثوس الثانية ١٣ : ١٤) ... وجدير بالملاحظة أن هذه البركة المثلثة فى العهد الجديد تقابل البركة المثلثة فى العهد القديم التى أمر الله أن يبارك بها هارون وبنيه الشعب « يباركك الرب ويحرسك . يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك . يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً » (عدد ٦ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦) وواضح من كلمات هذه البركة المثلثة عمل الأقانيم ... فالله الآب يبارك ... والله الابن يضيء ، فهو النور الذى يضيء لكل إنسان آت إلى العالم ، وهو أقنوم الرحمة أيضاً « الرحمة والحق التقيا » (مزمور ٨٥ : ١٠) ... والله الروح القدس يمنح سلاماً إذ أنه يأخذ مما للمسيح و يعطينا بواسطة أسرار الكنيسة المقدسة ، والمسيح هو ملك السلام ورئيس السلام « يوحنا ١٦ : ١٤) ... يقول يوحنا الرسول : « الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس . هؤلاء الثلاثة هم واحد » (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧) .

ماهية الثالوث فى الواحد

ليس هناك تناقض فى الإيمان المسيحى بين القول بالوحدانية والقول بالثالوث القدوس فالله واحد فى جوهره وذاته . ولكن يوجد فى هذا الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم ...

فما هو الأقنوم ؟

الأقنوم كلمة سريانية يقابلها باليونانية كلمة Hypostasis ومعناها خاصية أو صفة ذاتية فى الله . أى صفة أو خاصية تقوم بها الذات الإلهية ، وبدونها ينعدم قيام الذات الإلهية ... وعلى ذلك ففى الجوهر الإلهى ثلاث خواص أو صفات ذاتية :

١ - خاصـــية الوجـــود :

فالله موجود ، وواجب الوجود ، وبدونه لا يمكن تفسير الوجود ، وإذا لم تكن لله صفة الوجود يكون عدماً . **هذه الصفة الذاتية فى الله تُسمى « الآب »** . وهى كلمة سريانية معناها الأصل أو الوجود والكيان الإلهى .

٢ - خاصية العقل والحكمة :

فالله عاقل بل هو مصدر العقل والحكمة فى كل الوجود . نلمس ذلك

فى الطبيعة . ونتذكر ما قاله القديس بولس : « لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات ، قدرته السرمدية ولاهوته » (رومية ١ : ٢٠) ... وإذا لم يكن الله عاقلاً فليس له وجود . لأن الله عقل كله وليس فيه جسم . **هذه الصفة الذاتية نسميها « الابن أو الكلمة » . واللفظ فى اليونانية التى كُتب بها العهد الجديد هو كلمة « لوغوس Logos » ... وكانت عقيدة اللوغوس هى الفكرة المحورية عند الفلاسفة الرواقين . واللوغوس فى اعتقادهم هو [العقل الكونى]** (٤) .

٣ - خاصية الحياة :

فالله حى ، بل هو مصدر الحياة . فإذا لم يكن الله حياً كان ميتاً ، وبالتالى ليس له وجود . **هذه الخاصية هى ما نسميه « الروح القدس » .**

ومن ذلك نتبيّن أن الأقانيم هى صفات فى ذات الله ، لا يقوم كيانه بدونها . وعلى ذلك فالجوهر واحد ولكن الصفات الذاتية ثلاثة ، نسميها الآب والابن والروح القدس .

---

(٤) ليس معنى هذا أن أساس العقيدة المسيحية فى الوثنية أو الفلسفة لكن كثيراً ما يستعير الإنسان ألفاظاً أو تعبيرات مما هو مستخدم فى اللغة البشرية ، ليعبر به . أو ليقرب إلى الأذهان ما يود أن ينقله للآخرين .

التثليث المسيحى غير التثليث الذى يشير إليه القرآن

نود أن نقف وقفة موضوعية هادئة ، نحاول معها أن نفهم ما هو السبب فى غضب الإخوة المسلمين من موضوع التثليث المسيحى ... لعل السبب هو أنهم أمام نص قرآنى يقول : « **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلاَّ واحد .** وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » (المائدة ٧٢) ...

ونقول لإخوتنا المسلمين الثالوث الذى يهاجمه القرآن فى هذه الآية ، ليس هو ثالوث المسيحيين ... لقد ظهرت هرطقة (بدعة) فى بلاد العرب فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، عُرفت باسم [هرطقة المريميين] ... إعتقد هؤلاء المريميون فى ثالوث مكون من الآب والابن ومريم العذراء ... وإلى هذه الهرطقة الدينية تشير سورة الأنعام (١٠٠) « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة . وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم » . على أن هناك أكثر من ثالوث عرف فى الديانات الوثنية كثالوث المصريين وثالوث الهنود ... (ثالوث أوزوريس وإيزيس وحورس ، وثالوث براهمة) .

والدليل على أن المسيحيين ليسوا هم المقصودين بالآيتين السابقتين ما جاء بمواضع كثيرة من القرآن يمدح فيها النصارى

ويثنى عليهم ... وهل يعقل أن القرآن يتناقض مع ذاته . تارة يتهم المسيحيين (النصارى) بالكفر، وتارة أخرى يثنى عليهم ويمدحهم ؟!!

* جاء فى سورة البقرة (٦١) : « أن الذين آمنوا والذين هادوا (= أى اليهود) **والنصارى** والصابئين مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، **فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

* وجاء فى سورة آل عمران (١١٢ ، ١١٣) : « **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله ، آناء الليل وهم يسجدون ، ويؤمنون بالله واليوم الآخر**، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات . وأولئك من الصالحين » .

* وجاء بسورة المائدة (٨١) : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون** » ونلاحظ هنا أنه فضل النصارى على اليهود . ومدح النصارى وذم اليهود . ولو كان المسيحيون هم المشركون لما مدحهم القرآن فى أمثال هذه الآيات .

* وفى سورة العنكبوت (٤٥) يقول : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتى هى أحسن** . إلاّ الذين ظلموا منهم . **وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم** . وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » .

* وفى سورة الحديد (٢٦) : « وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل **وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة** » .

* وفى سورة المائدة (٤٢) : « **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله** ... أنا أنزلنا التوارة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... ومَنْ لم يحكم به أنزل الله فاولئك هم الكافرون » .

* وفى سورة آل عمران (٤٥) : « إذ قال يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا . **وجاعل الذين إتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** » . والذين إتبعوك هم المسيحيون ... جعلهم فوق الذين كفروا ... وواضح أنه فصل بينهم وبين الكفار .

* وواضح يا أحبائى من كل هذا **أن الثالوث الذى يحمل عليه القرآن ويقول فيه : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلاَّ واحد » ، هذا الثالوث ليس هو ثالوث المسيحيين . لأن القرآن يذكر المسيحيين بالخير ويرفعهم ويشير إليهم إشارات طيبة .**

أما ما جاء بسورة الأنعام (١٠٠) : « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (زوجة) » ... **فهذه أفكار وثنية .** وهل فكرتنا نحن المسيحيين عن ابن الله ، أن الله تزوج بالمفهوم الجسدى وأنجب ؟!! **مَنْ قال هذا الكلام أو مَنْ تصوَّر مثل هذا القول ؟!!**

إن الأبوة والبنوة فى الذات الإلهية ، لا علاقة لها بالأبوة والبنوة فى عالم الحس عند الإنسان والحيوان . فهذه تقتضى التوالد الجنسى . بينما البنوة فى الثالوث القدوس ليست مادية على الإطلاق .. والبنوة فى عالم الإنسان والحيوان تقتضى الإنفصال بعد الولادة . فالولد يخرج من جسم الأم ويصبح جوهراً جديداً مستقلاً . أما البنوة فى الثالوث الإلهى فليس فيها إنفصال ولا إستقلال عن الجوهر الإلهى والذات الإلهية . والبنوة فى عالم الإنسان والحيوان تقتضى الزمان . بحيث أن الوالد يكون سابقاً عن الابن المولود . أما البنوة فى الثالوث القدوس فليست زمنية على الاطلاق . فالابن كائن مع الآب فى الذات الإلهية منذ الأزل ، وكذلك الروح القدس كائن مع الآب والابن . فالابن قائم مع الآب وفى الآب « أنا فى الآب ، والآب فىَّ » . والابن قائم مع الآب والروح القدس فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد .

*** والبنوة فى الثالوث القدوس هى بنوة بالطبع وليست بالوضع .**
فالمؤمنون دعوا أبناء الله بالوضع أو التبنى ... أما البنوة فى الثالوث القدوس فهى بنوة بالطبع . أى أن الابن هو من جوهر الآب وطبيعته « نور من نور إله حق من إله حق » ... ولذا فإن السيد المسيح يدعى ⲙⲟⲛⲟⲅⲉⲛⲏⲥ أى وحيد الجنس أى ليس له نظيراً أو شبيه .

لماذا دعى الأقنوم الثانى بالابن ؟

السبب فى ذلك يرجع إلى ضيق اللغة البشرية ... واللغة البشرية ليست ضيقة فقط بل مادية . تُستعمل للتعبير عن الماديات وتتناسب مع البشر فى معاملاتهم والقديس أغسطينوس يقول : إننا عندما نتكلم عن الله ، فإن اللغة البشرية توجد عاجزة عن التكلم عن الإلهيات . والقديس غريغوريوس أسقف نيصص وشقيق القديس باسيليوس الكبير يقول : فى أى موضع نتكلم عن اللاهوت فإننا نجرحه . أى نجرح الله لأنه لا يوجد فى اللغة البشرية ما يصف الله نفسه أو يعبر عنه . **فاللغة البشرية المحدودة لا يمكن أن تفى بحق عن المدلولات الكاملة الإلهية التى لله غير المحدود .** ولذا فهى إزاء الكمالات الإلهية ــ ليست إلاَّ تعبير عما يستطيع البشر فهمه وإدراكه . وإلاَّ فما معنى « عرش الله » و « يمين الله » و « عين الله » و « يد الله » ، التى نقرأ عنها كثيراً فى الكتاب المقدس . **لذا فقد عبر الوحى عن العلاقة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثانى بلفظى « الآب والابن » ، وذلك لأنهم اللفظان القريبان والمناسبان إلى فهمنا وإدراكنا فى لغتنا البشرية ...**

وسر التجسد سبب هام لاستعمال لفظ الآب والابن للأقنوم الأول والثانى . فبالتجسد ظهر الأقنوم الثانى . ولما كان الأقنوم الثانى المتجسد قد أظهر لنا شخصية صفات الله غير المنظور « الله لم يره أحد

قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبرّ » (يوحنا ١ : ١٨) ... بحيث أننا فى شخص الأقنوم الثانى عرفنا صفات الله غير المنظور . لذا عبر الكتاب المقدس عن الأقنوم الثانى بالابن ، وعن الأقنوم الأول بالآب . تماماً كما يحدث عندما نتعرف على الإنسان من ابنه عن طريق الصفات البشرية المشتركة بينهما فى الشكل .

مساواة الأقانيم الثلاثة فى الذات الإلهية

هل الأقانيم الثلاثة فى الذات الإلهية متساوية ؟ نعم ... فليس فى كلام المسيح : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) . ما يفيد أن أقنوم أعظم من أقنوماً من حيث أنه ذكر قبله ... نلاحظ هنا أن الآب يذكر أولاً ... ولا يجب أن نفهم أن الآب أعظم من الابن والروح القدس .

* أما بولس الرسول فيقول : « نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين » (كورنثوس الثانية ١٣ : ١٤) ... ونلاحظ هنا أنه قدم الابن على الآب و يأتى بعدهما الروح القدس ... وليس معنى هذا أن الابن أعظم من الآب والروح القدس .

* و يهوذا الرسول يبدأ بالروح القدس فيقول : « أما أنتم أيها

الأحباء فأبنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس ، **مصلين فى الروح القدس** وأحفظوا أنفسكم فى **محبة الله** منتظرين **رحمة ربنا يسوع المسيح** للحياة الأ بدية » (يهوذا ٢٠ ، ٢١) فكونه يقدم أقنوم الروح القدس فليس معنى ذلك أنه أكثر كرامة ...

تتبقى نقطة نرى من المفيد الإشارة إليها ، وذلك منعاً لأى لبس أو إبهام ... ما معنى قول المسيح « أبى أعظم منى » (يوحنا ١٤ : ٢٨) . الآب أعظم منه فى الحالة التى كان يتكلم فيها ... فالمسيح بتجسده ، « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ... ووضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (فيلبى ٢ : ٧ ، ٨) ... ومعنى تعبير « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد » أنه أخلى نفسه بإرادته من المجد والكرامة التى له كإله من أجل تدبير الفداء ... وطالما قد أخذ صورة عبد ، فإنه يقبل الإهانة والشتيمة وكل ألوان الضعف البشرى من لطم وضرب السياط وبصق على الوجه وإستهزاء ... هنا ــ فى هذه الحالة فقط ــ يكون الآب أعظم منه ...

محاولة فهم الثالوث القدوس من أمثلة فى الحياة والطبيعة :

ولكى ما نقرب للأذهان موضوع التثليث نختم هذا الموضوع بإيراد بعض التشبيهات التى تقرب لنا المعانى السامية ... **وهذه الأمثلة هى على سبيل التشبيه فقط . نقول ذلك لئلا يظن أحد أننا نستعير من الطبيعة والأشياء المادية ما يؤكد ويثبت صحة معتقدنا المسيحى ...**

(أ) بالنسبة للثالوث :

نحن لا نقول « ١ + ١ + ١ » . لأننا لو قلنا ذلك لكان الناتج ثلاثة ... لكننا نقول ١ × ١ × ١ فتكون النتيجة واحد صحيح . أليس هذا هو عين ما قاله المسيح « أنا فى الآب ، والآب فىَّ » (يوحنا ١٤ : ١٠) .

(ب) الإنسان ثالوث :

* **أنت إنسان لك شخصية** ... إذن لك ذات ، لك كيان .

* **أنت أنسان عاقل** . والعقل صفة يمتاز بها الإنسان عن الحيوان (والعقل ليس هو المخ) .

* **أنت إنسان لك روح** . وإلاَّ كنت لست حياً أو كنت جماداً ... والروح عنصر الحياة موجود فى كل خلية من خلايا الجسم وعددها بالملايين .

* **وهكذا نرى أن : الذات + العقل + الروح = الإنسان .**

(جـ) النـــــار :

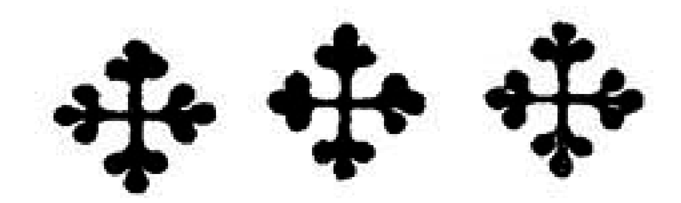
النار لها ذات جوهرها النار ... تتولد منها حرارة وينبثق منها

نور. والثلاثة واحد ... ولا يمكن أن توجد نار بلا حرارة أو نور (ضوء) .

هكذا الشمس ، فيها القرص (الجرم) والحرارة والضوء . وكل واحد منها يمكن أن يعبر بها عن الآخر أو عن الكل ... أتطلع إلى السماء وأقول : [أنا انظر الشمس]. وتنفذ أشعتها من الزجاج وأقول : [الشمس نفذت من الزجاج] ... واستمتع بدفئها وحرارتها وأقول : [أنا أجلس فى الشمس] ...

(د) فى عالم الرياضيات :

لكى نعرف حجم الصندوق مثلاً لا بد أن نعرف الطول والعرض والارتفاع . ومع أن الطول هو قياس منفرد بذاته وكذا العرض والارتفاع لكن هذه الأبعاد تكوّن ما يُعرف بالحجم الكلى للصندوق . ولا يمكن معرفة الحجم بدون معرفتها .





تغيير طبيعة الإنسان .

مغفرة الخطية وإنقاذنا من نتائجها .

الحاجة إلى فادى .

موت المسيح الفادى .

الإسلام وموت المسيح .

البراهين الدالة على موت المسيح على الصليب

« **عثرة الصليب** » ... هذا هو التعبير الذى إستخدمه بولس الرسول فى (كورنثوس الأولى ١ : ٢٣) . « **نحن نكرز بالمسيح مصلوباً ، لليهود عثرة ولليونانيين جهالة** » ... ونحن قد إستعرناه منه ، لأنه يعبر تعبيراً أميناً وصادقاً ودقيقاً عن قضية الصليب .

أيها الإخوة ... **الصليب هو المحور الذى يدور حوله كل فكر العهد الجديد ... فيه يرتكز كل غنى الإنجيل ومجده ... إنه رمز المسيحية ومجدها . وبقدر ما ينكر غير المؤمنين صفته الكفارية ، فإن المؤمنين يجدون فيه المفتاح لأسرار الألم ، وسر النصرة على الخطية ...** إن مجد الصليب هو كعاره تماماً . **فالتأمل فى عار الصليب إنما هو رؤية مجده !!** وعلى ضوء ذلك نفهم كلمات معلمنا بولس الرسول : « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة **وأما عندنا نحن المخلّصين فهى قوة الله** » ... « وأما من جهتى **فحاشا لى أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلِبَ العالم لى وأنا للعالم** » (كورنثوس الأولى ١ : ١٨ ؛ غلاطية ٦ : ١٤) .

وحينما نتكلم عن الصليب لا نعنى بطبيعة الحال قطعتى الخشب المتعامدتين ، **لكننا نقصد إلى مَنْ صُلِبَ على الصليب** ، **ولماذا صُلِبَ ، وماذا جنت البشرية من صلبه ؟ ... وهذا يقودنا بطبيعة الحال إلى الكلام عن أخطر موضوع يهم الإنسان ألاّ وهو « موضوع الغفران »** ... غفران الخطية .. وهذا يحتم علينا أن نناقش **موضوع « الفداء »** .

وهذا بطبيعة الحال يرتبط بموت المسيح الكفارى على الصليب ...

أخطأ الإنسان الأول كما تذكر لنا الكتب المقدسة واستحق عقوبة الموت تبعاً لذلك « يوم تأكل منها (شجرة معرفة الخير والشر) موتاً تموت » (تكوين ٢ : ١٧) . وعن آدم ورث جميع البشر طبيعة خاطئة « **بالإثم حُبِلَ بى وبالخطية ولدتنى أمى** » (مزمور ٥١) ... و يقول القديس بولس الرسول : « **بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع** » (رومية ٥ : ١٢) . هكذا أصبح البشر جميعاً خطاة ... « ليس بار ولا واحد . ليس مَنْ يفهم (فهماً روحياً) . ليس مَنْ يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس مَنْ يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » (رومية ٣ : ١٠-١٢) ... وكانت نتيجة الخطية والمعصية أن الإنسان طُرد من حضرة الله (تكوين ٣ : ٢٣ ، ٢٤) ... فالله الكامل القدوس لا يمكن أن يساكنه الخطاة والأشرار ، لكن أنقياء القلب وحدهم هم الذين يعاينون الله ... فلا شركة للظلمة مع النور ...

والســؤال الآن ...

+ ألاَ يمكن الله أن ينقذنا من الخطية حتى ما يؤهلنا للوجود معه ؟

+ ألاَ يستطيع الله أن يغيّر طبيعة الإنسان بعد أن أفسدتها الخطية

إفساداً تاماً ، وهو قادر على كل شيء ؟ وكما خلق الدنيا بكلمة ، لماذا لا يخلّص البشر بكلمة ؟!!

وعلى هذا الأساس فالموضوع الآن له شقان :

تغيير طبيعة الإنسان

فمن جهة تغيير طبيعة الإنسان وقدرة الله على ذلك ، نقول :

* **إن هناك نواميس ثابتة وضعها الله بعد أن خلق الخليقة . ومن تلك النواميس أن طبيعة الكائن لا تتغير، بل تظل كما هي .** فالجماد يظل جماداً ، والحيوان يبقى حيواناً ، والإنسان يستمر إنساناً . وعلى ذلك فإن طبيعة الإنسان الخاطئة وما ترتب على ذلك تظل كما هي ... ونحن جميعاً نعرف أن الوحوش التى يدربونها لتلعب فى السيرك و يروضونها تنقض فى بعض الأحيان على مدربيها وتفترسهم ... وهكذا نرى أن ترو يض الوحوش لا يغير من طبيعتها الأصلية تماماً ، ولا يجردها منها . بل إن هذه الطبيعة تظل كامنة فيها .

قرأت للدكتور طه حسين قصة بعنوان « حاملات الشموع » ... خلاصتها أن وزيراً لأحد الملوك أراد أن يصنع له مفاجأة كبيرة فى مناسبة عيد جلوسه على العرش ... فرتب أن أربعين قطة تدرب بطريقة خاصة لتسير فى موكب ، وتمسك كل منها شمعة مضاءة ... و بعد أن دربت خير تدريب ... وفى اليوم المحدد سار موكب الملك وضمنه هذه الأربعين قطة

.. وكان المنظر لطيفاً وجديداً ... لكن إنساناً خبيثاً من أعداء ذلك الوزير علم بقصة القطط ، وأراد أن يفسد الاحتفال لينال من الوزير ... فأحضر فأراً وخبأه ، وفيما الموكب يسير ، وما أن رأى القطط حاملات الشموع ، حتى ألقى بالفأر أمامها ... فتركت القطط جميعها الشموع التى كانت تحملها وأسرعت نحو الفأر لتلتهمه !! وهكذا لم يفلح كل هذا التدريب فى القطط ، فطبيعتها وعداؤها للفيران كامن فيها .

فالله لكى يؤهل الإنسان للوجود معه ، لا يغير طبيعته بالوصايا والنواميس الأدبية ، فهذا يتنافى مع طبيعة الإنسان التى أفسدتها الخطية لكنه يعطيه طبيعة جديدة يسمو بها فوق طبيعته القديمة الخاطئة .

مغفرة الخطية وإنقاذنا من نتائجها

* أما عن مغفرة الخطية وإنقاذنا من نتائجها ، فنحن نبحث الموضوع من زاويتين : الله والإنسان .

• من جانب الله :

هناك مَنْ يسأل ألاَّ يستطيع الله أن يعفو عن الإنسان من ذاته ، بحكم كونه رؤوف رحيم ؟...

والجواب ، إذا فعل الله ذلك فإنه يتناقض مع ذاته من جهة عدالته

المطلقة . فالله فى كتابه المقدس ، فى الوقت الذى يُعلن فيه صراحة عن رحمته ، يقرر مبدأ العقوبة قصاصاً عن الخطية . يقول بلسان موسى النبى : « الرب الله رحيم ورؤوف ... **لكنه لا يبرىء إبراء** . مفتقد إثم الآباء فى الأبناء ، وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع » (خروج ٣٤ : ٦، ٧) ... ففى الوقت الذى يقول فيه الله إنه : « رحيم ورؤوف » ، يقول : « لكنه لن يبرأ إبراء » ... فهذا طريق ، وذاك طريق آخر .

وحيث أنه من البديهى أن تتناسب العقوبة مع الخطأ ، وحيث أن الله كلى القداسة وكامل ، وفى نفس الوقت غير محدود ، فيترتب على ذلك أن الإساءة إلى الله تستوجب عقوبة غير محدودة ... هذا أمر بديهى ويجب أن نسلم به ... فالإساءة إلى شخص بسيط ليست كالإساءة إلى شخظ عظيم !! ... **لذا لا تتملكنا الدهشة حينما نسمع كلمات الله لآدم قبل أن يخطىء محذراً ، أنه يوم يأكل من الشجرة التى نهاه عنها فموتاً يموت** (تكوين ٢ : ١٧) ... رب إنسان يقول باستهانة : [إيه يعنى لما واحد أكل من الشجرة] ... لكن هذا يتمشى مع طبيعة الله وصفاته الكاملة ...

لأجل هذا ، وعلى ضوء هذا الكلام ، **لا نعجب عندما نسمع المسيح يقول « مَنْ قال (لأخيه) يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » (متى ٥ : ٢٢) ... وهنا يقول إنسان آخر باستهانة : [إيه يعنى واحد يقول لأخيه يا أحمق ، يودوه نار جهنم]** ... لكن هذا ما قاله المسيح ... والسماء والأرض تزولان ولكن كلمة من كلامه لا تزول

حتى يكون الكل (متى ٢٤ : ٣٥) ...

ولا تتملكنا الدهشة إذا قرأنا ليوحنا فى سفر الرؤيا ما دونه بناء عن أمر الجالس على العرش : « مَنْ يغلب يرث كل شىء وأكون له إلهاً وهو يكون لى ابناً . وأما الخائفون وغير المؤمنون والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان **وجميع الكذبة ،** فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى (الأبدى) » (رؤيا ٢١ : ٧، ٨) ... **وحينما يقرأ إنسان هذا الكلام يقول : [إيه يعنى الكذابين ؟!! هل معقول يبقى نصيبهم مع القاتلين والزناة والسحرة وعبدة الأوثان ... هل هذا معقول ؟!!]** لكن هذا هو كلام الله نفسه ... **الحذر كل الحذر من الاستهانة ببعض الخطايا التى تبدو فى نظر بعض الناس أنها تافهة . إن هذه العقوبات التى وضعت قصاصاً لمَنْ قال يا أحمق ، ولكل كذاب ، إنما تتمشى مع طبيعة الله الكامل القدوس الذى لا يمكن أن يساكنه الأشرار والخطاة .** فأيوب البار يقول : « إلى ملائكته ينسب حماقة ... مَنْ هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر . هوذا قديسوه لا يأتمنهم ، والسموات غير طاهرة بعينيه » (أيوب ٤ : ١٨ ؛ ١٥ : ١٤، ١٥) ...

لنعلم يا أحبائى أن رحمة الله شىء ، وعدالته شىء آخر . فليس للرحمة أن تطغى على العدل أو تبطل وجوده . فالقاضى الذى يبرىء ابنه أو صديقه ، هو ليس قاضياً عادلاً منصفاً . بل إن ما يحدث هو أن القاضى فى أمثال هذه الحالات (محاكمة الابن أو الصديق) يتنحى عن

نظر القضية ، حتى تأخذ العدالة مجراها ... **فهل الله أقل عدالة من** البشر؟ هذا عن جانب الله .

• من جانب البشر :

هناك نقطتان نناقشهما :

١ ـ هل يمكن للأعمال الصالحة كالصلاة والصوم والصدقة أن تغفر خطية الإنسان ؟ وأرجو أن تلاحظوا أنى أتكلم هنا عن الأمر خارج دائرة المسيحية أى بدون المسيح .

الجواب : لا ، لا يمكن ... لماذا ؟

(أ) لأن الأعمال الصالحة إنما هى واجب على الإنسان ، ولا فضل و شكر على واجب . لا فضل للإنسان إذا عمل صالحاً « متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون ، لأننا إنما فعلنا ما كان يجب علينا » (لوقا ١٧ : ١٠) ... ولنضرب مثلاً : هب أن إنساناً سرق ولم يقتل ، فهل عدم إرتكابه للقتل يبرئه من نتيجة السرقة وعقابها لو حدث ذلك ؟ ... **هل يمكن القول إن الحسنات يذهبن السيئات ؟! وهل المسألة هى كما كان يحدث فى محكمة أوزوريس ــ كما كان يعتقد المصريون القدماء ــ من أن أعمال الإنسان توضع فى كفة ميزان أوزوريس وريشة فى الكفة الأخرى ، لتوزن أعماله ؟!... قطعاً إن هذه الأفكار البدائية لن تعبر عن الحقيقة فى شىء بل لعلها**

وفضلاً عن ذلك ، فالله وحده هو صاحب الفضل لكل ما يأتيه الإنسان من أعمال الخير (سواء خير استخدم فيه صحته أو ماله أو عمله أو جهده ... إلخ) . يقول داود النبى بعدما قدم الكثير جداً ــ هو والشعب ــ لبناء الهيكل (قيل ما يوازى خمسين مليون جنيهاً من الذهب) مناجياً الله : « لكن مَنْ أنا ومَنْ هو شعبى ... **لأنك منك الجميع ، ومن يدك أعطيناك أيها الرب إلهنا . كل هذه الثروة التى هيأناها لنبنى بيتاً لاسم قدسك ، إنما هى من يديك ولك الكل** » (أيام الأولى ٢٩ : ١٤-١٦) ... ونفس المعنى يردده القديس بطرس الرسول : « إن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله » (بطرس الأولى ٤ : ١١) .

(ب) ولأن الإهانة الأدبية لا تمحوها التقدمات المادية . وإذا جاز هذا الأمر مع البسطاء والفقراء ، فهى لا تليق بالعظماء ، فضلاً عن الله ذاته ... الخطية هى إساءة لله ؟ وهى تعد عليه « كل مَنْ يفعل الخطية يفعل التعدى أيضاً . والخطية هى التعدى » (يوحنا الأولى ٣ : ٤) ... وهى جرح شديد فى قلب الله المحب ... قد لا نتصور ذلك على حقيقته من أجل أننا خطاة ... ولكن بقدر ما يعرف الإنسان ذاته ، وكيف أنه حقير ، بقدر ما يسمو فى الروح ، بقدر ما يعرف و يقدر مكانة الله ...

حدث هذا مع واحد من أعظم أنبياء العهد القديم هو إشعياء ... أعلنت له رؤيا ... رأى وكأنه فى حضرة الله . ورأى الملائكة يغطون

وجوههم وأرجلهم تهيباً وخشوعاً . فلم يتمالك نفسه وصرخ : « **ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين ... لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود** » (إشعياء ٦) ... لذا لا نعجب إن قال هذا النبى : « قد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة (= خرقة الطامث) كل أعمال برنا » (إشعياء ٦٤ : ٦) ... وداود النبى العظيم يقول : « أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك » (مزمور ٥ : ٧) ... أى لولا رحمتك الكثيرة لما تجاسرت على دخول بيتك المقدس ... **كون الإنسان يحس فى نفسه أنه صالح ، هذا لا ينفى أنه ملىء بالخطايا فى نظر الله** ... إن هذا يذكرنا بالخضروات المغسولة بالماء ... إنها بالنظرة المجردة تبدو نظيفة ، لكن إن وضعت تحت المجهر (الميكروسكوب) توجد مليئة بملايين الجراثيم والميكروبات !! ... يقول بطرس الرسول : « إن كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والخاطىء أين يظهران » (بطر الأولى ٤ : ١٨) ... **إذاً فأعمال الإنسان الصالحة ــ بدون الإيمان بالمسيح وخلاصه وعمله الكفارى لا يمكن أن تغفر للإنسان خطيته ...**

٢ ـ هل يمكن للتوبة أن تغفر للإنسان خطيته ؟

[وللمرة الثانية ألفت النظر أنى أعالج الأمر خارج دائرة المسيحية أى بدون المسيح] .

سبق أن قلنا إن الخطية إساءة بالغة إلى الله ، وتشويه لصورته التى خلقنا على مثالها ... وتوبة الإنسان لا ترد لله كرامته ومجده ، وتمحو الإساءة التى وجهت إليه ، وكأنها لم تكن ... وهى أيضاً لا

تردنا إلى صورة الكمال التى كانت لنا قبل السقوط ... ولتوضيح ذلك نسوق مثلاً :

موظف إختلس مبلغاً من المال . هذا الإنسان إما أن يرد هذا المبلغ الذى إختلسه أو يحاكم و يفصل من وظيفته . وإزاء هذا الظرف القاسى ، وبداعى العاطفة والصداقة ، وحتى لا يفقد هذا الإنسان وظيفته ومستقبله ، يتقدم صديق له مظهراً إستعداده لسداد المبلغ ... لكن إن وجد ذلك الصديق أن صديقه المختلس غير مبال بمستقبله ، وبما هو عتيد أن يحل به ، يتركه لحاله . وعلى العكس إذا وجده حزيناً مهموماً نادماً عما أتاه وما أخطأ به ، فإنه بكل عاطفة نبيلة ومشاعر الأخوة والإنسانية ، يتقدم لسداد هذا الدين ... والآن نقول **إن ما بدا على هذا الموظف من حزن وندامة ، لم ولن تكون سبباً فى محو خطأه وجريمته واستمراره فى عمله ... لكن ذلك حرّك قلب إنسان طيب ليسدد دينه ... هكذا الإنسان الذى أخطأ فى حق الله ... إن توبته وندمه وحزنه على خطاياه لا تؤهله لغفران خطاياه .** [وهذا الكلام خارج عن دائرة المسيح والمؤمنين به كما قلت سابقاً] ، **لكنها تؤهله لبركات وسيط ىمى عنه ديونه .**

الحاجة إلى فادى أو وسيط

علمنا فيما سبق أن أجرة الخطية هى موت (رومية ٦ : ٢٣) ، والموت بأنواعه الثلاثة ، الجسدى ، والأدبى (الروحى) والأبدى .

وعلمنا أيضاً أن أعمال الإنسان الصالحة لن تحل الإشكال وهكذا فلا يمكن للإنسان أن ينجو من قصاص خطاياه ... لكن الله فى محبته ورحمته ـ وقد جعل لذته مع بنى آدم (أمثال ٨ : ٣١) . يريد أن يرحم الإنسان و ينجيه ... **لكن كيف يتم هذا وعدله مساو لرحمته تماماً ، وهذا يتمشى مع كمال الله فى كل صفاته** ... بحيث أنه لا يمكن أن تتفوق صفة على صفة أخرى ... كما لا يمكن أن يكون هناك تعارض بينهما (رحمة الله وعدله) . فرحمة الله وعدله ليسا سوى وجهين لشىء واحد ، هو كمال الله . لا سبيل إلى رحمة الإنسان وافتقاده وتخليصه من الهوة التى تردى فيها إلاَّ بوجود وسيط تتوفر فيه شروط معينة ، و بذا يستوفى العدل الإلهى حقه ... **لكن يقف أمامنا سؤال :**

هل من العدل أن يتحمل برىء لخطايا مذنب ؟!

ونحن نقول إن مبدأ الإنابة مبدأ سليم ، طالما أن مَنْ سينوب يوافق على القيام بالمهمة . فمثلاً المدين الذين يعجز عن سداد دينه يقوم الكفيل أو الضامن بسداده . المهم أن يحصل الدائن على دينه ... **والله قد** أجاز **هذه الإنابة ـ بصفة مؤقتة ورمزية ـ بواسطة الذبائح الدموية التى أمر شعبه بنى إسرائيل قديماً بتقديمها ، كذبائح المحرقة والخطية والإثم** ... وفيها كان الحيوان البرىء ينوب عن مقدمه المذنب .

هذا المبدأ ـ مبدأ الإنابة ـ نفذه الله نفسه منذ سقوط الإنسان الأول لكى يعلمه الأسلوب الذى يقترب به إليه ... فى قصة سقوط الإنسان نقرأ ـ بعد أن أحس الإنسان بعريه عقب الخطية وحاول أن يكسو نفسه بورق

الأشجار ــ أن الله صنع لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما (تكوين ٣ : ٢١) . والجلود هى دون شك جلود حيوانات . ومعنى ذلك أنه ذبحت أمام الإنسان الأول ذبيحة وأخذ جلدها . لكى يعلم الإنسان كيف يقترب إلى الله . عن طريق الذبيحة الدموية ... حقيقة أن الأمر لا يعدو إشارة فى سفر التكوين . لكن لنعلم أن هذا السفر كُتِبَ بإيجاز شديد .

وليس أدل على ذلك من مأساة قتل هابيل بيد أخيه قايين ... قدم قايين قرباناً للرب من أثمار الأرض ، وقدم هابيل قرباناً من أبكار الغنم ومن سمانها . « فنظر الرب إلى هابيل وقربانه . ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر . فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه » ... الأمر الذى إنتهى بقتل قايين لأخيه هابيل (تكوين ٤ : ٣-٨) ... **فلماذا قبل الله تقدمة هابيل ؟ قبلها لأنها قدمت حسب مواصفات الله ... ذبيحة دموية ..** ورفضت تقدمة قايين لأنها كانت أثمار الأرض . وبديهى أن الله لا يمكن أن يقبل أو يرفض تقدمة ما دون سبق تعريف ، وإلاَّ كان الله غير عادل ، وحاشا لله أن يكون كذلك ... **قطعاً إن الأمر يرتبط بتعليم شفوى (تقليد) قبل أن يرتبط بإدراك أهمية الفدية والدم ...**

وفى عصر ما قبل الشريعة ــ أى قبل أن يعطى الله شريعة مكتوبة على يد موسى النبى ــ نرى الآباء البطاركة (آباء الآباء) قد التزموا بتقديم ذبائح دموية . هكذا فعل نوح بعد زوال الطوفان وخروجه من الفلك (تكوين ٨ : ٢٠) ... **وإبراهيم كان فى كل موضع**

يحل فيه وينصب خيمته يبنى مذبحاً للرب ويقدم عليه ذبائح (انظر تكوين ١٢ : ٦ - ٨ ؛ ١٣ : ١٨ ؛ ٢٢ : ١٣) . **وهكذا فعل إسحق** إذ بنى مذبحاً ودعا باسم الرب (تكوين ٢٦ : ٢٥) ... كما أن **يعقوب** أقام مذبحاً فى شكيم ودعاه إيل إله إسرائيل (تكوين ٣٣ : ٢٠) .

والشعوب الوثنية المنتشرة فى الأرض كلها عرفت مبدأ الفدية والذبائح الدموية . وما ذلك إلاَّ لأنهم جميعاً ينحدرون عن أب واحد . وانتقل التقليد الشفاهى أب عن جد ... وإلاَّ فكيف نفسر إجماع الشعوب الوثنية على تقديم الذبائح الدموية إرضاء للآلهة ؟!

أما فى عصر الشريعة فقد أفاض الله فى الكلام عن الذبائح وأوصافها واستحقاقاتها ومقدميها وكيفية تقدمتها بصورة تدعو للدهشة ... وما ذلك إلاَّ لأن لله قصداً من وراء هذه الذبائح الدموية وأسلوب تقديمها ... هذا القصد كان هو شخص الوسيط الفادى يسوع المسيح ...

وقد أقر الإسلام مبدأ الفدية . فقد جاء فى (سورة الصافات ١٠٧) « وفديناه بذبح عظيم ». والحديث هنا عن إبراهيم ... ويقول الإمام البيضاوى فى **تفسيره لكلمة عظيم :** [إن كلمة عظيم يقصد بها عظيم القدر ، لأن الله فدى به نبياً] . وجاء فى (سورة الكوثر ٢) : « فصل لربك وانحر » . ويقول البيضاوى فى تفسيرها : [الصلاة صلاة العيد ، والنحر هو التضحية (الفدية)] ... ويشرح الإمام الغزالى الشروط الواجب توفرها فى الذبيحة التى تقدم ، بحيث تتوفر سلامتها من

العيوب ، وهى شروط تشبه الشروط التى أوجبها الله فى شريعة العهد القديم (انظر لاويين ٢٢ : ٢٠-٢٤) . وجاء فى كتاب الفقه وصحيح البخارى وغيرها من أمهات الكتب الإسلامية أن نبى الإسلام ضحى عن نفسه وزوجاته بذبائح حيوانية ... وكانت هذه الذبائح ــ لا لإطعام الفقيرــ بل للتكفير عن النفس ...

وفى شريعة العهد القديم ، كان مقدم الذبيحة يضع يده على رأسها أمام الكاهن ويعترف بخطاياه قبل أن تذبح . ولا شك أن هذا تعبير على أن خطايا مقدم الذبيحة تنتقل بهذه الوسيلة إلى الذبيحة ذاتها ... أما فكرة الذبيحة فى جملتها فكانت تعنى أن بريئاً ينوب عن مذنب ... وكانت الذبيحة رمزاً للمسيح حمل الله الذى يرفع خطية العالم (يوحنا ١ : ٢٩) .

إتضح مما سبق أن الإنسان بات بحاجة إلى وسيط أو فادى أو فدية ... لكن مَنْ يكون هذا الفادى أو الوسيط ، وهل ينبغى أن تتوفر فيه شروط معينة ؟

الشروط والواجب توفرها فى الفادى (الوسيط) :

١ - أول ما يجب توافره فى هذا الوسيط **أن يكون إنساناً ، لأن الإنسان هو الذى أخطأ .**

٢ - أن يكون إنساناً بلا خطية لأنه كيف يستطيع خاطىء أن ينقذ خاطئاً .

٣ ـ **يشترط فى هذا الفادى والوسيط ـــ ليس فقط أن يكون** بلا **خطية بل أن يكون معصوماً من الخطية** أى لا يُخطىء ... فآدم ولد بدون خطية ومع ذلك أخطأ .

٤ ـ **ألاّ يكون مخلوقاً** ـــ لماذا ؟ لأن المخلوق نفسه ليست ملكاً له ، بل لله ... والذى نفسه ليست ملكاً له لا يحق له أن يقدمها عن آخرين .

٥ ـ أن يكون هذا الوسيط أو الفادى **قادراً على إحتمال خطايا العالم كله ونتائجها** وليس هذا فقط بل يكون **قادراً على بعث الحياة الروحية فى البشر** ـــ لماذا ؟ حتى يستطيعون أن يتوافقوا مع الله والحياة معه فى السماء . فلقد طرد الإنسان من السماء لأنه لم يستطع بطبيعته التى بدأ يسرى الفساد إليها أن يساكن الله .

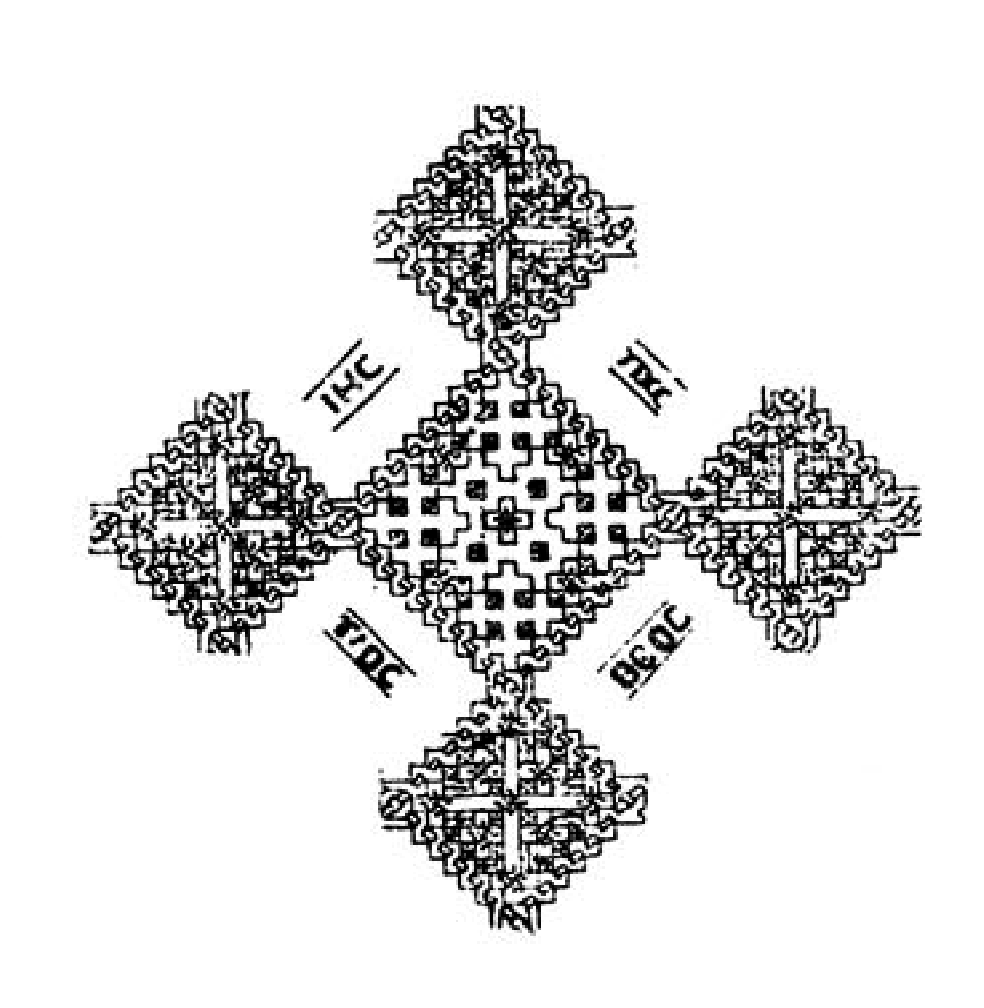
٦ ـ أن يكون هذا الوسيط **غير محدود** حتى يستطيع أن يتحمل عقوبة غير محدودة ...

بالجملة فإن هذه الشروط تستوجب **أن يكون الفادى الوسيط إنساناً وغير محدود ... ولا يوجد غير محدود سوى الله ... وحيث أن الإنسان هو الذى أخطأ ـــ وأخطأ هنا على الأرض ـــ وجب أن الله يأخذ جسداً بشرياً ، ويقدم هذا الفداء فى الأرض ... وهذا ما تم فى شخص المسيح الفادى** « صنعت خلاصاً فى وسط الأرض كلها أيها المسيح إلهنا » (من قطع تسبحة الساعة السادسة) .

ننتقل الآن للكلام عن نقطة رئيسية فى موضوعنا هى « **موت المسيح**

الفادى » . فنحن نتكلم عن « عثرة الصليب » . **ونحن نقول إن المسيح مات على الصليب فإن لم يكن المسيح قد مات فلا وجود للصليب وإن لم يوجد الصليب فالمسيح ما مات إذن !!**

والآن نود أن **ندرس معاً موضوع « موت المسيح الفادى » بشيء من التفصيل فهو محور المسيحية .**



موت المسيح الفادى

تكلمان عن الحاجة إلى فدية ، وعن الشروط الواجب توافرها فى الفادى الوسيط . ورأينا أن هذه الشروط لا تتوفر إلاَّ فى شخص المسيح الفادى . **فهل حقاً مات المسيح ، ومات على الصليب ...؟** معلوم أن الإسلام ينكر موت المسيح ، لكن ليس هو أول مَنْ نادى بعدم موت المسيح ولكن سبقه إلى ذلك الغنوسيون Gnostics .

+ فمَنْ هم الغنوسيون ؟

الغنوسية كلمة يونانية تعنى معرفة يمكن أن نسميهم العارفين أو الأدريين فى كلمات بسيطة يمكن القول أن الغنوسية هى بمثابة ملتقى كبير التقت فيه عناصر مختلفة : يهودية ومسيحية و يونانية وشرقية وثيوصوفية ... **والغنوسية تنادى بالمعرفة γνωσις بدلاً من الإيمان ... ولها مذهب خاص فيما يتصل بالله والخلق وأصل الشر والخلاص ...** وكانت هناك غنوسية يهودية قبل المسيحية ... وإن كانت الغنوسية المسيحية لها أصولها الوثنية واليهودية ـــ ووواضح بها العناصر الصوفية الشرقية والتأثرات الهيلينية ـــ لكن **ومع ذلك فيمكن إعتبارها هرطقة (بدعة) مسيحية من حيث أنهم إستعاروا بعض ألفاظ مسيحية ...** وقد كانت الغنوسية تشكل خطراً كبيراً فى القرن الثانى الميلادى ...

وليست الغنوسية مذهباً واحداً ، بل مذاهب متعددة ... منها مذهب كيرنثوس ومذهب مرقيون ، ومذهب عبدة الحيات ، ومذهب باسيليدس ، ومذهب فالنتينوس ... ومن أهم مبادىء الغنوسية ، القول بثنائية بين الله والمادة . وقال الغنوسيون إن هناك هوة بين الله والمادة ، ملأوها بسلسة من الكائنات المتوسطة التى يحتل المسيح مكاناً بينها ... ويصر الغنوسيون على أن الغنوسية أى المعرفة ــ وليس الإيمان ــ هى سبيل الخلاص ... وقالوا إن هذه المعرفة لا تكون بالبحث والدراسة بل بالإشراق ... والإشراق هو الإتجاه إلى الله بكل ما فى النفس من قوى التخيل والتصور . وهذه المعرفة ترجع فى أصلها إلى وحى أنزله الله منذ البدء على أصفيائه . ثم تناقله أتباعهم واحد عن الآخر سراً ...

وفى تعليلهم لوجود العالم وإنتشار الشر فيه ، تعددت آراء فرقهم . فقال البعض أن هناك ثلاثة أصول : الأول طاهر وهو الله ، والثانى شرير وهو الشيطان ، وثالث سموه الديمورج أو صانع العالم ... وفريق منهم قال عن هؤلاء الأصول أنهم : إله الخير وإله الشر وإله اليهود ... وهناك إجماع فيما بين مذاهبهم على أن الروح البشرية خلقها إله الخير، أما الجسد فخلقه إما الديمورج أو إله الشر. فقد نظروا إلى الجسد على أنه شر ... ومن الغنوسيين الذين ذكروا فى العهد الجديد سيمون الساحر (أعمال الرسل ٨) .

ويجدر بنا أن نعرف أنه مما جعل الغنوسية خطراً ، أنها ظهرت فى

وقت كانت فيه المدارس الفلسفية والديانات السرية ، تسعى إلى تزويد الناس بحاجاتهم الروحية .

أعجب الغنوسيون بشخص المسيح ، واعتقدوا بلاهوته لإعجابهم بقداسته وكماله . لكنهم من الناحية الأخرى إعتقدوا أن الجسد الذى ظهر به فى العالم لم يكن جسداً حقيقياً مثل أجسادنا ، بل كان مجرد صورة أو هيئة ... ويرجع إعتقادهم هذا إلى إعتبارهم المادة والجسد المادى شراً . وهم ـ بحسب فكرهم ـ ينزهون المسيح عن الشر !! وهم فى سبيل تثبيت رأيهم هذا **إبتدعوا قصصاً مختلفة ، منها :**

+ **ما قاله أتباع باسيليدس** (فى القرن الثانى م) من أن سمعان القيروانى الذى حمل صليب المسيح بعض الوقت رضى أن يُصلب عوضاً عنه . لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح ، وصُلِبَ عوضاً عنه !!

+ ما قاله الدوكيتيون أو الدوسيتيون Docetics (= ومعنى هذه التسمية المشبهون) من أن المسيح لم يُصلب إنما تراءى للناس أنهم صلبوه (أى شبه لهم) ... واسمهم مشتق من فعل يونانى معناه يظهر أو يتراءى !!

+ ما قاله أتباع كيرنثوس **(فى القرن الثالث م) من أن المسيح هو الله غير المنظور، وقد إتحد بشخص يدعى يسوع عند المعمودية ، ثم تركه عندما قبض اليهود عليه . لذا فالذى صُلب هو الإنسان**

يسوع ، وليس المسيح ... وبعبارة أخرى يعتقدون أن الجسد الذى كان فيه المسيح هو الذى صُلب أما المسيح باعتباره الله ، فقد صعد إلى السماء قبل الصلب .

مما تقدم يظهر لنا أن الغنوسيين لم يؤسسوا عقيدتهم فى موضوع صلب المسيح على أدلة تاريخية بل على آرائهم الخاصة عن الجسد ، وأنه شر، باعتباره مادة !!

على أن هذه الآراء من السهل دحضها وإثبات خطئها على ضوء العقل وسيرة المسيح وكمالها وقداسته وسموه .

* فالله لا يمكن أن يتخلى عن إنسان يحيا حسب طاعته ويصنع مرضاته لأن هذا يتنافى مع صفاته ... فكيف يكون المسيح قد تخلى عن الإنسان يسوع ليصلبه اليهود . من الناحية الإنسانية هذه ليست شهامة .

* لا يمكن أن نصدق أن الله غيّر هيئة سمعان القيروانى ليظهر فى صورة المسيح ، ويُصلب عوضاً عنه . فما ذنب هذا الرجل ، وكيف يكون الله غير عادل ؟! هذا فضلاً عن أن الغاية من مجيء المسيح هى الفداء . وهل تتوفر فى شخص سمعان القيروانى شروط الفادى ؟!

* كان يمكن لله أن يلجأ إلى وسيلة أخرى لينجى المسيح إذا أراد أن ينجيه . كأن يضرب اليهود الذين أتوا للقبض عليه بالعمى أو أى شيء آخر على نحو ما فعل الملاكان مع بعض أهل سدوم الذين تجمعوا

حول بيت لوط وفيه الملاكان (تكوين ١٩ : ١١) ...

* **وكانت هناك أيضاً وسائل أخرى يمكن إستخدامها ... قال** السيد المسيح لبطرس عندما ضرب أذن عبد رئيس الكهنة بسيفه وقطعها : « أتظن أنى لا أستطيع الآن أن **أطلب إلى أبى ، فيقدم لى أكثر من إثنى عشر جيشاً من الملائكة .** فكيف تكمل الكتب إنه هكذا ينبغى أن يكون » (متى ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤) .

* **الأسلوب الذى إتبعه الله ــ حسب زعم الغنوسيين ــ هو أسلوب يظهر الله بمظهر الضعف ولا يستفيد منه اليهود ، من جهة كون المسيح أتى لخلاصهم ... ثم كيف يلجأ الله إلى أسلوب الغش والخداع ...؟!** فحينما يخلع شكل المسيح وصورته على إنسان آخر كسمعان القيروانى ألاّ يعتبر هذا غشاً وخداعاً ؟!

* **على أن الإنسان الذى صُلب ، أظهر وهو معلق على الصليب سمواً عجيباً ، حتى أنه طلب عن صالبيه « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) ... وقال للص اليمين** الذى إعترف بربوبيته ــ وسأله أن يذكره فى ملكوته ، بعد أن رأى مظاهر الطبيعة الغاضبة : « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لوقا ٢٣ : ٤٣) ...

وقال وهو معلق على الصليب للعذراء مريم : « يا امرأة هوذا ابنكِ » وقال ليوحنا : « هوذا أمك » (يوحنا ١٩ : ٢٦ ، ٢٧) .

فهل يعقل أن هذه التصرفات تصدر عن شخص آخر غير المسيح ؟!

ثم أن صاحب الصلب ظلمة غطت الأرض ، كما إنشق حجاب الهيكل ، وقام كثير من الراقدين من قبورهم ودخلوا أورشليم ، ورآهم كثيرون . فهل يمكن أن يكون المصلوب هو سمعان القيرواني ؟! ... على أن هذا الشخص الذى صُلب ، قام من بين الأموات فى اليوم الثالث ، ورآه كثيرون وثبتت قيامته ، فهل كان هو الآخر سمعان القيروانى ؟!!

* **على أنه وإن كان الغنوسيون قد جاهروا بقبولهم لعقيدة لاهوت المسيح إلى حدٍ ما ، لكننا نرفض آراءهم رفضاً باتاً ،** ليس لأنهم أنكروا مجيء المسيح فى جسد مادى ، وموته مصلوباً بواسطة اليهود ، بل لأنهم إنحرفوا كثيراً عن العقيدة المسيحية من جهة وحدانية الله ، وقيامه بخلق العالم من العدم بمفرده ، ووجود علاقة مباشرة له مع كائنات وسط أخرى بينه وبين العالم المادى . كما ذهبوا فى الغرض من مجيء المسيح مذاهب شتى تتعارض فى جملتها مع الكتاب المقدس ، الذى يُعلن صراحة أن المسيح جاء إلى العالم لكى يبذل نفسه ، ولكى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٦) .

وقد أشار القديس يوحنا الرسول فى رسائله إلى هؤلاء الغنوسيين بقوله : « لا تصدقوا كل روح ، بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله . لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم . بهذا تعرفون روح الله **كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو**

من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح ، الذى سمعتم أنه يأتى والآن هو فى العالم » (يوحنا الأولى ٤ : ١-٣) ... « مَنْ هو الكذاب إلاّ الذى ينكر أن يسوع هو المسيح . هذا هو ضد المسيح ، الذى ينكر الآب والابن . كل مَنْ ينكر الابن ليس له الآب أيضاً . ومَنْ يعترف بالابن فله الآب أيضاً » (يوحنا الأولى ٢ : ٢٢ ، ٢٣)

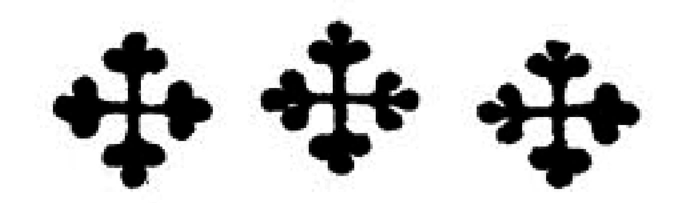
الإسلام وموت المسيح

جاء فى (سورة مريم ٢٣) على لسان المسيح له المجد : « والسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » وجاء فى (سورة آل عمران ٥٤) : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا . وجاعل الذين إتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » كما جاء فى (سورة المائدة ١١٧) : « وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » .

عن الآية الأولى يقول معظم المفسرين المسلمين ، إن موت المسيح سيكون عند نزوله إلى الأرض فى نهاية العالم ... أما كلمة « متوفيك » فقد إختلفوا بخصوصها . فقال بعضهم يحتمل أنه مات حقيقة وسيحيا فى آخر الزمان ويقتل الدجال ...

أما ما جاء فى (سورة النساء ١٥٧ ، ١٥٨) : « ما قتلوه وما

صلبوه ولكن شبه لهم ... وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله » . فعن تفسيرها قال الإمام الرازى : [إن جاز أن يُقال إن الله تعالى يلقى شبه إنسان على آخر . فهذا يفتح باب السفسطة . فإنا إذا رأينا زيداً فلعله ليس زيد . ولكن ألقى شبه زيد عليه . وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والملك موثوقاً به] . **وقال الإمام البيضاوى :** [روى أن رهطاً من اليهود سبوه (المسيح) وأمه . فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله . فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه : إيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل و يُصلب و يدخل الجنة . فقام رجل منهم فألق الله عليه شبهه فقتل وصُلِبَ . وقيل دخل طيطايوس اليهودى بيتاً كان (المسيح) فيه . فلم يجده . وألقى الله عليه شبهه . فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصُلِبَ وقُتِلَ . وقيل لم يقتل أحد . لكن أرجف (أشيع) بقتله . فشاع بين الناس . وقال قوم صُلِب الناسوت وصعد اللاهوت » ... **وواضح من الكلام السابق التضارب وأنه لم يستق معلوماته من مصادر موثوق بها بل من الشائعات !!**



البراهين الدالة على موت المسيح على الصليب

هناك براهين كثيرة لا يرقى إليها الشك تؤيد موضوع موت المسيح . بالإضافة إلى المصادر المسيحية .

١ ـ المستندات التاريخية اليهودية :

+ جاء فى فصل السنهدرين من كتاب التلمود : [إن يسوع الناصرى نودى أمامه أربعين يوماً بأنه سيقتل . لأنه ساحر وأراد أن يخدع بنى إسرائيل و يضلهم . وأنه إذا كان لدى أحد حجة للدفاع عنه . فليتقدم بها إلى السنهدرين . **ولما لم يتقدم أحد إليه صُلِبَ فى مساء الفصح]** .

طبعاً نحن لايهمنا ماذا يقول اليهود عنه ... فطبيعى أن يقولوا عنه إنه ساحر ومضل . **لكن ما يهمنا أنهم ذكروا أنه صُلب .**

+ يوسيفوس المؤرخ اليهودى :

فى كتابه العاديات (= الآثار) (كتاب ١٨ : ٣) يقول : [كان نحو ذلك الوقت رجل حكيم يدعى يسوع ــ إن جاز تسميته إنساناً ــ

لأنه قام بأعمال مدهشة ... جذب إليه عدداً كبيراً من اليهود والأمم . **وحكم عليه بيلاطس البنطى بالصلب بناء على إلحاح رؤساء شعبنا .** أما الذين أحبوا المسيح فلم يتركوه . وهاهم باقون إلى الآن يدعون مسيحيين نسبة إليه] ... **وقد أشار إلى هذه الشهادة الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « عبقرية المسيح »** . على أن ما دونه يوسيفوس فى تاريخ أمته اليهودية فى الفترة التى عاشها المسيح بالجسد ، إنما تتفق تماماً من حيث أسماء الأشخاص والأحداث مع ما جاء بالإنجيل المقدس .

٢ ـ المستندات التاريخية الوثنية :

+ تاسيتوس (٥) Tacitus :

فى كلامه عن حريق روما سنة ٦٤ م ، وعن الوسائل التى لجأ إليها نيرون فى إبعاد الشبهة عن نفسه فى حريق روما يقول إن نيرون لكى ينجح فى إخماد هذه الشائعة ، حبس فى قصره أولئك الناس المكروهين لدى العامة لجرائمهم السرية كمجرمين ، وعاقبهم بجميع ضروب العذابات الوحشية ... ثم يقول : **[أما أولئك الناس فكانوا يلقبون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى شخص اسمه المسيح ، كان قد حكم**

(٥) عاش فى القرن الأول الميلادى وكتب تاريخاً للإمبراطورية الرومانية من موت أغسطس سنة ١٤ م إلى موت نيرون سنة ٦٨ م فى ستة عشر مجلداً .

عليه الوالى بيلاطس البنطى بالقتل فى عهد طيباريوس قيصر]

+ لوسيان (لوكيان) الساموساطى (٦) :

فى كتابه المسمى موت بيريجرينوس Peregrinus [إن المسيحيين لايزالون يعبدون ذلك الرجل العظيم الذى صُلِبَ فى فلسطين لأنه أدخل إلى العالم هذه الديانة الجديدة ... وإن هؤلاء المفتونين قد اقنعوا نفوسهم بأنهم لن يموتوا بل يخلدوا إلى الأبد . ولهذا السبب تراهم يستخفون بالموت . وكثيرون منهم يسلمون طواعية وإختياراً . وكذلك فإن مشرّعهم الأول قد علمهم بأنهم جميعاً إخوة الواحد للآخر، طالما ينبذون آلهة اليونان و يعبدون **ذلك الصوفى المصلوب و يعيشون حسب شريعته] .**

+ كلسوس Celsus الفيلسوف الأبيقورى :

كتب كتاباً أسماه « البحث عن الحقيقة » أو « البحث الحقيقى » . حوالى سنة ١٧٠ م . هاجم فيه المسيحية هجوماً بشعاً فكان ينظر إلى المسيحية على أنها خرافة دنيئة . **ويشير باستهزاء إلى آلام المسيح وقوله : « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » — ويشير إلى الذين صلبوه بقوله : [أولئك الذين صلبوا إلهكم] .** و يهاجم الاعتقاد المسيحى القائل بأن المسيح احتمل هذه الآلام لأجل خير البشرية . ويحاول أن يهزأ من القول بقيامة المسيح . و يهزأ أيضاً من قول المسيحيين عن المسيح : « صلب العالم لى وأنا للعالم » ... وقد

---

(٦) ولد حوالى سنة ١٠٠ م ، وهو من أشهر الفلاسفة أعداء المسيحية .

كتب العلامة القبطى الاسكندرى أوريجينوس مؤلفاً ضخماً فند فيه كل إدعاءات كلسوس الكاذبة وافتراءاته على المسيحية .

٣ ـ الأدلة المسيحية :

وهى عديدة وتتضمن ما جاء بأسفر العهد القديم ، ثم أسفار العهد الجديد ، وممارسات المسيحيين منذ نشأة المسيحية ، والمخلفات الآثرية .

(أ) العهد القديم :

فيما يختص بالعهد القديم ، ماذا نقول عما جاء بأسفاره عن موت المسيح الكفارى وآلامه ؟ **يكاد لا يخلو سفر من أسفار العهد القديم من الإشارة إلى المسيح من زاوية معينة من زوايا حياته بالجسد على الأرض** ... وأنا لا أود أن أثقل عليكم بإيراد نصوص الآيات . ولا حتى مجرد مواضعها . **لكنى أشير على وجه الخصوص إلى أسفار المزامير وإشعياء وزكريا ودانيال وميخا التى إمتلأت بالنبوات الواضحة والصريحة عن الفترة الأخيرة من حياة المسيح بالجسد على الأرض ، والتى إختتمها بآلامه وصلبه ثم قيامته ... هذا بالاضافة إلى الرموز التى** إمتلأت بها هذه الأسفار ، سواء الأشخاص الذين كانوا رمزاً للمسيح . أو الذبائح ، أو الهيكل بكل ما فيه ...

وبالجملة ، نقول إن إنكار عقيدة صلب المسيح وموته إن هو إلاً إنكار للديانة اليهودية بأكملها التى قامت على الذبائح ــ وهذه كانت ترمز إلى شخص المسيح من بعض الجوانب . لقد كان الصلب

علامة لعنة وعار (تثنية ٢١ : ٢٢، ٢٣) ... اللعنة التى كان البشر يستحقونها .

(ب) أسفار العهد الجديد :

قلنا فى بداية موضوعنا إن الصليب هو المحور الذى يدور حوله كل فكر العهد الجديد، وفيه يرتكز كل غنى الإنجيل ومجده ... إنه رمز المسيحية ومجدها . فلا غرابة إن إمتلأت الكتب المقدسة التى للعهد الجديد بالكلام عن موت المسيح . من أجل هذا يقول القديس بولس الرسول إلى المؤمنين فى كورنثوس : « **فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب . وأنه دُفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب** » (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣، ٤) ... يقول : « فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته » .. هذا الذى قبله بولس سواء من المسيح شخصياً أو من الكنيسة قد سلمه للمؤمنين ... **ويقول : « فى الأول » وهذا يدل على أن هذا هو لب كرازة بولس الرسول كما يدل على أن الكنيسة اعتقدت أن الأمر هو الحق الأول والأساسى فى الإيمان المسيحى .** ومعنى عبارة « فى الأول » باللغة اليونانية (قبل كل شىء) .

وموضوع صلب المسيح هو إنجيل بولس الذى كرز به ... يقول : « لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (كورنثوس الأولى ٢ : ٣) ... هكذا إعتقدت كنيسة العهد الجديد بأن

العقيدة الأولى فى المسيحية هو موت المسيح من أجل خطايانا ... **وكما كان المذبح والذبيحة هما حجر الزاوية فى عبادة العهد القديم، كذلك الصليب والكفارة هما حجر زاوية الإيمان فى العهد الجديد ...**

من أجل هذا فإن كل أسفار العهد الجديد تتناول قصة الصليب بإستثناء ثلاث رسائل قصيرة هى الرسالة إلى فليمون ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة ... كل من إنجيل متى ومرقس ولوقا يتناول أحداث الصلب فى اصحاحين طويلين. أما يوحنا فإنه يخصص نصف إنجيله تقريباً لوصف الأسبوع الأخير من حياة المسيح بالجسد، وهو أسبوع الآلام ... وقصة تبشير الرسل بالمسيحية والمدونة فى سفر الأعمال إنما ترتكز على موت الرب وقيامته. **هكذا نقرأ عن المسيح أنه: «أراهم (= التلاميذ) أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم» (أعمال** الرسل ١ : ٣).

وفى عظة القديس بطرس يوم الخمسين ـ يوم تأسست الكنيسة المسيحية ـ نراه يوجه كلامه لليهود فيقول: « هذا (المسيح) أخذتموه مسلّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق **وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه**. فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل **يسوع هذا الذى صلبتموه** أنتم رباً ومسيحاً » (أعمال الرسل ٢ : ٢٣، ٣٦) ...

وبعد معجزة شفاء المقعد الذى كان يجلس عند باب الهيكل الجميل يقول بطرس الرسول لليهود: « أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن

يوهب لكم رجل قاتل **ورئيس الحياة قتلتموه**، الذى أقامه الله من بين الأموات، ونحن شهود لذلك» (أعمال الرسل ٣: ١٤، ١٥).
ويربط بطرس هذا بما تنبأ به الأنبياء قديماً عن آلام المسيح «وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه **أن يتألم المسيح قد تممه هكذا**» (أعمال الرسل ٣: ١٨).

وفى غد المعجزة أحضر رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود وكتبتهم بطرس ويوحنا من الحبس وأوقفوهما أمامهم. ولما سئلوا بأية قوة وبأى اسم صنعا تلك المعجزة، إمتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: «ليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه **باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم**، الذى أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو الحجر الذى إحتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص» (أعمال الرسل ٤: ٥-١٢).

ومرة أخرى يقبض على الرسل ويوضعوا فى حبس العامة، لكن ملاك الرب فى الليل يفتح أبواب السجن ويخرجهم ويقول لهم: «إذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل، بجميع كلام هذه الحياة». لكنهم فيما كانوا يعلمون الشعب فى الهيكل، أقبل عليهم قائد جند الهيكل والخدام وأحضروهم وأوقفوهم أمام مجمع السنهدرين (مجلس اليهود الأعلى). وحينئذ قال لهم رئيس الكهنة: «أما أوصيتكم وصية ألاَّ تعلّموا بهذا

الاسم وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان » ... أجاب بطرس والرسل : « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس . إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة . هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا . ونحن شهود له بهذه الأمور » (أعمال الرسل ٥ : ١٧-٣٢) .

واستفانوس أول شهداء المسيحية فيما كان يحاكم أمام مجمع الليبرتينيين يقول لهم : « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان . أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم . وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجىء البار ، الذى أنتم صرتم مسلّميه وقاتليه » (أعما الرسل ٧ : ٥١ ، ٥٢) . وكانت هذه العبارة الأخيرة هى السبب فى إنقضاضهم عليه ورجمه حتى مات ...

وفيلبس المبشر فى تبشيره للوزير الحبشى الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة ، إستند إلى الفصل الذى كان يقرأه الوزير وهو جالس فى المركبة وهو من (إشعياء ٥٣) . هذا الفصل الذى يتحدث فيه إشعياء بكل وضوح عن آلام الفادى وموته ...

وبطرس الرسول فى تبشيره لكرنيليوس قائد المائة يقول له : « يسوع الذى من الناصرة ... الذى أيضاً قتلوه معلّقين إياه على خشبة هذا أقامه الله فى اليوم الثالث » (أعمال الرسل ١٠ : ٣٨ ، ٣٩) ...

وهكذا فعل بولس الرسول فى حديثه الكرازى فى مجمع اليهود فى أنطاكية بيسيدية ... يقول لهم عن يهود أورشليم : « وأقوال الأنبياء التى تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه . ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت ، **طلبوا من بيلاطس أن يُقتل . ولما تمموا كل ما كُتِبَ عنه أنزلوه عن الخشبة** ، ووضعوه فى قبر. ولكن الله أقامه من الأموات » (أعمال الرسل ١٣ : ٢١-٣٠) .

وبولس الرسول فى أثناء محاكمته فى قيصرية وهو مسجون ، أمام الملك اليهودى أغريباس والوالى الرومانى فستوس ، بعد أن روى قصة إيمانه يقول : « وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون . **ان يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات** » وبينما كان بولس يحتج بهذا قال له فستس الوالى الرومانى : « أنت تهذى يا بولس الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان . فقال لست أهذى أيها العزيز فستس ، بل أنطق بكلمات الصدق والصحو. لأنه من جهة هذه الأمور عالم الملك الذى أكلمه جهاراً ، إذ أنا لست أصدق أن يخفى عليه شىء من ذلك . **لأن هذا لم يفعل فى زاوية** » (أعمال الرسل ٢٦ : ٢٢-٢٦) . **وما أكثر ما دونه بولس الرسول فى رسائله عن موت المسيح ... لكن نقتطف القليل :**

* بولس الرسول فى فاتحة رسالته إلى الغلاطيين ــ يشير إلى آلام المسيح الذى « **بذل نفسه لأجل خطايانا** » ... ثم يقول لهم : « أيها الغلاطيون الأغبياء مَنْ رقاكم حتى لا تذعنوا للحق . **أنتم الذين أمام**

عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (غلاطية ١ : ٤ ؛ ٣ : ١) ... وفى رسالته إلى كولوسى يقول عن المسيح : « **مدفونين معه فى المعمودية** ... إذ كنتم أمواتاً فى الخطايا ... إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط **مسمراً إياه بالصليب** » (كولوسى ٢ : ١٢-١٤) ... وفى رسالته إلى رومية يقول عن الآب : « **الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين** » (رومية ٨ : ٣٢) ... وفى الرسالة إلى العبرانيين يتحدث بولس **عن المسيح كرئيس كهنة وهو فى الوقت ذاته الذبيحة** يقول : « ليس بدم تيوس وعجول ، **بل بدم نفسه** دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » . كما يقول عنه إنه أبطل الخطية **بذبيحة نفسه** (عبرانيين ٩ : ١٢ ، ٢٦) .

والقديس بطرس الرسول الذى يقول عن ذاته : « لأننا لم نتبع خرافات مصنعة » (بطرس الثانية ١ : ١٦) ... يقول عن المسيح : « **الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة** ... الذى بجلداته شفيتم » (بطرس الأولى ٢ : ٢٤) .

أما **القديس يوحنا الرسول** فيول : « **يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا** . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً » (يوحنا الأولى ٢ : ١ ، ٢) ... **ويذكره فى سفر الرؤيا ــ كما رآه ، كالخروف المذبوح** « الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه » (رؤيا ١ : ٥) .

(جـ) الممارسات المسيحية :

نستطيع أن نلمس صليب المسيح وموته ، من الممارسات المسيحية التى إستخدمها المؤمنون منذ فجر المسيحية ... **ولا غرابة فى ذلك ، فالحياة المسيحية كلها قائمة بالصليب وفى الصليب ... وأسرار الكنيسة المقدسة** التى بها ينال المؤمن نعماً غير منظورة ، تستمد فعاليتها من الصليب ، وبركات فداء المسيح المخلص الذى مات على الصليب ... **نشير إلى بعض أمثلة :**

+ سر العماد المقدس :

ليس أحد يدعى مسيحياً إلاَّ إذا إعتمد على اسم المسيح ... **والمعمودية هى مثال لموت المسيح ودفنه وقيامته** ، حسبما يقول الرسول بولس : « أم تجهلون أننا **كل مَنْ إعتمد ليسوع المسيح إعتمدنا لموته .** فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة . لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته . **عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه** ليبطل جسد الخطية ، كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية ... **فإن كنا قد متنا مع المسيح** ، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رومية ٦ : ٣-٨) .

ولا شك أن جميع المسيحين منذ أن قامت المسيحية إعتمدوا على

اسم المسيح إتماماً لوصيته الأخيرة لرسله : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) ... وهذا ما حدث فى يوم الخمسين ـ يوم تأسست الكنيسة المسيحية . فحينما سأل المجتمعون الرسل ـ بعد أن نخسوا فى قلوبهم نتيجة عظة بطرس الرسول : « ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة » كان جواب الرسل على سؤالهم هذا : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » ... وقد تم ذلك بالفعل ، إذ « إعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » (أعمال الرسل ٢ : ٣٧-٤١) .

+ سر الافخارستيا :

ويذكر فى أسفار العهد الجديد باسم « كسر الخبز » ... هذا السر واظبت عليه الكنيسة منذ تأسيسها ... يذكره بولس الرسول على أنه « شركة جسد المسيح وشركة دمه » . « أقول كما للحكماء ، إحكموا أنتم فى ما أقول : كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٥ ، ١٦) .

+ علامة الصليب :

وهو شعار المسيحيين منذ بدء المسيحية ، على نحو ما أن النجم هو

شعار اليهود ، والهلال هو شعار المسلمين ... وهذا واضح من **كتابات المسيحيين الأوائل ، ومن الآثار المسيحية التي** ترجع إلى القرن الأول الميلادى .

+ يوم الأحد :

منذ بدء المسيحية ، إحتفل المسيحيون بيوم الأحد بعد أن حل محل السبت اليهودى . وهذا واضح من الأسفار المقدسة ... وكانوا يسمونه يوم الرب ، أو اليوم الأول من الأسبوع . ويرتبط يوم الأحد بقيامة المسيح من بين الأموات ، ولذا دعى « يوم الرب » . وهو يوم فرح وبهجة ... وإذا كان هذا اليوم هو تذكار دائم لقيامة المسيح من بين الأموات ، فمعنى ذلك أن المسيح مات فعلاً . لأنه ليست قيامة إلا ويكون قد سبقها موت ... والمسيح مات ثم قام ناقضاً أوجاع الموت .

+ السـمكـة :

إتخذ المسيحيون رسم السمكة شعاراً لهم منذ فجر المسيحية . أما السبب فى ذلك ، فكما يقول العلامة ترتليانوس فى كتابه « عن المعمودية » من القرن الثانى الميلادى ، أن كلمة (ΙΧΘΎC) (IKHTHUS) التى تعنى سمكة باللغة اليونانية ، هى عبارة عن أوائل الحروف من الكلمات اليونانية التى تعنى [يسوع المسيح ابن الله

مخلصنا] ... ولا شك أن الخلاص تم بالصليب وموت المسيح الكفارى فوقه ...

÷ صوم يومى الأربعاء والجمعة :

وهذا الصوم من أقدم أصوام المسيحية ، وقد مارسته كنيسة الرسل ، وحلا محل يومى الاثنين والخميس اللذين كان يصومهما اليهود الأتقياء (٧) ... ويوم الأربعاء تذكار خيانة يهوذا بعد اتفاقه مع رؤساء الكهنة على أن يسلّم لهم المسيح . ويوم الجمعة تذكار صلب المسيح وموته ... أضف إلى هذا أن المسيحيين منذ وقت مبكر إحتفلوا بصوم أسبوع الآلام ، وهو الأسبوع الأخير من حياة السيد المسيح بالجسد على الأرض ... وضمن هذا الأسبوع يوم الجمعة العظيمة ، الذى فيه صُلب مخلصاً .

(د) الأدلة الأثرية :

لعل أقدم الآثار المسيحية التى تشير إلى صلب المسيح ، وموته وقيامته وكثير مما يتعلق بشخصه ، نجدها فى سراديب روما التى لازالت باقية حتى اليوم تشهد بصحة وصدق ما نقول ... هذه السراديب استخدمها المسيحيون منذ القرن الأول المسيحى ، أماكن لاختفائهم من وجه مضطهديهم ، وأماكن لتأدية شعائرهم الدينية ...

كان الصليب مكروهاً قبل المسيحية لأنه كان آلة تعذيب وإعدام

(٧) فى مثل الفريسى والعشار يصلى الفريسى قائلاً : « اللهم أنا أشكرك أنى لست مثل باقى الناس ... **أصوم مرتين فى الأسبوع** » (لوقا ١٨ : ١٢) .

للمجرمين والأشرار ... **ولكن المسيحيين منذ فجر المسيحية كرموا الصليب وقدسوه. لأن المسيح قبل الآلام والموت على خشبة الصليب** ... وهكذا صار الصليب رمز الفداء والنصرة والحب والبذل، والقوة التى قهرت الموت وسحقته ... **ومن أجل هذا الإيمان، استخدم المسيحيون الصليب فى عبادتهم، وفى حياتهم الخاصة والعامة، وفى طقوس العبادة بكل صورها ...**

وليس هذا فحسب، بل انهم نقشوا علامة الصليب على أماكن عبادتهم ومنازلهم ومقابرهم ... وقد عثر علماء الآثار بالاسكندرية فى سنة ١٩٦٩، على مقابر منقوش عليها صلبان يرجع تاريخها إلى القرنين الأول والثانى الميلاديين (٨).

أضف إلى هذا أن المسيحيين ــ منذ البداية ــ **كانوا يقابلون بالهزء والاضطهاد من أجل إعتقادهم فى صلب المسيح** ... لكنهم على الرغم من ذلك، لم يتحولوا عن معتقدهم هذا، ولا عن تكريم الصليب، ولو قيد شعرة !! ناهيك عن المعترفين والشهداء المسيحيين، الذين لا يُحصى عددهم منذ عهد الرسل، والذين قابلوا الموت بفرح من أجل إيمانهم بموت المسيح المخلص على الصليب ... **ومن غير المعقول أن يتحمل إنسان الهزء والاضطهاد، فضلاً عن التعذيب حتى الموت من أجل خرافة، أو أمر لا نصيب له من الصحة** ... وصدق بطرس الرسول حينما قال: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة» (بطرس الثانية ١: ١٦).

---

(٨) نشر هذا الخبر بجريدة الأهرام فى العدد الصادر فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦٩.

أخيراً أيها الإخوة ...

بعد أن إستعرضنا قضية الصليب من الناحية الإيمانية العقيدية ، لابد وأن نقول كلمة روحية كختام لهذا الموضوع ...

إن صليب المسيح إنما هو نور الله الذى يعلن ويكشف محبته للبشر ... هكذا كانت الحية النحاسية التى رفعها موسى النبى فى البرية ــ بأمر الله نفسه ــ رمزاً للصليب ولمَنْ رُفِعَ عليه ... هكذا يقول رب المجد يسوع المسيح : « **وكما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية .** لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد . لكى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٤-١٦) ... وبعد أن قام المسيح من بين الأموات ظهر لتلاميذه « **وأراهم يديه وجنبه** » . وفيها أثر المسامير وطعنة الحربة ... ففرح التلاميذ حينما رأوا أثر جروح الرب القائم من بين الأموات ...

إن هذه الجروح ــ التى هى دليل موت الرب المحيى ــ هى موضوع فرح المؤمنين ... منها يأخذون من ينبوع الدم الذكى لتطهير خطاياهم ... فهل لك هذا الإختبار، حتى تهتف مع الرسول العظيم بولس هتاف النصرة : « أما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح ، الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم » (غلاطية ٦ : ١٤) .



« ... فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقي ... »

(مت ٢٧ : ٥٩ ؛ مر ١٥ : ٤٢ - ٤٦ ؛ لو ٢٣ : ٢٥ - ٥٣ ؛ يو ١٩ : ٣١ - ٣٨)

المسيحية صانعة القديسين



قداسة المسيح :

فى المحبة والدعوة إلى عدم العنف ـ فى طهارته ـ قداسة سيرته ـ إتضاعه ـ لطفه ورقته فى معاملة الخطاة ـ شجاعته وغيرته .

لو كانت المسيحية مجرد تعاليم نظرية لما صنعت قديسين .

نماذج من فضائل المسيحيين .

ماذا عسانا نستطيع أن نقوله عن هذا الموضوع الضخم ... إنه سجل حافل امتد قرابة عشرين قرناً من الزمان . ونحن نستطيع أن نمد أبصارنا لنتأمل **سحابة الشهود من القديسين الذين يحيطون بنا** ... الشهود الذين صنعتهم المسيحية . إتماماً لقول المسيح : « وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أعمال الرسل ١ : ٨) . نمتد أبصارنا لنعاين **فئات هذه السحابة ... الرسل القديسين والتلاميذ الأطهار ... الشهداء بأكاليلهم ... النساك ببهائهم ... الأبرار فى كل الأجيال بجهاداتهم .** كيف نستطيع فى محاضرة واحدة أن نستوفى هذا الموضوع حقه ولكننا نحاول يا أحبائى بقدر ما يتسع الوقت . وبقدر ما تسعفنا الفرصة وبقدر ما تؤازرنا النعمة . أن نتناول هذا الموضوع من بعض جوانبه .

يا أحبائى ... ربما كان موضوع شخص المسيح مسألة جدل ونقاش بين مَنْ يعتقدون بلاهوته ومَنْ ينكرون عقيدة ألوهته . لكن **الموضوع الذى يسلّم به الجميع هو قداسة المسيحيين أتباع المسيح** ... وربما تضاربت الآراء فى مدى ملاءمة تعاليم المسيح لحياة البشر . لكن الأمر الذى لا جدال فيه . **هو سمو هذه المبادىء وروحانيتها .**

ونحن لا نستطيع أن نتحدث عن قداسة المسيحيين دون أن نتطرق بالحديث إلى كمال السيد المسيح فى قداسته وكل صفاته ... فليس المسيحيون سوى أغصان فى الكرمة الحقيقية ربنا يسوع المسيح

(يوحنا ١٥ : ٥) ... هم أعضاء فى جسد المسيح السرى غير المنظور. والمسيحيون هم نور العالم لأن المسيح هو النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم ... **إن مصدر قداسة المسيحيين هو السيد المسيح نفسه**. والروح القدس هو الذى يهب المؤمنين باسم المسيح كل ما له (يوحنا ١٦ : ١٤) . المسيح له المجد هو الذى دعا المؤمنين به أن يتعلموا منه لأنه وديع ومتواضع القلب (متى ١١ : ٢٩) . و يؤكد نفس المعنى الرسول بولس بقوله : « تمثلوا بى كما أنا بالمسيح » (كورنثوس الأولى ١١ : ١) . « **كونوا متمثلين بالله** كأولاد أحباء » (أفسس ٥ : ١) . **وإذا كان مصدر قداسة المسيحيين هو المسيح نفسه ، فيجدر بنا أن نقف ولو قليلاً لنتأمل هذه القداسة ، وبعض جوانب العظمة الروحية فيها** ... جوانب العظمة الروحية أو كل الكمال الروحى فى شخص المسيح له المجد .

قداسة المسيح

كانت حياة السيد المسيح بالجسد على الأرض عزوفاً عن الدنيا ومباهجها . فلم يهتم بما يتكالب عليه الناس و يقتتلون ، من غنى ومجد وسلطان . لم يحفل بما هو للزواج . **فقد أتى ليؤسس مملكة روحية قوامها قلوب البشر فى المسكونة كلها** . و يؤلف المؤمنين به فى العالم كله جسده غير المنظور ... **لذا لم نسمع عنه أنه حارب أو غزا أو غنم غنائم أو سلب أو أخذ مال أحد أو إغتصب زوجة أحد** ... كانت

هذه هى مبادئه التى ألزم بها كل مَنْ أراد أن يصير له تلميذاً ، و يسير وراءه كتابع مؤمن ...

عاش المسيح له المجد كاملاً فى كل فضيلة . وحتى أولئك الذين كانوا يضمرون له العداء ، من الكتبة والفريسيين وغيرهم ، وحاولوا مراراً أن يصطادوه بكلمة قال لهم متحدياً : «**مَنْ منكم يبكتنى على خطية** » (يوحنا ٨ : ٤٦) . وتعبير يبكتنى يعنى يثبت علىَّ خطية ... مَنْ الذى يجرؤ أن يتحدى مقاوميه الذين يناصبونه العداء بهذه الصورة ؟! ... هو الذى سبق وتنبأ عنه إشعياء النبى : « هوذا فتاى الذى أخترته . حبيبى الذى سرت به نفسى . أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق . **لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشارع صوته** . قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء حتى يخرج الحق إلى النصرة » (إشعياء ٤٢ : ١ - ٣ ؛ متى ١٢ : ١٧ - ٢١) ...

ظلت البشرية منذ قيامها تفتش باجتهاد وتبحث لاهثة عن « **الإنسان الكامل** » . وتخرج مع ديوجين الذى حمل مصباحه فى وضح النهار ليفتش فى أثينا عاصمة الفلسفة عن هذا الرجل ، دون أن يعثر عليه . **لكن فى ملء الزمان ظهر مشتهى كل الشعوب إلى عالمنا وديعاً متواضعاً** . **المسيح هو الوحيد بين معلمى العالم وحكمائه الذى علّم عن الكمال الإنسانى وعاش هو هذا الكمال** . أما باقى الحكماء والمعلمين والمشرعين فما طابقت تعاليمهم حياتهم وما طابقت حياتهم تعاليمهم .

فمثلاً أمامنا **كونفوشيوس حكيم الصين** الذى يتعبد له **ملايين** يقول : [كيف أجرؤ أن أحسب نفسى واحداً من رجال الحكمة والفضيلة !! يسوغ أن يُقال عنى إنى أجاهد لكى أصير فى حال أفضل . يمكن أن يُقال إنى لا أكل من تعاليم الآخرين . وربما عادلت أفضلهم فى معرفة الآداب ! ولكن **أقر أنى فشلت فى الوصول إلى خلق الإنسان السامى ، الإنسان الذى يرى فى تصرفه الأمور التى يعلّم بها** . إن هذا هو ما يرعبنى . إنى لم أصل إلى مستوى الفضيلة ، الذى أريده . **ولا أحيا تماماً حسبما علّمت . ولست قادراً على السير فى حياة البر وعمله ، فى الوقت الذى أعرف فيه أن هذا هو البر.** آه إنى لا أستطيع عمل الخير ، **ولست قادراً على تغيير ما فى نفسى من شر**] .

نحاول الآن أن نتتبع المسيح فى بعض كمالاته :

المحبة والدعوة إلى عدم العنف

المسيح يا أحبائى هو مَنْ لم تعرف البشرية نظيراً له فى المحبة . ولا عجب **فهو المحبة المتجسدة بين البشر** ... جاء المسيح إلى عالم تفرقه البغضاء ، وتمزقه العداوة والكراهية . فاليهود الذين كان لهم العهود والاشتراع والمواعيد ـــ شعب الله القديم ـــ كانوا لا يتعاملون مع غيرهم من الشعوب الوثنية لأنهم كانوا يتعالون عليهم . وعلى أية الحالات فهم لم يكونوا أحسن حالاً من بقية الشعوب الوثنية التى ظلت تتفاخر .

جاء المسيح إلى عالم إنعدمت فيه المحبة أو كادت ... لذا حينما تحدث عن المحبة كان حديثه هو اللحن العذب وإن كان غريباً على مسامع الناس « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عودك أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (متى ٥ : ٤٣، ٤٤) . لا شك أن هذا كلام غريباً، على سمع البشر، **ولكنه كان صوت الحكم الأزلى يشخص الداء ويصف الدواء . الدعوة إلى محبة الأعداء هى دعوة لم يألفها البشر من قبل ، لكنها تتمشى مع طبيعة المسيح ورسالته ودعوته ...**

يقول أحد الحكماء : **[إن مقابلة الإحسان بالإساءة عمل شيطانى . ومقابلة الإساءة بالإساءة عمل حيوانى . ومقابلة الإحسان بالإحسان عمل إنسانى . أما مقابلة الإساءة بالإحسان فعمل إلهى]** ... وفى ذلك يقول رينان المفكر الفرنسى الملحد **(١٨٢٣ ــ ١٨٩٢) [إن لم يكن المسيح إلهاً ، لوجب أن يكون إلهاً عند الصليب لأجل صفحه عن أعدائه الألداء] !!** هذا كلام رجل ملحد كتب كتاباً عن المسيح أحدث دوياً كبيراً فى العالم وقت ذاك ... حينما وضع المسيح مبدأ محبة الأعداء إنما وضعه ليجتث العداوة من القلوب ويستأصل جذورها ، ويحول الأعداء إلى أحباء « إن جاع عدوك فاطعمه . وإن عطش فاسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه **لا يغلبنك الشر بل إغلب الشر بالخير** » (رومية ١٢-٢٠) .

هكذا فعل المسيح مع شاول الطرسوسى الذى كان يضطهد

كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غلاطية ١ : ١٣) . هذا الرجل كما نعلم فى قصة إهتدائه للمسيحية أن المسيح تراءى له على مقربة من دمشق فى نور عظيم وقال له معاتباً : **« شاول شاول لماذا تضطهدنى »** ... ربنا يعاتب إنسان بالقول : « لماذا تضطهدنى » !! هل يمكن أن يضطهد الإنسان الله ؟! ومع ذلك فالله يتكلم برفق وحنو .

وهكذا فعل المسيح له المجد مع السامريين الذين كانت بينهم وبين اليهود عداوة تقليدية عنيفة ، حتى أن من أكبر الشتائم التى كان اليهود يرمون بها إنساناً قولهم عنه إنه سامرى . وقد وجهوا هذه الشتيمة للمسيح (يوحنا ٨ : ٤٨) ...

فى إحدى المرات فيما كان السيد المسيح منطلقاً إلى أورشليم أرسل أمام وجهه رسلاً فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى ما يعدوا لمجيئه لتلك القرية ... لكن السامريين فى تلك القرية رفضوا مجىء المسيح إليهم ... أخذت الحمية تلميذاه يعقوب ويوحنا إذ كيف يُرفض معلّمهم ، إنها إهانة كبيرة !! فقالا له : « يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً » . فانتهرهما المسيح وقال : **« لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص »** (لوقا ٩ : ٥١ ــ ٥٦) ...

وإن كان السامريون فى تلك القرية رفضوا المسيح ولم يقبلوه ، لكنه لم يتركهم ... لقد دخل إليهم ، وإلى قلوبهم من خلال المرأة السامرية الخاطئة ، التى سعى إليها وأظهر نحوها عطفاً لخلاص نفسها ...

والعجيب أن المسيح دعى « مخلص العالم » لأول مرة فى العهد الجديد بواسطة السامريين (يوحنا ٤ : ٤٢) !! **هذه هى المحبة التى تستطيع أن تحول العداوة إلى حب وتحول الأعداء إلى أصدقاء .**

كان هذا هو سلوك المسيحيين دائماً لقد أخذوا عن معلمهم فضيلة محبة الأعداء ومباركة المسيئين والصلاة لأجل الذين يضطهدونهم . والمحبة التى نادى بها المسيح ليست محبة الكلام بل محبة العمل والبذل كما يقول رسول المحبة يوحنا : « يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق » (يوحنا الأولى ٣ : ١٨) .

كان العالم وقتذاك ينقسم إلى أشراف وعامة ، أحرار وعبيد . كانت الخدمة يقوم بها العبيد . أما السادة فكانت لهم السيادة ... **أما المسيح فقد قدم نفسه كالخادم** « ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل لِيخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (متى ٢٠ : ٢٨) . هذه هى محبة المسيح فى نقائها .

ننتقل إلى صفة أخرى ، وإلى كمال آخر من كمالات المسيح ، وهو طهارته .

طهارته

فى إحدى صلوات القسمة بالقداس الإلهى نسمع هذه العبارة : « معلم الطهارة مؤسس الدهور قابل الصلوات النقية » ... **« معلم**

الطهارة » يقف الإنسان طويلاً طويلاً عند هذه العبارة ... فالمسيح والمسيح وحده ـ لا أقول هو الطاهر ـ بل هو معلم الطهارة ... هو البتول ابن البتول الذى اعتبر مجرد النظر بشهوة كأنه زنى « إن كل مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » (متى ٥ : ٢٨) ...

لقد سما المسيح بالإنسان من هذه الزاوية سمواً لا حد له .

فى المسيحية ليست الأفعال وحدها هى الخطايا بل مجرد الفكر أو الشهوة يعتبر خطية . وحين أراد المسيح أن يعالج البشرية عالجها علاجاً جذرياً ... عالج القتل باستئصال جذور الغضب ، وعالج الزنى باستئصال النظرة الرديئة ومجرد الشهوة القلبية . **هو الذى أعطانا فكرة سامية عن السماء بطهارته حينما قال : « فى السماء لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء »** (متى ٢٢ : ٣٠) .

كان كلام المسيح هذا فى وقت إمتلأ العالم بالرذيلة وبالدنس . وكانت خطايا الزنى والعهارة والدعارة خطايا شائعة . (كل كلمة من هذه المسميات لها معناها فى اللغة اليونانية الأصلية) كانت خطايا شائعة ولذا يشدد بولس الرسول كثيراً فى رسائله على هذه الخطايا . وللسبب نفسه جاء النهى عن الزنى قراراً لأول مجمع كنيسى فى تاريخ الكنيسة المسيحية وهو مجمع أورشليم سنة ٥٠ م (أعمال الرسل ١٥) ...

وليس أدل على إنحطاط مفهوم الطهارة عند الوثنيين فى ذلك الوقت من أن بعض العبادات الوثنية القديمة كان يرتكب الزنى فيها ، كجزء من العبادة التى تقدم إرضاء لبعض الآلهة . ومن الأمثلة

على ذلك الآلهة افروديت التى أقيم لها معبد فى مدينة كورنثوس ببلاد اليونان ، كان يضم ألف زانية يرتكبن الزنى إرضاء لتلك الآلهة !!

قداسة سيرته

أما من جهة قداسة سيرة السيد المسيح فنقول **إن قداسته ما خانته أو تخلت عنه فى أدق ظروف حياته الجسدية .** فحينما خرج **يهوذا التلميذ الخائن** مع شرذمة من الرعاع والجند وبعض خدام رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ، وقبّله قبلة غاشة كعلامة للقبض عليه ، لم يعنفه بل عاتبه برفق : « **يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان** » (لوقا ٢٢ : ٤٨) ... وحينما **إستل بطرس سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ،** قال له الرب معلّماً : « **رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون** » (متى ٢٦ : ٥٢) ... ولمس الأذن المقطوعة وأبرأها (لوقا ٢٢ : ٥١) . **وفى دار رئيس الكهنة حينا لطمه واحد من الخدم ، كان كل ما قاله له : « إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى . وإن حسناً فلماذا تضربنى »** (يوحنا ١٨ : ٢٣) .

اتضاعه

كان المجتمع اليهودى القديم ينقسم فى نظر معلمى اليهود إلى أبرار وخطاة . وكان المعتبرون أبراراً لا يخالطون المعتبرين خطاة خشية أن

يتنجسوا ... **أما المسيح فخرج على مألوف معاصريه وكان يعامل الجميع كخليقته التى جاء ليخلصها ... كان يجالس الجميع . وكانت مجالسته هذه موضع إنتقاد ومساءلة من جانب مقاوميه وأعدائه « لماذا يأكل معلمكم و يشرب مع عشارين وخطاة » ؟ ... وكان رد المسيح مفحماً : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » ...**

بهذا المفهوم الخاطىء لدى اليهود ترك مريض كذاك الذى التقى به المسيح مطروحاً عند بركة بيت حسدا ، وكان له ثمان وثلاثون سنة مريضاً !! و يبدو أن هذا المريض ، كان مرضه قصاصاً عن الخطية ، حتى أن المسيح بعد شفائه ، التقى به وقال له : « ها أنت قد برئت ، فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » . هذا الإنسان قصده المسيح وهو طريح فراشه على حافة البركة ، وسأله سؤالاً عجيباً ، « أتريد أن تبرأ ؟ » فكان جواب المريض : « يا سيد ليس لى إنسان » (يوحنا ٥ : ٢-١٤) ... **وواضح أنه لكونه خاطئاً ، لم يكن له إنسان !! كان هذا المفهوم الخاطىء بلا شك سبباً فى أن يظل الشرير شريراً والفاسد فاسداً .**

و يصل إتضاع السيد مداه حين إنحنى وغسل أرجل تلاميذه . وأوجب عليهم أن يتمثلوا به « أنتم تدعوننى معلماً وسيداً وحسناً تقولون ، لأنى أنا كذلك . **فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فانتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى**

أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله » (يوحنا ١٣ : ١٣-١٦) . وحينما استكثر بطرس التلميذ أن يغسل المسيح رجليه ، وحاول أن يستعفى من ذلك كان رد المسيح عليه : « إن كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب » .

لطفه ورقته فى معاملة الخطاة

كم كان المسيح لطيفاً رقيقاً فى معاملته للخطاة ... فالمرأة التى قدمها إليه شيوخ اليهود بتهمة إمساكها فى ذات فعل الزنى ، بعد أن أوسعوها هزء وأشبعوها فضيحة ... أظهر نحوها عطفاً ... وأبعد عنها متهميها ، حينما كشف لهم خطاياهم بالكتابة بأصبعه على الأرض ، فأخذوا ينسحبون الواحد إثر الآخر ... **عرف كيف يقتادها إلى التوبة بدون تشهير أو تعنيف** « يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك . أما دانكِ أحد . فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع ولا أنا أدينكِ . إذهبى ولا تخطىء أيضاً » (يوحنا ٨ : ٣-١١) . **ولا شك أن هذه الرقة ، وذلك اللطف ، وتلك الكلمات الهادئة المعبرة التى خرجت من فم ذاك الذى كل شىء مكشوف أمامه ، قد أذابت قلب المرأة فى داخلها ، وهذه مقدمة طيبة للتوبة . فالعنف لا يُنشىء صلاحاً .**

ولم يكن المسيح رقيقاً مع تلك المرأة الخاطئة وحدها ، بل كان رقيقاً أيضاً مع مَنْ أساءوا إليها من شيوخ اليهود ... إن أسلوبه فى

المعاملة لم يتغير. فإن كان لم يوافق على التشهير بالمرأة ، فبالمثل لم يكشف خطايا مَنْ إتهموها واقتادوها إليه . بل إكتفى بالكتابة بأصبعه على الأرض ... مظهراً فى صمت وكتمان خطاياهم وأنهم ليسوا أبراراً كما يظنون ... ومن يدرينا لعل بعضهم كان ملتصقاً بنفس الخطية التى نسبوها لتلك المرأة الخاطئة !! وكان كل مَنْ يقرأ خطيته منهم ينسحب فى خجل ، يجر أذيال الخزى والخيبة !!

والمرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى ... تلك المرأة كانت معروفة فى كل مدينتها إذ سمعت أن يسوع متكىء فى بيت ذلك الفريسى أحضرت قارورة طيب ، وجاءت من وراءه وأخذت تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها ، وكانت تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ... ولقد استسلم الرب يسوع لهذا التصرف . **فقد أحس أن تلك المرأة الخاطئة أذابت خطاياها بدموع توبتها ... وانفتح قلبها التائب ، وفاح منه رائحة طيب توبتها أكثر مما فاح من قارورة الطيب التى أحضرتها !!** لكن إقتراب تلك المرأة الخاطئة من المسيح ولمسه على هذا النحو، لم يعجب ذلك الفريسى المضيف ، ولا كل المدعوين فأخذ ينتقده فى قلبه منكراً عليه معرفة الخفايا !! **لكن المسيح حامى عن المرأة ، مظهراً توبتها ، كاشفاً لحبها العميق « لأنها أحبت أكثر »** ... وأعطاها مغفرة خطاياها وسلاماً لنفسها ... (لوقا ٧ : ٣٦ـ ٥٠) .

وثمة مثل ثالث يوضح لنا لطف المسيح ورقته فى معاملة الخطاة ، **هو قصة لقائه مع المرأة السامرية** (يوحنا ٤) ... لقد كان المسيح رقيقاً **لم**

يحاول أن يجرح تلك المرأة الخاطئة ويكشف لها خبيئة قلبها وماضيها المشين. لكنه بدأ الحديث معها كمَنْ له إحتياج : «اعطنى لأشرب» ... وعلى الرغم من امتناعها فقد أخذ المسيح يكلمها عن «الماء الحى»، حتى وصل من ذلك إلى كونه هو «المسيا» ... وفى رقة وحب ولطف إقتاد تلك المرأة الخاطئة إلى التوبة. بل لقد أصبحت أول مبشرة بالمسيح فى العهد الجديد ... لقد دعت أهل مدينتها إلى المسيح : «هلّموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت ألعل هذا هو المسيح. فخرجوا من المدينة وأتوا إليه».

وإذا كان المسيح قد ملك العالم كله فقد ملكه بالحب، ولا شىء غير الحب. فحينما أتى ليصالح البشرية مع الله الآب، لم يحاول البشر التجاوب مع دعوته للصلح والسلام، بل أظهروا عداوة عجيبة وإصراراً قوياً على الاستمرار فى شرورهم، ومناصبته العداء ... وكانت بلسان اليهود تصرخ أمام بيلاطس الوالى الرمانى : «أصلبه أصلبه دمه علينا وعلى أولادنا» ... لكن المسيح الفادى أحبهم إلى المنتهى (يوحنا ١٣ : ١)، وأظهر نحوهم عطفاً عجيباً وطلب لهم الغفران : «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٣٤) ...

شجاعته وغيرته

إن محبة المسيح ووداعته وإتضاعه لم يمنعاه من إظهار الحزم فى المواقف، التى تتطلب ذلك ... ولأنه رأى مثلاً أن آفة المجتمع اليهودى

هو العبادة الريائية ، حمل على الكتبة والفريسيين رياءهم (انظر متى ٢٣) . هذا فى الوقت الذى كان لهؤلاء الكتبة والفريسيين المرائين اليد الطولى فى المجتمع اليهودى أكثر من الكهنة أنفسهم لكن المسيح لم يخشى بأسهم ، لأنه هو « الحق » .

وعندما وجد هيكل الرب منتهكاً صنع سوطاً من حبال وطرد منه كل الباعة والصيارفة لم يبال بالكهنة ولا برؤسائهم وقال لهم موبخاً : « بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (متى ٢١ : ١٣) ...

وأخيراً حينما مثل أمام بيلاطس الوالى الرومانى الذى كان بيده أن يبرئه أو يحكم عليه ، **قال له بيلاطس** ــ وقد رآه صامتاً ــ « أما تكلمنى . ألست تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك ، وسلطاناً أن أطلقك » . **هنا أجاب المسيح وقال لبيلاطس : « لم يكن لك علىَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق »** (يوحنا ١٩ : ١٠ ، ١١) .

نخلص من كل هذا إلى القول إن السيد المسيح عاش كاملاً فى القداسة وفى كل فضيلة . حتى أن بيلاطس بعد أن فحص التهم المنسوبة إليه قال للكهنة والعظماء والشعب : « قدمتم إلىَّ هذا الإنسان كَمَنْ يفسد الشعب **وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه ، ولا هيرودس أيضاً لأنى أرسلتكم إليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه »** . وقد أعاد بيلاطس هذا الكلام على أولئك الموتورين ثلاث دفعات (لوقا ٢٣ : ١٣-١٥) .

ولم يكن بيلاطس وهيرودس وحدهما هما اللذان شهدا ببراءة الرب يسوع ، **بل شهد بذلك يهوذا الاسخريوطى الخائن . قال لرؤساء الكهنة والشيوخ : « أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً »** (متى ٢٧ : ٤) .

واللص اليمين شهد ببراءة المسيح المصلوب حينما عاين كمال خلقه ، إزاء إستهزاءات اليهود . فقال للص الآخر الذى كان مصلوباً معه : « أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه . أما نحن فبعدل لأننا ننال إستحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » ثم قال للرب يسوع : « اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » ... وكان رد المسيح عليه : « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لوقا ٢٣ : ٣٩-٤٣) .

ولم يكن هؤلاء وحدهم هم الذين شهدوا ببراءة المخلص بل إن قائد المائة ، الذى وكل إليه ، تنفيذ حكم الموت صلباً ، بعد أن عاين كل مظاهر الطبيعة معلنة غضبتها لصلب المسيح ، قال : **« حقاً كان هذا الإنسان ابن الله »** (مرقس ١٥ : ٣٩) .

كل هذا يا أحبائى دعا الناس على إختلاف درجاتهم وأوضاعهم الاجتماعية فى كل زمان ومكان إلى الشهادة . بسمو تعاليم المسيح وقداسة سيرته ، وأنها فائقة عن أن يأتى بمثلها عقل بشرى ... ومن بين هؤلاء بعض الوثنيين والفلاسفة الملاحدة ...

قال الفيلسوف الوثنى فورفريون : [كان يسوع رجل تقياً صعد إلى السماء لأنه كان محبوباً لدى الآلهة] . وقال ستراوس وهو من منكرى الوحى : [إن المسيح باق إلى الأ بد عنوان الدين الأسمى ونموذج الكمال المطلق] . وقال رينان الملحد الفرنسى حال موته : [أسترح الآن فى مجدك أيها المؤسس الشريف . فقد إنتهى عملك وتأيد لاهوتك وليس بينك وبين الله فرق] . أما العلامة اليهودى نوح فقال : [أى حق لمَنْ يدعونه دجالاً . ونحن نرى أكثر من ٥٠٠ مليون يعتقدون بلاهوته !! ومن حولنا أدلة لا عدد لها من السعادة والإيمان والحكم الصحيح والإحسان الحى العامل للخير الذى ينبعث من تعاليمه ويتبع ديانته] . وقال الفيلسوف الملحد ستيوارت مل : [مَنْ مِنَ البشر يقدر أن يخترع الأقوال المنسوبة إلى يسوع أو يستطيع أن يتصور الحياة والصفات السامية المعلنة فى الإنجيل] !!

ننتقل إلى نقطة أخرى فى موضوعنا ونقول :

ولو كانت المسيحية مجرد تعاليم نظرية أو فلسفة عقلية لما صنعت قديسين :

إن المسيحية يا أحبائى هى الحياة الجديدة فى المسيح ... لقد ظهرت على مسرح الحياة تدعو لحياة جديدة روحية متميزة عن الحياة الفكرية والأدبية ، بكونها حياة القداسة والسلام ، وحياة الشركة مع الله والاتحاد به ... هذه الحياة الجديدة فى المسيح تمسك بزمام أعماق الإنسان ، وتعتقه من سلطان الخطية ، وتحضره فى وحدة حية

مع الله فى المسيح ... ومن هذه الأعماق هى تعمل كقوة مطهرة مجددة ومنظمة لكل قدرات الإنسان وعواطفه وإرادته وأفكاره. بل وحتى الجسد تحول إلى هيكل للروح القدس ...

لم تستطع أعظم أساليب الفكر والفلسفة أن تجدد العالم وتغلبه، لكن هذا ما فعله ومازال يعمله إنجيل المسيح « وهذه هى الغلبة التى تغلب العالم إيماننا. مَنْ هو الذى يغلب العالم إلاَّ الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله » (يوحنا الأولى ٥ : ٤، ٥).

لقد أجاز حكماء وفلاسفة اليونان والرومان ألواناً من الشرور وناقضوا مبادئهم بسلوكهم ... واليهود على الرغم من أنهم كانوا فى مستوى أرفع من مستوى الوثنيين من جهة الفضيلة — لكن أحداً من بطاركتهم (الآباء الأوائل) أو أنبيائهم لم يصل إلى الكمال ... ويروى الكتاب المقدس فى أمانة أخطاء هؤلاء جميعاً إلى جانب فضائلهم ...

أما المسيحية فبلسان رسولها العظيم القديس بولس تنادى منذرة كل إنسان ومعلمة كل إنسان بكل حكمة **لكى تحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع** (كولوسى ١ : ٢٨). فالحياة المسيحية هى إقتداء بحياة المسيح ... **ومن كلمته وروحه الذى يعمل فى أسرار الكنيسة المقدسة، يتدفق سيل لم يتوقف من القوة المقدسة على الافراد والأسرات والشعوب لنحو عشرين قرناً من الزمان.** وسيظل الأمر على هذا النحو حتى يصبح الله الكل فى الكل ...

فكم من أشرار إنحطوا فى الرذيلة إلى أعماقها ، رفعتهم المسيحية إلى علو الفضيلة . وكم من قتلة ولصوص وزناة وأشرار، تبدلت حياتهم بقوة المسيحية ونعمتها ، وصاروا قديسين نطلب شفاعتهم ... من أمثال أغسطينوس وموسى الأسود ومريم المصرية وغيرهم كثيرون وكثيرون . لقد أستطاعت المسيحية بقوتها الفائقة للطبيعة . وفعالية نعمتها ، وسمو مبادئها أن تحول الذئاب المفترسة إلى حملان وديعة **!!** ونحن نقول :

لو لم تكن المسيحية ديانة القداسة لما إنتشرت فى العالم ، ولو لم تستند المسيحية إلى عوامل فائقة للطبيعة لما إستطاعت أن تحقق ما حققته ، لأنها لاقت مقاومات عنيفة ، بل الموت نفسه .

لقد إنتشرت المسيحية فى أمم عريقة لها حضاراتها وبها فلاسفتها كاليونان والرومان ، وفى عصر إزدهرت فيه العلوم والآداب والمعرفة ، وكان الحكم فيه للعقل الإنسانى . والمناداة بدين ينادى بعبادة إنسان صُلِبَ ومات ـــ فى عالم يمجد القوة ـــ يكاد يكون أمراً مستحيلاً ... **لكن الأمر كان يرجع لعمل روح الله الذى قدس المسيحيين ، وكان يعمل فى غير المؤمنين مصاحباً كلمة التبشير، الأمر الذى يقطع بأن هذا كله من الله .**

يقول كاتب الرسلة إلى ديوجنيتس التى ترجع إلى أواخر القرن الأول أو أوائل الثانى : [على نحو ما توجد الروح فى الجسد هكذا المسيحيون فى العالم ... الجسد يبغض الروح ويحاربها لكن الروح تحب

الجسد الذى يبغضها ... وهكذا المسيحيون يحبون مَنْ يبغضونهم ... ألاَ ترى المسيحيين يتعرضون للوحوش المفترسة لينكروا إلههم ، ومع ذلك لم يقهروا ؟! ألاَ ترى أنه كلما كثر عدد مَنْ يُعذب منهم كثرت البقية الباقية ؟! ... **يبدو أن هذا ليس من صنع الناس ، بل هو قوة الله**] .

كانت المسيحية وحيدة أمام كل شعوب الأرض ، اليهود وعداوتهم والوثنيون ومفاسدهم . كان على المسيحية أن تناضل ضد كل المفاسد الأدبية والشرور ومع كل ذلك شقت طريقها وسط دروب إمتلأت بالأشواك ، بنيما كانت ماتزال فى طور طفولتها ... كانت كطفل يحبو على الأشواك ... مع كل ذلك آمن بالمسيحية أناس من كل الطبقات والثقافات والأجناس وليس البسطاء أو الفقراء وحدهم .

لم يحمل المسيحيون سيفاً ولا سلاحاً لأن المسيحية علمتهم أن أسلحة محاربتهم ليست جسدية ، ومع ذلك فهى قادرة بالله على هدم حصون (كورنثوس الثانية ١٠ : ٤) . لقد استعاضوا عن الترس المادى بترس الإيمان ، وعن الدرع المادى بدرع البر ، وعن الخوذة الحديدية بخوذة الخلاص ، وعن السيف المادى البتار الذى يقتل و يدمى بسيف الروح الذى هو كلمة الله .

العالم يا أحبائى كان ومايزال يحيا فى فراغ **وليس مَنْ يملأ قلب الإنسان الفارغ سوى الله ، الذى حوّل الإنسان فى المسيحية إلى هيكل مقدس له وموضع راحة لسكناه** « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) ... يقول

القديس أغسطينوس الذى كان غارقاً فى الخطية إلى أعماقها ، ثم رفعته النعمة إلى أسمى درجاتها ، يقول فى كتاب إعترافاته : [**لقد خلقتنا لك يا الله ونفوسنا سوف تظل قلقة (= حائرة وبلا راحة) حتى ترتاح فيك**] .

فضائل المسيحيين الأوائل

لا شك فى أن قداسة المسيحيين الأوائل كانت هى الكارز الأول بالمسيحية ... أولئك الذين قال عنهم القديس بولس : « **صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس** » (كورنثوس الأولى ٤ : ٩) ... الذين سلكوا بموجب الناموس الملوكى : « تحب قريبك كنفسك » (متى ٢٢ : ٣٩ ؛ يعقوب ٢ : ٨) ... « كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم » (متى ٧ : ١٢) .

يقول **العلامة أوريجينوس** (من القرن الثانى والثالث) فى فاتحة كتابه الأول ضد كلسوس : [لما أحضروا شاهد زور ليشهد على مخلصنا المبارك ـــ يسوع الذى بلا خطية ـــ كان محتفظاً بسلامه . ولما أتهم لم يجب ، إذ كان مقتنعاً تماماً أن حياته وسلوكه بين اليهود كانا هما أبلغ إحتجاج يمكن أن يقدم لصالحه ... ومازال حتى الآن يحتفظ بنفس الصمت .

ولا يقدم إجابة أخرى سوى الحياة الطاهرة التى يحياها أتباعه

المخلصون ، فهم أكثر مدافعيه نجاحاً وبهجة . ولهم صوت عالٍ ، به يسكتون ضجة أكثر أعدائهم حماساً وتعصباً] .

و يقول **العلامة ترتليانوس** (من القرن الثانى والثالث) وهو يشرح كيف أن المسيحيين أبرياء من أية جريمة ... **[فضيلتهم مؤسسة على ديانتهم . مفهومهم للفضيلة تعلموه من معلمهم الإلهى . شريعتهم الأخلاقية تعلموها من شفاه إلهية .** و يتوقعون أن يحاكموا أمام قاضٍ إلهى . وعقيدتهم فى العذاب الأبدى ، أنه جزاء الخطية وأن الحياة الأبدية مجازاة عن الصلاح **وفضلاً عن ذلك ، فالوصايا التى وضعت عليهم متسعة جداً ، حتى أنها تشمل كلمات الشفاة وأفكار القلب] ،** و يقول أيضاً : [لقد أبغض الوثنيون المسيحية أكثر مما أحبوا الصلاح . **إنك لن تجد مسيحياً فى السجون إلاَّ بسبب اسمه . وإذا وجد لأى سبب آخر فإنه لم يعد مسيحياً] .**

ونسوق على ذلك بعض الأمثلة :

+ **يوسينوس الفيلسوف المسيحى الشهيد** الذى وُلد أواخر القرن الأول الميلادى فى السامرة واستشهد سنة ١٦٦ م . درس الفلسفة وأعجب بها وظل ينتقل من مدرسة فلسفية إلى أخرى حتى إستراح إلى الفلسفة الأفلاطونية وتعلق بها وأحبها . لكن الفلسفة لم تكن لتشبع عقله وقلبه . **فلم يكن له عقل متفتح فحسب ، بل كانت له روح جائعة متعطشة للنور والحق .** ولم يكن متعصباً بل كان يزن الأمور بتعقل وحياد . **تأثر من إستمساك الشهداء بإيمانهم فيما كان الوثنيون يعذبونهم .** كتب

بعد ذلك ـــ بعد أن اعتنق المسيحية وصار واحداً من كبار المدافعين عنها ، يقول : [فى الوقت الذى كنت استمتع فيه بمبادىء أفلاطون . وفى الوقت الذى كنت استمع فيه إلى المصائب التى يكابدها المسيحيون ، **قلت لنفسى : حيث أنى رأيتهم لا يرهبون الموت حتى وسط الأخطار التى يعتبرها العالم مرعبة ، فمن المستحيل أن يكونوا أناساً يعيشون فى الشهوة والجرائم**] ... لا يمكن أن تتمشى حياة الإنحلال الخلقى مع المسيحية بأية صورة من الصور ، إذ لا موضع لها فى كنيسة المسيح .

إيمان المسيحيين وأمانتهم

ويناقش يوستينوس الفيلسوف والشهيد السؤال [لماذا يرفض المسيحيون تقديم الذبائح للآلهة الوثنية] مع أنه من الممكن أن يدعى إنسان إنه ضحى للآلهة الوثنية أو يتظاهر بذلك حتى ينجوا بحياته ... يقول : **[نحن نرفض أن يكون الكذب هو ثمن إستمرارنا فى الحياة . نحن نشتهى الحياة الأبدية غير الفاسدة ونفضل الحياة مع خالق الكون] .**

+ **وعن زهد المسيحيين فى العالميات** يقول يوستينوس : [نحن ننتظر ملكوتاً ـــ تفترضون بغير تدقيق أنه يتعلق بمملكة بشرية ولكننا نتكلم عن ملكوت الله . **وليس أدل على ذلك من أننا نرد على أسئلتكم بأننا مسيحيون فى حين أننا نعرف أن هذا الاعتراف سوف**

يؤدى بنا إلى الموت. فلو كنا ننتظر ملكوتاً أرضياً لكنا ننكر، من أجل إنقاذ حياتنا، ونختبىء حتى لا تخيب آمالنا. لكن رجاءنا ليس فى هذا الزمان الحاضر].

+ وعن طبيعة الحياة المسيحية وعن التغيير الذى تحدثه المسيحية فى الإنسان :

يقول يوستينوس : [الوثنيون يحسبوننا مجانين لأننا نعبد هذا المسيح الذى صُلب فى عهد بيلاطس البنطى كإله مع الآب. لكنهم **لو عرفوا سر الصليب، لما قالوا ذلك. لكنهم يمكنهم أن يعرفوه عن طريق ثماره. فنحن الذين عشنا قبلاً فى الفجور نتعلم الآن العفة. نحن الذين إستخدمنا السحر، كرسنا ذواتنا للخير ــ الإله المتأنس. نحن الذين أحببنا المال والمقتنيات أكثر من أى شىء آخر. نقدم ما نملك عن رضى للخير العام، ونعطى كل محتاج. نحن الذين حاربنا وقتلنا بعضنا بعضاً، نصلى الآن لأجل أعدائنا. أولئك الذين يضطهدوننا عن كراهية نحاول برفق أن نهدئهم على رجاء أن يشتركوا فى نفس البركات التى نتمتع بها]**.

طهارة المسيحيين وعفتهم

يقول المدافع المسيحيى يوستينوس : [إن رجالاً ونساء كثيرين إذ تعلموا منذ الصبا فى ناموس المسيح. ظلوا أنقياء حتى سن الستين

والسبعين وإنى أفتخر بأن أذكر لكم بعض أمثلة من هؤلاء فى كل الطبقات . **وهل يلزم أن أذكركم أيضاً بالعدد الغفير من أولئك الذين تركوا الرذيلة لكى يخضعوا لهذا التعليم ؟** والمسيح لم يدع الأبرار والأطهار للتوبة بل الكفرة والمرزولين والأشرار . ألم يقل : « لم آت لأدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة » . فالآب السماوى يفضل توبة الخاطىء عن معاقبته] .

والفيلسوف المسيحى أثيناغورس الأثينى الذى كتب دفاعاً عن المسيحية والمسيحيين حوالى سنة ١٧٧ م ، قدمه للإمبراطور الرومانى مرقس أوريليوس ، يقول : [**إن أخلاق المسيحيين العالية تدرأ عنهم مثل هذا الاتهام الظالم (يقصد الفساد الخلقى) . لأن المسيحيين يعتقدون فى الله أنه رقيب على أفكارهم وحركات قلوبهم .** وأنهم سيدانون عن كل فكر شرير . **وهم يصونون ذواتهم عن النظرة الشريرة فكم بالأولى يعفون عن الأفعال الدنسة .** كما أن شريعتهم تفيدهم باعتبار الأقرباء كنفوسهم . فمن ثم يطالبون بأن يصونوا جسوم أخواتهم فى المسيح . **ثم هم يزدرون بشهوات الحياة الحاضرة . والبعض منهم يحيون حياة طهر كامل إذ نذروا أنفسهم لله ، وإختاروا البتولية ، واتجهوا إلى الله بالكلية . وبعضهم الآخر وإن تزوج فبقصد إنجاب البنين فقط ، ويبغضون الزيجات الثانية ، ويعتبرونها نوعاً من الزنى المتستر.** أى أنهم يقنعون بالزيجة الواحدة ... **إن إتهام الوثنيين للمسيحيين إنما يؤيد صدق المثل القائل العاهرة تعير العفيفة] .**

وداعة المسيحيين وابتعادهم عن العنف

يقول يوستينوس : [لا يجب أن نأتى أعمال العنف . فالله لا يريد منا أن نقلد الأشرار ، لكنه يدعونا إلى الصبر والوداعة لكى ننتزع الناس من دناءة الأهواء الشريرة . ويمكننا أن نذكر لكم **عديداً من الأمثلة لأشخاص عاشوا بينكم ، نبذوا عاداتهم العنيفة الاستبدادية ، إذ غلبهم منظر فضيلة جيرانهم (المسيحيين) الذى يرونه كل يوم .** غالبهم صبر زملائهم العجيب فى إحتمال الظلم . وغلبتهم الخبرة التى إكتسبوها من علاقاتهم بهم] .

نماذج من فضائل المسيحيين

نقدم بعض نماذج من فضائل المسيحيين وهم وجهاً لوجه أمام الموت ، بينما كانوا يعذبون من أجل إيمانهم بالمسيح ، ويساقون إلى ساحات الاستشهاد . كان هؤلاء المسيحيون الذين يعذبون بطرق شتى وبأساليب بشعة فى إستطاعتهم أن ينقذوا حياتهم بكلمة أو تصرف يرضى معذبيهم ... لكنهم أبوا أن ينقذوا أرواحهم على حساب المبدأ والفضيلة ، وفضلوا أن يضحوا بحياتهم على أن يتخلوا عن الفضيلة .

(أ) محبة العفة والطهارة :

من جهة العفة والطهارة هناك أمثلة رائعة لأبطال الطهارة والعفة الذين إستشهدوا حفاظاً عليها . ونحن هنا لا نسوق أمثلة لرهبان وراهبات ومتبتلين ومتبتلات ... فقد يتبادر إلى الأذهان أن هؤلاء إنقطعوا عن الحياة وعاشوا حياتهم الخاصة لكننا نقدم أمثلة لبعض الشهداء والشهيدات ممَنْ فضلوا أن يواجهوا الموت عن أن يدنسوا أجسادهم ...

وأهمية تقديم أمثلة من هؤلاء الشهداء أنهم مارسوا هذه الفضيلة وسيف الموت مشهر على رقابهم ... لقد تملكت على الوثنيين شهوة دنسة بصورة مزرية مخجلة . **وكانوا يعجبون لطهارة المسيحيين والمسيحيات ، اللائى ــ بحسب تعبير يوسابيوس المؤرخ الكنسى [لم يستطعن مجرد الإصغاء إلى تهديد الحكام الوثنيين بهتك أعراضهن ، فتحملن كل أنواع التعذيب والتنكيل والقصاص المميت]** ...

وفى سيطرة محبة الطهارة والعفة على المسيحيين والمسيحيات ما يكشف عن الروحانية العميقة التى عاشوها . والسمو العجيب الذى حققوه باحتقار الجسد ... فلا نتصور أنه يمكن أن تكون هناك طهارة مع حياة الإنحلال !!

إحدى مراحل التعذيب التى إجتازتها **الشهيدة بربيتوا الشهيرة من قرطاجنة** أنها ألقيت لثور هائج أخذ يضربها بقرونه فسقطت على الأرض

نصف ميتة ... لكنها لم تنس وهى فى هذه الحالة أن تستر جسدها بردائها الممزق !! فماذا عسانا الآن نقول عن بعض المسيحيات اللائى لا يراعين الحشمة فى ثيابهن ، و يكشفن عن أجزاء من أجسادهن ؟!!

والشهيدة بوتامينا التى نالت إكليل الشهادة فى الاضطهاد الذى أثاره الإمبراطور سبتميوس ساويرس (١٩٣ — ٢١١ م) **تحملت آلاماً شديدة وعديدة فى سبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها** .. فبعد أن عذب الوالى كل جسمها تعذيباً قاسياً هددها أخيراً بتسليمها إلى المصارعين للإساءة إلى جسدها !! وإذ سئلت عما إستقر عليه رأيها ، فكرت قليلاً وقدمت إجابة إعتبرت خارجة عن حدود اللياقة . وللحال صدر الحكم بموتها ، وساقها ضابط يدعى باسيليدس إلى ساحة تنفيذ حكم الموت ... كانت الطريقة التى تقرر أعدمها بها . أن يصب **الماء المغلى** على أعضائها !! فصاحت نحو الوالى قائلة : **[أستحلفك برأس الإمبراطور الذى تهابه ألاّ تجعلهم يجردوننى من ثيابى بل يدعوننى أنزل إلى القار قليلاً حتى ترى أى قوة إحتمال أعطانيها المسيح الذى لست تعرفه !!]** إلى هذه الدرجة من التحفظ والحياء ومحبة الطهارة ، كانت هذه العذراء التى أبت أن تخلع ثيابها و ينكشف جسدها !!

والعذراء الصغيرة فبرونيا التى كانت بدير للعذارى قرب أخميم ، حاول إغتصابها جنود مروان بن محمد سنة ٧٤٩ م بعد أن نهبوا الدير مدة الاضطرابات التى حدثت بين الأمو يين والعباسيين ... **هذه العذراء وجدت نفسها فى قبضة الجنود وعرفت مصيرها ، فكرت فى**

حيلة لتنجو بنفسها من الدنس ... استمهلتهم قليلاً ، ودخلت قلايتها وألقت بذاتها بين يدى الله باكية ، طالبة النجاة من الدنس .. وسرعان ما خرجت إلى الجند بحيلة ... توسلت إليهم أن يتركوها لعبادتها ، مقابل جميل تسديه إليهم ، تعلمته من أسلافها ... وكان هذا الجميل زيتاً تقتنيه ، إذا دهن به أى جزء من الجسم ، لا تعمل فيه السيوف . ولكى تبرهن على صدق كلامها ، دهنت عنقها بالزيت وطلبت أن يهوى أقواهم بسيفه على عنقها ... وما أن فعل ذلك حتى إنفصل رأس العذراء العفيفة عن جسدها ... أما الجند فاعتراهم خوف شديد ، وأسرعوا بمغادرة الدير ، بعد أن تركوا كل ما كانوا قد نهبوه !!

(ب) الــوداعـــــة :

صفة أخرى من الصفات التى تحلى بها المسيحيون الأوائل ، صفة الوداعة ... **لقد أثبت المعترفون والشهداء بلا إستثناء وداعتهم مقابل أعدائهم** ... فلم يثوروا أو يتمردوا على معذبيهم ومنهم الجنود والقواد والحكام ... كان يمكنهم أن يفعلوا شيئاً لكنهم لم يفعلوا . وكانت أعدادهم فى بعض الأحيان ضخمة ، تكفى لإثارة شغب ، **ومع ذلك فقد تمثلوا بمعلمهم المسيح** الذى قيل عنه : « كشاة تساق إلى الذبح وكخروف صامت أمام الذى يجزه ، هكذا لم يفتح فاه » (إشعياء ٥٣ : ٧) ...

نسوق لذلك ما ذكر عن **الكتيبة الطيبية** ... كانت هذه الكتيبة

قوامها نحو ستة آلاف جندى ... وحينما طُلب إليهم أن يضحوا للأوثان بموجب الأوامر الامبراطورية ، كتبوا رسالة وقعوها ورفعوها إلى القيصر الرومانى مكسيميانوس ... [**أيها القيصر العظيم نحن جنودك لكن فى الوقت ذاته نحن عبيد الله** ... لسنا ثواراً ، **فالأسلحة بأيدينا ، وبها نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونعصاك . لكننا نفضل أن نموت أبرياء على أن نعيش ملوثين** . ونحن على أتم استعداد أن نتحمل كل ما تصبه علينا من أنواع التعذيب ، **لأننا مسيحيون ، ونعلن مسيحيتنا جهاراً]** .
أما نتيجة هذه الرسالة فهى إبادة هذه الكتيبة المسيحية عن آخرها .

+ وما أكثر ما أظهره المعترفون والشهداء من محبة نحو مَنْ أظهروا لهم العداء وصبوا عليهم العذابات ألوناً . وكانوا يسمعون وهم يصلون لأجل كل مَنْ أساء إليهم ... يصلون لكى يسامحهم الله ، ويصلون من أجل إهتدائهم . وبالجملة فقد كانت كل أشواق المسيحيين فى الله وفى السماء ...

هناك قصة لطيفة تكشف لنا مشاعر المسيحيين الجياشة نحو السماء **... خمسة من الأقباط المصريين قبض عليهم بتهمة المسيحية ومثلوا أمام القاضى فى مدينة قيصرية بفلسطين . وكانوا يحملون أسماء وثنية . ولكنهم لما سئلوا عن أسمائهم قدموا أسماء من الكتاب المقدس** ... إيليا وارميا وإشعياء وصموئيل ودانيال . **ولما سئل أحدهم عن موطنه ، أجاب [أورشليم]** . وكان يقصد أورشليم السمائية ، التى قال عنها القديس بولس أنها « أمنا جميعاً » (غلاطية ٤ : ٢٦) .

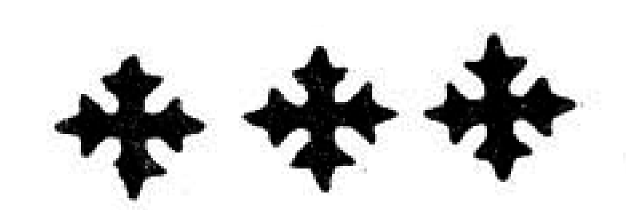
ولما كان القاضى لا يعرف مدينة بهذا الاسم (إذ كانت مدينة أورشليم قد خربت منذ سنة ٧٠ م وتغير اسمها) ، ظن أنه يتلاعب و يقدم إجابة ملتوية ، فأمر بتعذيبه ... لكن المتهم أكد للقاضى أنه يقول الصدق ... وإذ سئل مراراً عن تلك المدينة كان يجيب أنها وطن الأتقياء فقط . فظن القاضى أن المسيحيين مزمعون أن يؤسسوا مدينة فى مكان ما معادية للرومان . ولما رأى ثباته وأنه لا يتزحزح عن إصراره حكم عليه بالموت وهكذا فعل بزملائه الأربعة .

كثير هو الكلام الذى قيل عن المسيحيين الأوائل وعن فضيلتهم وقداسة سيرتهم أما السبب فى ذلك فهو أنهم كانوا يحيون الحياة المقدسة التى تليق بأبناء الله. لا تنسوا يا أحبائى أنكم نور العالم . النور الذى ينير لكل العالم ... والمسيح له المجد يطلب منكم أن يرى غير المؤمنين صورته فيكم ، و يتقابلوا معه حينما يتقابلوا معكم . مسئوليتنا تجاه غير المسيحيين الآن ليست هى الجدل والنقاش فهذا يولد خصومات وعبد الرب لا يجب أن يخاصم ... والرسول بولس يدعوها مباحثات غبية لأنها لا تبنى ... إن مسئوليتنا تنحصر فى أن نحيا حياة القداسة ونكون قديسين ... ومن خلال هذه الحياة نقدم المسيح لكل أحد ...

مَنْ منكم يريد أن يخدم المسيح ؟ إن خدمة المسيح ليست بالكلام . الكلام سهل . إنما خدمة المسيح تكون بقداسة السيرة والقدوة . لا تظنوا أن المسيحية إنتشرت فى الوقت المبكر بالعظات الرنانة والخطب التى

كانت تهز أعواد المنابر كما يقولون . وإنما كان إنتشار المسيحية بسبب فضيلة المسيحيين ، وثباتهم فى الإيمان ، ورسوخهم فى الفضيلة ... كانوا هم الإنجيل العملى المنظور والمقروء من جميع الناس . كانوا يصلون لأجل الذين يسيئون إليهم و يضطهدونهم حسب تعاليم المسيح المقدسة ... هذا هو واجبنا يا أحبائى وهذا ما يجب أن يكون عليه سلوكنا . أما إذا فكرنا فى أسلوب آخر فنحن نخطىء إلى الله وإلى أنفسنا .

أيها الإخوة أنا أحملكم فى هذا المساء مسئولية أمام الله ... مسئولية توصيل هذا الإيمان الحى إلى الآخرين ... إنما ليس بوسيلة أخرى سوى قداسة السيرة وقداسة الحياة . هذا هو الأسلوب الفعال . وهذه مسئولية كل شخص فينا . الطالب فى دراسته ، الموظف فى وظيفته ومكان عمله ، السيدة بين جيرانها ، التاجر فى تجارته ، وكل مَنْ يعمل عملاً حراً فيمن يتعامل معهم . على كل إنسان أن يقدم المسيح دون أن يتكلم . أليس هذا ما قاله رب المجد : « ليرى الناس أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » ؟!





الكنيسة وأبواب الجحيم

المقصود بتعبير أبواب الجحيم .

طبيعة الكنيسة كما أسسها المسيح .

عرض تاريخي لثبات الكنيسة إزاء الاضطهادات

صراع الكنيسة مع اليهود .

صراع الكنيسة مع الوثنية .

صراع الكنيسة مع الدول غير المسيحية .

صراع الكنيسة ضد الهراطقة .

موت المضطهدين .

هذا التعبير (**الكنيسة وأبواب الجحيم**) ، ليس من إنشاء إنسان ، لكنه تعبير السيد المسيح له المجد ... فحينما سأل المسيح تلاميذه : « مَنْ يقول عنى الناس إنى أنا ابن الإنسان » ، قال البعض إيليا ، وقال البعض ارميا ، وقال البعض واحد من الأنبياء ... فقال لهم المسيح وأنتم ماذا تقولون ... فأجاب بطرس نيابة عن بقية التلاميذ وقال له : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » ... قال له الرب : « طوباك يا سمعان بن يونا . إن لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات وأنا أقول **لك أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها** » (متى ١٦ : ١٣-١٨) ... إذن فهو تعبير المسيح وكلماته وصياغته .

المقصود بتعبير « أبواب الجحيم »

كانت المدن قديماً ذات أسوار ، والأسوار بها أبواب ... فمثلاً مدينة القاهرة التى بناها الفاطميون فى القرن العاشر الميلادى كانت محاطة بسور ، وكان لها أربعة أبواب ... كانت تلك الأبواب فى الاصطلاح الشرقى القديم ـــ خاصة فى القرى والبلدان الصغيرة ـــ أماكن للإجتماع والمشورة ، ولاتخاذ الأحكام ...

عند أبواب المدينة كان يجلس شيوخها وحكامها ليقدموا

مشوراتهم ، وليجروا العدالة والقضاء ... نقرأ عن ذلك فى شريعة العهد القديم ... ففى (تثنية ٢١ : ١٨-٢١) يقول السيد الرب : « إذ كان لرجل ابن معاند يمسكه أبوه وأمه و يأتيان به إلى شيوخ مدينته ، **وإلى باب مكانه** . و يقولان لشيوخ المدينة ، ابننا هذا معاند ومارد ، لا يسمع لقولنا . وهو مسرف وسكير . فيرجمه رجال مدينته بحجارة حتى يموت ، فتنزع الشر من بينكم » ... كما نقرأ عن مثل ذلك فى (صموئيل الثانى ١٥ : ٢) عن أبشالوم بن داود ...

ونجد إشارة إلى ذلك أيضاً فى (أيوب ٢٩ : ١ - ٧) ... يقول أيوب : « يا ليتنى كما فى الشهور السالفة ، وكالأ يام التى حفظنى الله فيها ... كما كنت فى أيام خريفى ورضا الله على خيمتى . والقدير بعد معى وحولى غلمانى ... حين كنت **أخرج إلى الباب فى القرية ، واهيىء فى الساحة مجلسى** » .

و يقول داود : « إرحمنى يارب . انظر مذلتى من مبغضى . يا رافعى من أبواب الموت . لكى أحدث بكل تسابيحك فى **أبواب ابنة صهيون** » (مزمور ٩ : ١٣ ، ١٤) . كما يقول المرتل فى (مزمور ٦٩ : ١٠-١٢) : « ابكيت بصوم نفسى فصار ذلك عاراً علىَّ . جعلت لباسى مسحاً ، وصرت لهم مثلاً . **يتكلم فىَّ الجالسون فى الباب** » ... و يقول سليمان الحكيم عن المرأة الفاضلة : « **زوجها معروف فى الأ بواب حين يجلس بين مشايخ الأرض** » (أمثال ٣١ : ٢٣) ... ومن هنا جاء لقب « الباب العالى » الذى كانوا يطلقونه على السلطان العثمانى ... ومعناه

أنه لا توجد سلطة أخرى فى الدولة أعلى منه ...

وفى الكتاب المقدس صور الجحيم بقلعة ذات أبواب ... نقرأ فى (إشعياء ٣٨ : ١٠) عن صلاة حزقيا ملك يهوذا بعد أن أضاف الله إلى عمره خمس عشرة سنة ... قال : « أنا قلت فى عز أيامى أذهب إلى **أبواب الهاوية** » أو إلى أبواب الجحيم ، فالهاوية والجحيم مترادفان ، وتسميتان لشىء واحد .

نخلص من هذا كله إلى أن تعبير « أبواب الجحيم » فى كلام السيد المسيح ، إنما هو كناية عن قوة الشر. والجحيم هو مستودع ومستقر الشر ... إنه تعبير عن الشيطان وكل أعوانه ، وكل أنواع الشرور التى تهدف إلى إيذاء الكنيسة والعمل على زوالها ...

لكن لماذا كل هذه الحرب ؟! ... هذا يقودنا إلى الكلام عن طبيعة الكنيسة كما أسسها السيد المسيح له المجد ...

طبيعة الكنيسة كما أسسها المسيح

(أ) كنيسة مضطهدة :

الكنيسة المسيحية هى جسد المسيح غير المنظور أو جسد المسيح السرى . هذا الجسد الذى يتألف من المؤمنين بالمسيح فى كل مكان فى

العالم ... والكنيسة كما أنها جسد المسيح غير المنظور هى أيضاً عروس المسيح الملك ... والمسيح هو الكرمة والمؤمنون متحدين به كالأغصان (يوحنا ١٥ : ٥) ... **فكل ما حل بالمسيح وهو بالجسد فى العالم يستمر حدوثه لكنيسته ... فالآلام والضيقات هى سمات الرب يسوع** (غلاطية ٦ : ١٧) أى العلامات المميزة للرب يسوع ، وهى الآلام ... فقد شهد عنه الكتاب المقدس أنه « **رجل أوجاع ومختبر الحزن** » (إشعياء ٥٣ : ٣) ... لنستمع إلى ما قاله المسيح له المجد قبيل آلامه : « **إن كان العالم يبغضكم ، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . ولو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم** . اذكروا الكلام الذى قلته لكم . ليس عبد أعظم من سيده . **إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم** . وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم **لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى ...** » **(يوحنا ١٥ : ١٨ـ٢١) ... « لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس » (لوقا ٢٣ : ٣١) ... ويعنى بالعود الجاف البشر الخالين من الصلاح .**

وفى إرسالية السيد المسيح التدريبية لتلاميذه سواء الاثنى عشر أو السبعين ، يحدد لهم معالم الطريق . فيقول لهم : « ها أنا أرسلكم كغنم (كحملان) فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام . ولكن إحذروا من الناس . لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس . وفى مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من

أجلى شهادة لهم وللأمم ... وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت ، والأب ولده . و يقوم الأولاد على والديهم و يقتلونهم . **وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى** » (متى ١٠ : ١٦- ٢٢ ؛ لوقا ١٠) ...

بل يصل الأمر فى نظر العالم إلى مفهوم عجيب « **تأتى ساعة فيها يظن كل مَنْ يقتلكم أنه يقدم خدمة لله** . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى » (يوحنا ١٦ : ٢ ، ٣) ... ما هذا ؟! مَنْ يقتل المسيحيين يظن أنه يقدم خدمة لله ؟! لكن لعلنا جميعاً نذكر قول المسيح : « فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يوحنا ١٦ : ٢ ، ٣) .

مبدأ الباب الضيق :

وضع السيد المسيح مبدأ هاماً للحياة الروحية لأولاده . **هذا المبدأ الهام هو مبدأ الباب الضيق** ... هذا المبدأ واضح فى تعاليمه الأساسية التى ضمنها عظته الخالدة على الجبل ... « **إدخلوا من الباب الضيق** لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ ، ١٤) .

ومبدأ الباب الضيق مبدأ نفذ و ينفذ ويجب أن ينفذ على مستوى المؤمن العادى وعلى مستوى جماعة المؤمنين الذين يؤلفون كنيسة المسيح ...

لقد ولد المسيح بالجسد وهو يحتضن الصليب ... لم يكن الصليب حدثاً إستحدث فى فكر المسيح . ولكنه من أجل هذا الصليب أتى إلى العالم لفداء البشر وخلاصهم . **فلم يكن الصليب إذاً شيئاً مستحدثاً حدث نتيجة التطورات التى أعتملت فى قلوب اليهود ورؤساء الكهنة . ربما كان هذا من زاويتهم . لكن بالنسبة للمسيح كان هذا الأمر مقرراً منذ الأزل .**

ففى الوقت الذى أعلنت فيه السماء مجده وقت ولادته . كان هيرودس يدبر لقتله ، وأحداث مذبحة مروعة بأطفال بيت لحم الابرياء ... **على أن الصليب لم يبرح مخيلة السيد . وعن ذلك يقول داود النبى متنبئاً : « وجعى مقابلى دائماً »** (مزمور ٣٨ : ١٧) . **وكمثل** السيد هكذا أولاده . **وكمثل المسيح كذلك كنيسته التى هى جسده . لقد ولدت هى الأخرى وجاءت إلى العالم وهى تحتضن الصليب .**

وما أكثر الضيقات التى صبت على الكنيسة الناشئة . فى شخص قادتها الرسل وشمامستها ومؤمنيها منذ تأسيسها فى يوم الخمسين وعبر الأجيال ... **ولا عجب فى ذلك فالحرب قائمة ومستمرة بين الله وإبليس .** هكذا يتكلم الوحى الإلهى فى سفر الخروج : « للرب حرب مع عماليق من دور فدور » (خروج ١٧ : ١٦) . ويعبر عن ذلك معلمنا بولس فيقول : « الخليقة كلها تئن وتتمخض معاً » ... **إن آلام المخاض تتوقف فقط** بنزول المولود **من أحشاء أمه . وعلى هذا القياس ،**

سوف نظل نتمخض حتى نخلع الجسد ... الخليقة لكها تئن وتتمخض معاً ، ونحن الذين لنا باكورة الروح نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا (رومية ٨ : ٢٢ ، ٢٣) .

هذه هى طبيعة الكنيسة ... أنها كنيسة جاءت إلى العالم نتيجة ضيقة عظيمة ، هى صلب المسيح . وحياتها تستمر فى الضيقة وتنمو بالضيقة . فالضيقات ليست غريبة على الكنيسة سواء بالمفهوم العام أو بمفهوم المؤمنين .

من أجل هذا نرى معلمى المسيحية الأوائل يعتبرون الاضطهادات والضيقات والآلام أمراً طبيعياً ... أى ليس جديداً . هذا النصح أقدمه لبعض أولادنا الذين يشكون متألمين ... لابد أن نعرف وضعنا فى العالم ... وضعنا أننا لابد لنا أن نحمل الصليب « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعنى » ... **هذه هى معالم الطريق الذى أسلكه . وعلىَّ حينما اصطدم بضيقة ألاَّ أتضايق . وأظل أتساءل لماذا حدث هذا ؟! ماذا فعلت حتى أدركتنى هذه الضيقة ؟** هذا أمر طبيعى ... لنسمع إلى ما قاله الآباء الرسل والقديسون فى هذا الشأن :

يقول معلمنا **القديس بولس الرسول :** « لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه** متشبهاً بموته » (فيلبى ٣ : ١٠) . كان على الرسل أن يشرحوا **هذا** الأمر للمؤمنين ... فبولس بعد أن رجم فى مدينة لسترة حتى ظن أنه مات كان مع برنابا « يشددان أنفس التلاميذ (المؤمنين) . و يعظانهم أن

يثبتوا فى الإيمان **وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت السموات** » (أعمال الرسل ١٤ : ١٩-٢٢) ... وكلمة ينبغى أى يتحتم علينا شىء ضرورى ولازم.

ويكتب نفس الرسول إلى أهل تسالونيكى يقول : « أرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم. **كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا. لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً** » (تسالونيكى الأولى ٣ : ٢-٤) **إننا موضوعون لهذا ... أننا موضوعون للألم والضيقات**. من أجل هذا قلت لكم إنها طبيعة الكنيسة بالمفهوم العام والكنيسة بمفهومنا نحن جماعة المؤمنين. ثم يعود بولس الرسول ويكتب إلى أهل تسالونيكى فيقول لهم : « **إن الاضطهادات والضيقات التى تحتملونها مبنية على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذى لأجله تتألمون أيضاً**. إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً. وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته » (تسالونيكى الثانية ١ : ٤-٧).

وهكذا فهمت الكنيسة ـ كنيسة المسيح ـ حقيقة وطبيعة رسالتها وأين تسير ... لقد أيقنت الكنيسة أنها تسير فى طريق الجلجثة عبر جثسيمانى. وكان لابد لنا على المستوى الفردى أن نقطع الطريق مع المسيح من مذود بيت لحم إلى الجلجثة عبر جثسيمانى

الذى يمثل بستان الدموع ..

من آجل هذا نستمع إلى القديس بطرس الرسول فيما كان يتكلم عن آلام المسيح يقول للمؤمنين : « **إذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية** » (**بهذا المثال حسب الترجمة القبطية**) **ثم يستطرد ويقول** : « **أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل إمتحانكم** كأنه أصابكم أمر غريب . بل كما إشتركتم فى آلام المسيح افرحوا لكى تفرحوا فى إستعلان مجده أيضاً مبتهجين إن عيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم » (بطرس الأولى ٤ : ١ ، ١٢-١٤) ...

أنتم تعلمون أنى أذهب مساء كل يوم خميس إلى مدينة المحلة الكبرى لأعطى عظة أسبوعية . فإذا حدث أنى فى إحدى المرات عدت إلى طنطا دون أن ينهال علىَّ أحد الإخوة الخارجين بالسب والشتيمة ، كنت أقول لنفسى : [اليوم لم أنل البركة المعتادة] ... كانت ترن فى أذنى كلمات الرسول بطرس : « **إن عيّرتم باسم المسيح فطوباكم** » . إنسان يريد أن يأخذ هذا التطويب عليه أن يحتمل إذا شُتم أو أهين ...

عليك أن تعرف أنك موضوع لهذا . وعليك أن تعد نفسك لهذا الأمر ، حتى إذا ما حدث لا تكون مفاجأة لك . اعدد نفسك فى هذا المجال على كل المستويات ... إنسان يقول أنا مستعد لتقبل الإهانة لكن لا يقربوا مرتبى [عض قلبى ولا تعض رغيفى] ... لا ... ليس هذا صحيحاً ... كن مستعداً لعض رغيفك (أى رزقك) وعض كل جزء فيك ليحدث ما

يحدث أذكر أنك موضوع لهذا . أنت تأخذ إهانة ، إنما مقابلها تنال بركات . ولو كانت المسيحية ضيقات دون فرح أو تعزية ، ما كان أحد يتبع المسيح ... **لكن مبارك هو الله الذى لا يعطى فقط مع التجربة المنفذ ، بل يعطى تعزيات روحية عجيبة ، « عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى » !!** هذا هو ما إختبره المعترفون والشهداء ...

ويصف القديس يوحنا فى سفر الرؤيا الكنيسة والمفديين من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة وهم واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل ، علامة النصرة ، بقوله : « **هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة** ، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف . من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً فى هيكله ، والجالس على العرش يحل فوقهم . لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ، ولا شيء من الحر ، لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم » (رؤيا ٧ : ٩-١٧) . **وفى أكثر من موضع يتناول سفر الرؤيا الحرب الدائرة بين التنين (الشيطان) وبين الكنيسة والقوات الإلهية ، معبراً عنها برموز مختلفة ...**

هذا كله أيها الإخوة الأحباء عن طبيعة الكنيسة من جهة الضيقات والاضطهادات والآلام بصفة عامة . **أما هذه الضيقات والاضطهادات فقد أخذت مظهرين :** مظهر إضطهاد المؤمنين من أجل إيمانهم المسيحى

بالرب يسوع بكل ما يحويه هذا الإيمان ومظهر الإنقسام داخل كنيسة المسيح وتحريك المبتدعين والهراطقة وزرع الآراء الفاسدة المنحرفة ، وما يحدثه ذلك من بلبلة كبيرة تنتهى إلى إنقسام كنيسة المسيح إلى شيع ومذاهب . وسوف نتكلم عن هذا فيما بعد .

لكن ما هى حكمة الله فى أن يسمح أن تحيا كنيسته فى الضيق مضطهدة متألمة ؟

إن الضيقات التى كثيراً ما تأتى على الكنيسة بصفة عامة وعلى المؤمنين بصفة خاصة ، تدفع كثيرين إلى التساؤل والدهشة بل أحياناً إلى التشكك . وللإجابة على ذلك نقول :

أولاً - التضييق يتناسب مع طبيعة البشر الذين منهم تتألف الكنيسة .

الإنسان منذ البدء ــ أتى إلى عالم بنبت له شوكاً وحسكاً . كان الإنسان يعيش داخل الفردوس وطُرد منه ... لكن عصيانه طرده وأبعده عن الجنة ... وحالما سمع آدم وحواء صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة أختبأ كلاهما ... نادى الله آدم ، وحينما سأله « أين أنت ؟ » كان جوابه « سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت » ... ولنا أن نعجب من تصرف آدم وحواء من جهة خوفهما واختبائهما . فالظلام لا يجتمع مع النور ، والحق ينفر من الباطل ، والقداسة لا وجود لها مع الشر ، والعرى لا يتناسب مع النعمة ... إبتدأ الإنسان يخاف الله ويخشاه

... ومعنى ذلك أن الإنسان فقد محبته لله لأنه كما يقول يوحنا الرسول : « لا خوف فى المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج . لأن الخوف له عذاب . وأما مَنْ خاف فلم يتكمل فى المحبة » (يوحنا الأولى ٤ : ١٨) .

إن تألم الإنسان فضلاً عن أنه تنفيذ لعقوبة ، **فهو مناسب لطبيعة** الإنسان الذى له روح وجسد . **فهذا الجسد** يشتهى دائماً ما هو ضد الروح ... كان الإنسان فى الفردوس وسط الراحة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ومع ذلك أخطأ وطرد ... لذا فإن طبيعته تتطلب إنضباطاً وتضييقاً ... **الله الكلى الحب والحنان لا يكلفه شيئاً إن هو أعطى الإنسان كل ما يريد ويشتهى** ... إنى أتذكر هنا قول القديس بولس الرائع عن الله : « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء » (رومية ٨ : ٣٢) ... **إنه لا يكلف الله أن يهبنا مع المسيح كل شىء ... لكن ذلك لا يتناسب مع طبيعة الإنسان المتقلبة المترددة الميالة للشر** ... لقد خلق الله الإنسان حراً مريداً ، وحرية الإرادة هذه التى هى ميزة كبرى ، هى فى نفس الوقت سر البلاء والحزن والشقاء للإنسان . **لذا لا علاج للإنسان من هذه الزاوية إلاَّ ضبط النفس والتضييق عليها** . من هنا نفهم سر وصية المسيح التى قالها « **إجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق** » . وتدرك لماذا قال القديس بولس الرسول ، ذلك العملاق الروحى : « **أقمع جسدى وأستعبده** ، **حتى** بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (كورنثوس الأولى ٩ : ٢٧) ... عجباً على ذلك الرجل بولس

الذى رغم كل ثقل النعمة التى عملت فيه ، والمعجزات الكثيرة التى أتاها ، والرؤى الروحية التى أعلنت له ، يخاف عل خلاص نفسه ... يخشى أن يصير مرفوضاً !!

لكنه حرص القديسين ومعرفتهم لخبايا النفس البشرية ، وسر ضعفها ، هو الذى حملهم أن يلقوا بأنفسهم وبكامل إرادتهم وسط الضيقات ... كانوا يتركون الراحة سعياً وراء المشقة ، وكانوا يبحثون عن كل باب ضيق ليدخلوا منه ... إن سياسة التدليل فى تربية الطفل تفسده ... بهذا المنطق يتعامل الله معنا ... **إنه ــ فى الوقت الذى يحبنا للغاية ، لا يريد أن يدللنا فتفسد حياتنا ... إنه لا يعطينا ما نشتهيه ، لكن ما نحتاجه** ... ما أصدق كلمات الرسول بولس عن الأرملة « أما المتنعمة فقد ماتت وهى حيّة » (تيموثاوس الأولى ٥ : ٦) ... وما يُقال عن الأرملة يناسب كل إنسان .

ثانياً ـ التضييق يتناسب مع حياة الجهاد واليقظة اللذين يجب أن تحياهما الكنيسة فى شخص أعضائها .

الجهاد يا أحبائى عنصر لا يتجزأ من مكونات الحياة المسيحية . فالمسيح له المجد بعد أن تكلم عن شخصية يوحنا المعمدان الصارمة ممتدحاً إياه أمام الجموع ، لأنه ليس قصبة تحركها الريح أو إنساناً لا بساً ثياباً ناعمة كمَنْ هم فى قصور الملوك . وبعد أن إمتدح صرامته ونسكه ، قال معقباً : **« ملكوت السموات يُغصب ، والغاصبون يختطفونه »** (متى ١١ : ٧ ، ٨ ، ١٢) ... أى أن الأمر يحتاج إلى غصب النفس والإرادة ...

مفروض فى الإنسان أن يجاهد ضد كل شهواته وميوله الرديئة المنحرفة ... ذلك الجهاد الذى يصفه بولس الرسول بأنه جهاد قانونى « ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى مَنْ جنده . وأيضاً **إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً** » (تيموثاوس الثانية ٢ : ٤ ، ٥) .

لكن إلى أى حد يصل جهاد الإنسان ... يجيب عن ذلك الرسول بولس ... « **لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية** » (عبرانيين ١٢ : ٤) ... وهذا هو عين ما عبر به مار إسحق المتوحد الناسك رداً على سؤال لتلميذ له : [**تسألنى إلى أى حد تجاهد . وأنا أقول لك جاهد حتى الموت . لأنه خير لنا أن نموت فى الجهاد من أن نحيا فى السقوط**] .

ثالثاً - إن التضييق والألم وإحتمالهما هو تعبير عن الحب :

يقول رب المجد يسوع : « ليس حب أعظم من هذا أن يضع واحد نفسه لأجل أحبائه » (يوحنا ١٥ : ١٣) ... **فالألم هو شركة مع الرب الذى تألم لأجلنا** « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فيلبى ٣ : ١٠) ... **شركة آلامه** ...!! هل يظن أحد أنه ينال المجد دون مقابل ...؟ لا ... لابد من الثمن ، الذى هو ليس شىء آخر سوى الإشتراك مع رب المجد فى آلامه ... « **إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه** » (رومية ٨ : ١٧) ...

« نتألم معه » ... أين نتألم معه ... بل أين هو حتى ما نتألم معه ؟! التفتوا يا أحبائى إلى ما يقوله الرسول ... إن الرسول بولس لم ير المسيح بالجسد . ومع ذلك يقول : « إن كنا نتألم معه » ... إن كل ما يقابل الإنسان المؤمن من ضيقات وآلام ، بينما هو يسير فى طريقه مع الله ، إنما هو ألم لأجل المسيح . بل أكثر من هذا ... حينما نتألم نحن ، فالمسيح يتألم معنا ... وحينما التقى المسيح بشاول الطرسوسى (بولس الرسول) على مقربة من دمشق ، قال له معاتباً « لماذا تضطهدنى » ؟!...

وأتصور شاول يقول فى نفسه بعد أن سمع هذه الكلمات : [أين رأيتك أيها الرب حتى أضطهدك ، بل هل حدث أن تقابلت معك ؟!] ... لكن جواب الرب : « بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (متى ٢٥ : ٤٠) . يقول معلمنا بولس الرسول أيضاً : « أكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كولوسى ١ : ٢٤) . ما معنى هذا الكلام ؟ هل شدائد المسيح ناقصة حتى أكملها ؟! فإن كان الأمر كذلك فكيف قال المسيح على الصليب « قد أكمل » ... كلام السيد المسيح على الصليب يتعلق بالفداء الذى أتمه وأكمله على الصليب .. لكن المسيح مازال يعمل حتى الآن « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » ... « تكونون لى شهوداً فى أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أعمال الرسل ١ : ٨) . من جهة تقديم المسيح لكل نفس والكرازة باسمه ، فهذا العمل لم يكمل حتى الآن ، بل سيستمر إلى

نهاية العالم حتى يأتى المسيح الديان ... **وعلى ذلك فنحن الآن نقوم بعمل المسيح ونقدم الشهادة عنه ، ونحاول أن ننشر ملكوته ... وفيما نحن نفعل هذا فنحن نكمل نقائص شدائد المسيح فى أجسامنا لأجل جسده الذى هو الكنيسة ...**

رابعاً - كون الإيمان المسيحى ينتشر أفقياً ورأسياً رغم الاضطهادات والضيقات الشديدة التى صادفت المسيحية والتى وصلت إلى موت الشهادة لأعضائها إنما هو دليل على أن المسيحية هى عمل إلهى بالدرجة الأولى وليست من صنع البشر.

يقول المؤرخ الكبير فيليب شاف : **[نحن لا نعرف ديانة أخرى ــ غير المسيحية ــ إستطاعت أن تصمد لفترة طويلة ــ قرابة ثلاثة قرون ــ من الزمان فى مقاومة متصلة من التعصب اليهودى والفلسفة الأغريقية ، والسياسة الرومانية وقوتها . ما من ديانة أخرى كان يمكنها أن تنتصر فى النهاية على أعداء كثيرين ، بالقوة الأدبية الروحية وحدها ، ودون الاستعانة بأية وسائل مادية لمساندتها] .**

من أين نبدأ فى إستعراض هذا اللون من الاضطهاد وما يقابله من ثبات وبقاء ؟

المسيح له المجد جرد أتباعه من كل شىء ليس السلاح وحده بل وحتى الطعام وعملة التعامل والثياب ... لا تحملوا لكم كيساً ولا مذوداً ولا نحاساً فى مناطقكم ولا عصا للطريق ولا ثوبين ... وبالجملة لا

تأخذوا شيئاً على الاطلاق ... وعوض هذه كلها ، خذونى أنا زاداً للطريق تغتذون عليه ، وثياباً تستترون بها ، وعوناً لسد كل إحتياجاتكم (انظر متى ١٠ : ٩ ، ١٥ ؛ مرقس ٦ : ٨ ؛ لوقا ٩ : ١٠ : ٤) هكذا عاشت الكنيسة المسيحية خاصة فى تاريخها المبكر ...

نقرأ عن التطبيق العملى لهذه التعاليم والوصايا فى معجزة شفاء الرسولين بطرس ويوحنا للرجل المقعد الذى كان يجلس يستعطى عند باب الهيكل الجميل ... كان لهذا الرجل المقعد أكثر من أربعين سنة يُحمل كل يوم إلى ذلك المكان . وفيما كان بطرس و يوحنا داخلين الهيكل فى أحد الأ يام فى وقت صلاة الساعة التاسعة ، تفرس فيهما ذلك المقعد أملاً أن يأخذ منهما صدقة ... لكن بطرس قال له : « ليس لى فضة ولا ذهب . **ولكن الذى لى فإياه أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامشى** » . ثم أمسكه بيده اليمنى وأقامه « ففى الحال تشددت رجلاه وكعباه ، فوثب ووقف وصار يمشى » . ودخل إلى الهيكل مع الرسولين وكان يسبح الله (أعمال الرسل ٣ : ١-١٠) ...

وإذا تأملنا فى تلك المعجزة يظهر أمامنا تطبيق الرسل العملى لتعاليم معلمهم ومخلصهم الرب يسوع ... حينما تفرس المقعد فى الرسولين طالباً لصدقة ، كانت إجابة بطرس : « ليس لى فضة ولا ذهب » **وكأنه يقول بعبارة أخرى : أنت تريد منى صدقة من المال . أنا لا أحمل عملة مالية . لكنى أحمل شيئاً آخر، أحمل المسيح نفسه ، وباسمه قم وامشى** ... كانت تلك هى عدة الكنيسة فى كل أجيالها ...

نعم ... بقوة فائقة للطبيعة ولدت الكنيسة فى يوم الخمسين ، وبتلك القوة عينها نمت واستمرت حتى اليوم ، وستستمر إلى نهاية العالم ... ليس لها سند من قوة زمنية ، بل سندها وعدتها وسائل روحية خالصة ...

يقول معلمنا القديس بولس : « لأننا وإن كنا نسلك فى الجسد ، لسنا حسب الجسد نحارب . إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية ، بل قادرة بالله على هدم حصون » (كورنثوس الثانية ١٠ : ٣، ٤) و يقول لأهل تسالونيكى : « فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص » (تسالونيكى الأولى ٥ : ٨) ... و يكتب لأهل أفسس معلّماً « أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته . إلبسوا **سلاح الله الكامل** لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك **إحملوا سلاح الله الكامل** لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير ... لابسين درع البر ... حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » (أفسس ٦ : ١٠-١٧) .

لعلكم جميعاً تذكرون موقف السيد المسيح من تصرف بطرس وقت القبض عليه . لقد إنتهر بطرس حينما إستل سيفه وضرب به عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، وقال له فى هدوء : « **رد سيفك إلى مكانه . لأن**

كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة . فكيف تكمل الكتب إنه هكذا ينبغى أن يكون » (متى ٢٦ : ٥١-٥٤) ... **معنى هذا الكلام ... إن حمل السيف ليس أسلوبنا ... لكن أسلوبنا هو الكلام الهادىء اللين ، ومقارعة الحجة بالحجة والدليل بالبرهان .**

يا لحلاوة المسيحية وعظمتها وقوتها ... إن قوة المسيحية تختبىء فى ضعفها الظاهر ووداعتها البادية . إن قوتها مخبأة فى الداخل على نحو ما كان المسيح يخفى لاهوته بالجسد البشرى الذى كان يلبسه ... هكذا قوة المسيحى أيضاً فى داخله يخفيها بتواضعه ووداعته .

إن تاريخ المسيحية المبكر فى الثلاثة قرون الأولى إنما يثبت أنها ديانة من الله وليست من صنع البشر . فالمسيحيون الأوائل مِمَّنْ اعتنقوا المسيحية كانوا من الطبقات الفقيرة الكادحة بل والمعدومة ... كانوا جماعة من الجهلاء والضعفاء أو بحسب تعبير الرسول بولس « المزدرى وغير الموجود » ... هؤلاء لم يكن لهم حول ولا طول .

كان على الكنيسة المسيحية الناشئة بأعضائها من الفقراء والضعفاء والمزدرى وغير الموجود ، أن تواجه الدولة الرومانية بتعاليم المسيحية التى تنهى عن إستخدام العنف والقوة ... ولماذا هذه المواجهة بين المسيحية والدولة الرومانية ؟! كان ذلك أمراً حتمياً حيث أن الدولة الرومانية كانت هى حامية الديانات الوثنية ... ولذا فقد دار الصراع بين الدولة

الرومانية الوثنية القوية وبين الكنيسة المسيحية الوديعة المتواضعة الناشئة ... **كانت المعادلة غير متكافئة، فالدولة الرومانية كانت كعملاق مدجج بالسلاح، بينما كانت المسيحية كطفل وليد يحبو على الأشواك ... كان منظراً عجيباً فريداً يدعوا إلى الدهشة وإلى العجب. كيف إستطاع هؤلاء البسطاء، العزل من كل سلاح، الذين لا يملكوا قوة ولا مركزاً إجتماعياً خطيراً أن يثبتوا أمام الدولة كلها.**

كانت الوثنية هى العدو الأكبر الذى تصدى للمسيحية. وقاومتها مقاومة مستميتة، وحاربتها حرب الإبادة. حرب الحياة أو الموت. إن التاريخ لا يسجل صداماً أقوى وأطول وأكثر وحشية من ذل الصراع الذى إحتدم بين الوثنية ممثلة فى الإمبراطورية الرومانية بآلهتها. وأباطرتها وجحافلها وبين المسيحية التى ظهرت على مسرح الحياة بلا سند من قوة زمنية وبلا سلاح حربى.

كانت المعركة تبدو غير متكافئة. معركة السيف مع الصليب والقوة المادية مع المثاليات الأدبية الروحية ويستتر خلف هذه المعارك المتطورة قوات العالم غير المنظور: الله فى ناحية وسلطان الظلمة فى ناحية أخرى. وأخيراً مدت الدولة يدها فى شخص الملك قسطنطين ــ وهو أول ملك مسيحى ــ لتصافح الكنيسة المتواضعة بعد أنهار من الدماء سالت على أديم هذه المسكونة. تلك الدماء التى يقول عنها العلامة ترتليانوس الذى عاش وسط الاضطهادات دون أن يرى

نهايتها ، أنها كانت بذار الكنيسة .

كان موت المسيحيين الذين سقطوا كأبطال فى حلبة الاستشهاد مقروناً بألوان من المعجزات والآيات والعجائب الفائقة لقدرات البشر وطبيعتهم ... ومن الإنصاف القول إن المسيح هو الذى كان يتألم عنهم . لقد قدموا هم الإرادة لأن الآلام التى صبت عليهم وأنواع التعذيب التى تفننوا فيها كانت فوق إحتمال البشر . إنسان يسلخوا جلده ، وآخر ينزلوه فى زيت مغلى أو زفت مغلى ، وثالث يقطعوا أعضاءه ، ورابع يسيل الشحم من جسده بعد أن يوقدوا تحته ناراً ... وخامس يعصرونه فى هنبازين ...

يسجل لنا التاريخ **سيرة شهيدة من قرطاجة** (بجوار مدينة تونس حالياً) اسمها بربيتوا ... كانت متزوجة حديثاً وحاملاً حينما قبض عليها بينما كانت لا تزال فى صفوف الموعوظين ، ولم تنل بعد سر العماد المقدس ... كان القانون الرومانى يحرم إعدام المرأة الحامل ... كان عليها الإنتظار حتى تضع مولودها ... وحدث أنه تقرر إعدام رفقائها وتحدد موعده ... أما هى فكان عليها أن تنتظر ... حزنت لأنها تود أن يُسفك دمها برفقتهم . فطلبت إليهم أن يصلوا لكى يعجل الرب بموعد ولادتها . صلى الجميع وفعلاً أتتها آلام المخاض ... وكانت تئن متوجعة ، فهذا أمر طبيعى . وحينما رآها أحد حراس السجن تصرخ وتتألم قال لها مستهزئاً : [كيف إذن ستتحملين عذاب الاستشهاد] . لكنها أجابته : [اليوم أتألم من أجل الطبيعة ، لكن غداً سيتألم عنى آخر] .

وما أكثر القصص التى نقرأها عن هؤلاء الشهداء وكيف كانوا يشاهدون السيد المسيح فى رؤى جميلة مشجعة ، والشهداء الذين سبقوهم يقوونهم و يثبتونهم . كون المسيحية يا أحبائى تنتشر بهذه الصورة بدون مساعدة وبدون أى قوى زمنية ، هذا يقطع بأن هذا هو عمل الله .

خامساً - لقد أثبتت الاضطهادات فى كل الظروف التى واجهتها الكنيسة أنها عامل قوة لها وأنها أثمرت بركات كثيرة .

كيف يمكن أن يكون الاضطهاد عامل قوة للكنيسة ؟! الاضطهاد الذى ينشر ألوية الارهاب ويحمل الخراب والدمار والأذى لبعض النفوس ، والموت لنفوس أخرى ، فينكر الإيمان مَنْ ينكر ... كيف يمكن أن يكون هذا الاضطهاد عامل قوة ؟! إنها معجزة المسيحية ، والمسيحية المعجزة ، التى تجمع ما يبدو أنه من المتناقضات ... ألم تسمعوا ما قاله الرسول بولس : « كحزانى ونحن دائماً فرحون . كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء » (كورنثوس الثانية ٦ : ١٠) ... أما الآن لنعد إلى الكنيسة الأولى ... كنيسة الرسل ...

لقد إمتلأت نفوس اليهود بغضة وحقداً بسبب نشاط الرسل الكرازى بعد مولد الكنيسة فى يوم الخمسين ... لقد آمن بالمسيح فى ساعة واحدة ثلاثة آلاف نفس من اليهود (أعمال الرسل ٢ : ٤١) ... وبسبب خدمة الرسل الكرازية « كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » (أعمال الرسل ٢ : ٤٧) ... وبعد معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل آمن كثيرون من اليهود « وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف »

(أعمال الرسل ٤ : ٤) .

لقد أخذت سحب الحقد والأنانية والغيرة الهوجاء تتجمع منذرة بشر مستطير ... كانت العداوة حتى ذلك الوقت تأخذ صورة القبض على الرسل وحبسهم ومحاكمتهم وجلدهم والتأكيد عليهم إلاَّ يبشروا باسم الرب يسوع ... **لكن الأمر تطور حين لم يعد فى قوس الصبر منزع كان الرسل من جانبهم يقولون : « نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا ... وينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس »** ... بينما الكهنة ورؤساؤهم يقولون لهم : « ها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان (يسوع) » (أعمال الرسل ٤ : ٢٠ ؛ ٥ : ٢٨ ، ٢٩) ... لقد كانت نتيجة تعبئة الحقد المستمر أن إمتدت بعض الأيادى الأثيمة لترجم شهيد المسيحية الأول استفانوس ، الذى كان وجهه يضيء كأنه وجه ملاك (أعمال الرسل ٦ ، ٧) .

كان مقتل استفانوس رئيس الشمامسة بمثابة الشرارة التى أعقبها إنفجار عظيم ... لقد فجر مقتل استفانوس كل العداوة الكامنة فى قلوب اليهود بسبب نشاط الرسل الكرازى ... ويرسم لنا القديس لوقا فى سفر أعمال الرسل صورة قاتمة مزعجة عن الكنيسة فى تلك الفترة المبكرة « وحدث فى ذلك اليوم إضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم . فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل » (أعمال الرسل ٨ : ١) ... **صورة قاتمة مزعجة حقاً ... لكن ما يلبث بعدها حتى يقدم القديس لوقا أيضاً عبارة قصيرة لكنها تحوى جماع فلسفة**

المسيحية وسر قوتها وتكشف عن مبادئها « الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة » (أعمال الرسل ٨ : ٤) ...

هذه الكلمات القليلة هى التعبير العملى الدائم عن حقيقة المسيحية وطبيعة رسالتها ... إنها تكشف أن المسيحية هى دائماً ديانة الصليب ــ تظهر أصالتها وسط الضيقات وتزدهر بالضغطات ... هى ليست ديانة السيف ، بل ديانة الروح والوداعة والحق ... لقد أثبتت الأحداث أن الاضطهاد كان دائماً بركة للكنيسة . فهو يستأصل العناصر الكاذبة ، ويقصى ذوى القلوب الضعيفة ، ويضع خاتمة للحياة اللينة ، وينشر الإيمان ... إن الاضطهاد هو عملية غربلة للمسيحيين ... إنه كالغربال الذى يسمح للحبة الرفيعة أن تسقط من فتحاته بينما يحتفظ بالحبة الكبيرة الممتلئة ... هكذا الاضطهاد فى كنيسة المسيح !!

والآن ننتقل إلى نقطة أخرى فى موضوعنا ، نستعرض فيها صوراً مشرقة للكنيسة .

عرض تاريخى لثبات الكنيسة إزاء الإضطهادات

كلنا يذكر وعد المسيح المبارك أن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة ... ونود الآن أن نرى مدى صدق هذا الوعد المبارك منذ فجر المسيحية وعبر الأجيال ... والحق أنه يعوزنا الوقت إن أردنا أن

نعدد أو نحصى أو نعطى أمثلة نوعية للاضطهادات التى حلت بكنيسة المسيح فى العالم كله ، على مدى عشرين قرناً من الزمان تقريباً ... فالحرب لا تنتهى والصراع ما أن يهدأ حتى يتجدد ... إنه سلسلة طويلة متصلة الحلقات ، مختلفة الألوان ... وإن كانت الكنيسة المسيحية قد تمتعت ببعض فترات راحة فى تاريخها الطويل ... لكن لم يكن معنى ذلك أن الاضطهاد قد زال ، لكن ذلك لم يكن سوى فترة هدنة تسترد خلالها الكنيسة أنفاسها وتجمع شملها وتنظم صفوفها وترتب أمورها الداخلية ... والآن فى عجالة قصيرة وموجزة جداً نعرض لبعض الأمثلة :

صراع الكنيسة مع اليهودية

ظهرت المسيحية على مسرح الحياة ، وكان العالم — من الناحية الدينية — ينقسم إلى قسمين : قسم صغير جداً يشمل اليهود الذين عبدوا الإله الحقيقى ، وقسم كبير جداً هو العالم كله — باستثناء اليهود — ويشمل الوثنيين أو الأمم ... وكان على الكنيسة أن تواجه اليهود والأمم على السواء إتماماً لوصية المسيح لرسله وتلاميذه : « إذهبوا إلى العالم أجمع . إكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥) ...

كان اليهود بطبيعتهم مملوئين من كل حقد وعداوة وإحساس بالتعالى على شعوب الأرض كلها باعتبارهم شعب الله المختار فكم يكون موقفهم من المسيحيين .. ولعل هذا الأمر يتضح من موقفهم بعد معجزة شفاء المقعد من بطن أمه الذى كان يجلس يستعطى عند أحد أبواب

الهيكل المسمى الجميل ، وقد أشرنا إلى هذا الأمر (انظر أعمال الرسل ص ٣ ، ٤ ، ٥) ...

وكمثال قوى لما حدث فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، نقدم شاول الطرسوسى (القديس بولس الرسول فيما بعد) ، الذى قال هو عن نفسه إنه كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غلاطية ١ : ١٣) ... وقال عنه القديس لوقا كاتب سفر الأعمال : « وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءاً ويسلمهم إلى السجن » (أعمال الرسل ٨ : ٣) ... ولم يكتف شاول بتعقب اليهود المتنصرين فى أورشليم وحدها ، لكنه أراد أن يتعقبهم أينما وجدوا ... إذ سمع بإيمان بعض اليهود فى مدينة دمشق ، شد رحاله إليها ، حاملاً معه رسائل من رئيس الكهنة حتى يعود بهؤلاء المتنصرين موثقين إلى أورشليم ليحاكموا أولاً ثم توقع عليهم العقوبة المناسبة ... لكن الرب كان فى إنتظاره على مقربة من دمشق وأظهر له ذاته ودعاه إليه ...

وكمثال قوى آخر نذكر شهداء بنى حمير ببلاد اليمن ، الذين إستشهدوا على يد الملك اليهودى ذى نواس وبلغ عددهم أربعة آلاف ، وذلك فى أوائل القرن السادس الميلادى .

وبعد أن إنتهت قصة شاول مضطهد الكنيسة ، بدأت صفحة جديدة من حياة بولس أسير يسوع المسيح (أعمال الرسل ٩ : ١-٩) ... وهنا نذكر ما فعله اليهود مع بولس الرسول نفسه حينما رجموه فى مدينة

لسترة ، وجروه خارج المدينة ظانين أنه مات (أعمال الرسل ١٤ : ١٩) ... ونذكر المؤامرة التى حاكها بعض يهود أورشليم بقصد قتل بولس الرسول ، الأمر الذى دفع أكثر من أربعين رجلاً يهودياً أن يتعاهدوا ألاَّ يذوقوا طعاماً أو شراباً حتى يقتلوه (أعمال الرسل ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) .

ومما هو جدير بالذكر أن اليهود كانوا لا يتورعون عن الانتقام بأية وسيلة إذا ملكوا الفرصة ... لكن حينما كانت تعوزهم الوسيلة كانوا يلجأون إلى مسالك الوشاية (انظر أعمال الرسل ٦ : ٩ - ١٤ ؛ ٩ : ٢٣ - ٢٥ ؛ ١٧ : ٦ - ٨ ؛ كورنثوس الثانية ١١ : ٣٢ ، ٣٣) .

على أن شوكة اليهود ضعفت بعد خراب أورشليم وهيكلها سنة ٧٠ م ، الأمر الذى أذلهم حيث أن الهيكل كان رمزاً لمجدهم وفخرهم ... لقد سحقت الدولة الرومانية اليهود سحقاً نتيجة الثورة الأهلية التى قاموا بها ... قام اليهود بثورة أخرى كبيرة ضد الرومان فى الفترة من سنة ١٣٢ إلى سنة ١٣٥ م بزعامة باركوكبا ، وكانت نتيجتها كسابقتها ... ولكن ما يهمنا هنا أن اليهود فى هذه الثورة الأخيرة قتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين بدافع الإنتقام ...

صراع الكنيسة مع الوثنية

كان بداية هذا الاضطهاد على عهد الإمبراطور الرومانى نيرون الذى لجنونه أحرق روما سنة ٥٤ م ، ونسب حرقها للمسيحيين ، ومثل

بجثثهم أبشع تمثيل ، إذ كان يدهنها بالقار و يعلقها على السوارى ثم يشعل فيها النار لتضيء الحدائق الإمبراطورية ، أو يلقيهم للوحوش الكاسرة ... **وكان نهاية سلسلة الاضطهادات الوثنية على عهد دقلديانوس وأعوانه** الذين بذلوا قصارى جهدهم لاستئصال المسيحية وبعث الوثنية ، وأفرغوا كل ما فى جعبتهم لمحو المسيحية بإحراق كتبهم المقدسة وهدم كنائسها وسجن خدامها وكهنتها ، وطرد المسيحيين من ذوى المناصب الرفيعة من وظائفهم ، وحرمانهم من حقوقهم المدنية ، وحرمان العبيد من حريتهم إذا هم أصروا على الاعتراف بالمسيحية ووصل الأمر إلى حد أنهم كانوا يدنسون الأطعمة المعروضة فى الأسواق بسكائب الذبائح التى تقدم للأوثان فيمتنع المسيحيون من شرائها . وكان الحراس يقفون أمام الحمامات و يدنسون بالذبائح الوثنية كل مَنْ يدخل للإغتسال فيها . ولم يكن أمام المسيحيين والحال هذه إلاَّ أن يموتوا شهداء ، أو يموتوا جوعاً ، أو يجحدوا إيمانهم .

بلغت بطولة المسيحين حداً فائقاً ، يصوره كبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد . الذى إستشهد بعد منتصف القرن الثالث بقليل فى إضطهاد الإمبراطور ديسيوس يقول : [لقد إندهلت الجموع المشاهدة للحرب السمائية ، الحرب الإلهية الحرب الروحية معركة يسوع . لقد رأوا خدام يسوع ثابتين فى جرأة بفكر مستسلم ... محتملين سيوف العالم ، لكنهم مؤمنون ومحصنون بأسلحة الإيمان . **لقد كان المعذبون أكثر شجاعة من معذبيهم .** إذ غلبت الأعضاء المضروبة الممزقة الآلات التى ضربتها ومزقتها . **لقد كانت السياط تكرر الجلدات**

بكل ما فى قوتها ، لكنها لم تقدر أن تهزم الإيمان غير المنظور. لقد كان الدم يتدفق ليطفىء لهيب الاضطهاد ويبطل نيران جهنم ، ويروى بذار الإيمان المسيحى ...] .

صراع الكنيسة مع حكام الدول غير المسيحية

وكمثال نذكر ما حل بأقباط مصر من إضطهادات ومصائب وضغوط نفسية وأدبية قصد بها التحقير إنتهت بهدم كثير من الكنائس والأديرة . واستشهد خلالها كثيرون خاصة فى عهد بعض الحكام المتطرفين المتهوسين ، كالحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى (٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م) ، والملك الناصر محمد بن قلاوون من دولة المماليك البحرية (١٢٩٣ ـ ١٣٤١ م) . الأمر الذى يجل عن الوصف حتى قيل إن الأقباط فى حكم هذا الرجل الأخير لم يروا إضطهاداً كاضطهاده منذ عصر دقلديانوس . وقد لا يصدق المرء ما أحدثه هذا السلطان من دمار للأديرة والكنائس ، لولا أن مؤرخاً مسلماً هو المقريزى فى القرن الخامس عشر الميلادى دون لنا هذه الأحداث . يقول المقريزى عن قلاوون : [وخرب من الديارات (الأديرة) شيئاً كثيراً ... وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدة يسيرة قلما يقع مثلها فى الأزمان المتطاولة . هلك فيها من الأنفس ، وتلف فيها من الأموال ، وخرب من الأماكن ما لا يمكن وصفه لكثرته] ... مؤرخ مسلم هو الذى يذكر هذه الحقائق المحزنة !! لا أود أن أعيد هذا الكلام لأنه موجع . إنه

كأس المرارة نتجرعه حينما نذكره . لذا أنا لا أريد أن أقلب المواجع . إنما من أجل الحق ذكرنا هذا كمثال .

ونذكر أيضاً المذابح المروعة التى حصدت آلاف الآلاف من الأرمن بواسطة الأتراك العثمانيين فى أنحاء الدولة العثمانية وخاصة فى إقليم أرمينيا فى مدة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ــ ١٩١٨م) . والحق أن المصائب والنكبات التى حلت بالأرمن على يد الأتراك ــ بلا أدنى مبالغة ــ لا يمكن وصفها لا تسامها بالوحشية والبربرية والهمجية ... لكن رغم الأعداد التى لا تُحصى من الأرمن المسيحيين الأرثوذكس الذين حصدهم الأتراك وفتكوا بهم ــ والذين قيل إن عددهم بلغ المليون قتيل ــ على الرغم من كل ذلك ظلت كنيستهم باقية !!

وخاضت الكنيسة المسيحية فى روسيا صراعاً دموياً منذ قيام الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ .

لقد قتل رجال الثورة الشيوعية الكهنة والأساقفة وغيرهم من المسيحيين . حكم على البعض بالنفى إلى سيبيريا وجردوا الكنائس من جميع ممتلكاتها وثروتها وحتى من آنيتها المقدسة . وحولوا الأديرة إلى متاحف ، وأبنية الكنائس إلى فنادق ومسارح ومطاعم وصالات رقص !! ومنع المسيحيون من طبع كتبهم المقدسة أو تعليم دينهم فى المدارس ...

ومن داخل روسيا ـــ تلك البلاد المترامية الأطراف ـــ رويت المآسى التى تدل على بطش الحكام ورجال الثورة من ناحية ، وعلى آلام المسيحيين واستبسالهم من ناحية أخر ... واستطاع الرجال والنساء أن يفتحوا الكنائس و يهربوا الدقيق الأبيض ـــ وهم أنفسهم جياع ـــ لصنع القربان المقدس ... وروريت قصص بطولة عن المسيحيين المنفيين فى ربوع سيبيريا يمارسون شعائر دينهم ... **قيل إن كاهناً شيخاً قبض عليه الجنود الحمر وسألوه عن علة شجاعته وبسالته أمام التعذيب والموت فكانت إجابته : [إن القوة التى فينا من الله ، والاستشهاد زهرة جديدة فى تاج المسيح]** ... وروى عن فريق من المسيحيين المتمسكين بدينهم فى روسيا ، كيف كانوا وهم مساقون إلى المنفى يحملون الشموع بأيديهم كأنهم فى عيد ، و ينشدون الأناشيد الدينية القديمة التى تشيد بقوة المسيح وإنتصاره على الموت والهاوية ... وعلى الرغم مما ألحقته الشيوعية بالكنيسة المسيحية فى روسيا من أضرار ومصائب جسيمة لكنها لم تفلح فى ملاشاة المسيحية من تلك البلاد التى كانت فى وقت من الأوقات أكبر دولة أرثوذكسية فى العالم . واضطرت الدولة فى السنوات الآخيرة أن تمنح الكنيسة بعض حرياتها المسلوبة وحقوقها المغتصبة .

صراع الكنيسة ضد الهراطقة

ولا ينبغى أن يقلل أحد من أهمية هذه النقطة الخاصة بالهراطقة والصراع ضدهم . فلولا وقفة الكنيسة لوصلتنا المسيحية فى صورة أخرى ، غير التى سلمها السيد المسيح لرسله القديسين ، صورة ممسوخة مشوهة ..!! **لقد خاضت المسيحية صراعاً ضخماً ضد الهرطقة المبتدعين على مختلف آرائهم الفاسدة فى مختلف عصور التاريخ .**

ومما جعل هذا الصراع عنيفاً فى بعض الفترات أن بعض الملوك المسيحيين أنفسهم كانوا ينحازون لبعض هؤلاء الهراطقة . ويضطهدون خصومهم فى المعتقد بالنفى والقتل .

ولا ينبغى أن نقلل من شأن هذا الصراع فقد أنهك الكنيسة فى بعض فترات تاريخها ، **واستشهد كثيرون لأجل الحفاظ لا على الإيمان وحده بل على المعتقد السليم أيضاً ... ومع كل ذلك فإن أبواب الجحيم لم تقو على كنيسة المسيح ، بل خرجت من كل هذه الصراعات قوية متماسكة محتفظة بإيمانها السليم .** ومازالت الكنيسة حتى الآن تجاهد وتصارع مستندة إلى وعد مخلصها « إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها » .

يد الله القوية المنتقمة

والآن ننتقل إلى خاتمة موضوعنا لنرى يد الله المنتقمة القوية .

« لى النقمة أنا أجازى يقول الرب » (تثنية ٣٢ : ٣٥) ... وقد أقتبس معلمنا بولس هذه الكلمات وأوردها فى (رومية ١٢ : ١٩) كما يتحدث فى رسالته الثانية إلى تسالونيكى فيقول : « جميع إضطهاداتكم والضيقات التى تحتملونها بيّنة على قضاء الله العادل ، أنكم تؤهلون لملكوت الله الذى لأجله تتألمون أيضاً . **إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً** . وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند إستعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته » (تسالونيكى الثانية ١ : ٤-٧) .

ولقد تمت هذه الكلمات حرفياً فيما مضى أيها الإخوة ومازالت تتم حتى الآن . **فكل مَنْ تألموا من أجل الرب إنتقلوا إلى المجد الذى كان ينتظرهم . أما الذين اتعبوا كنيسة المسيح وتصدوا لاضطهاد أولاده المسيحيين ، فقد حل عليهم الضيق ، وانتهوا إلى نهايات سيئة .**

كانت هذه نتيجة طبيعية ... **فالحرب لم تكن بين غير المسيحيين والمسيحيين . لكن الحرب كانت بين الشيطان والله** ... ولم يكن أعداء الكنيسة إلاَّ آلات طيعة فى يد الشيطان ، إستخدمها لتثبيت سلطانه فى العالم ... أما المسيحيون فكانوا آلات بر فى يمين الله لمجد اسمه . نعم ... كانت الحرب بين المسيح نفسه و بين أعدائه ... ولنا مثال واضح عن ذلك فى حياة شاول الطرسوسى الذى صار القديس بولس الرسول ... فحينما كان يسطو على الكنيسة ، وحينما كان يجر النساء والرجال

المسيحيين ويملأ السجون بهم ، وحينما أراد أن يوسع رقعة نفوذه وسلطانه وذهب محملاً بأوامر من رؤساء كهنة اليهود إلى دمشق لكى يقبض على المسيحيين هناك ، ويجرهم إلى سجون أورشليم . وحينما كان يقترب من مدينة دمشق و بدأت تلوح أسوارها أمامه ، كان يمنى نفسه بصيد كبير سمين يشفى غليله و يشبع ما فى نفسه من حقد وكراهية ليسوع الناصرى ... فى ذلك الوقت أبرق من حوله نور عظيم وكانت كلمات الرب يسوع له : « شاول شاول لماذا تضطهدنى ... مَنْ أنت يا سيد . فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس » (أعمال الرسل ٩ : ٤ ، ٥) . **كان المتكلم هو الرب يسوع المسيح الذى قال لشاول : « لماذا تضطهدنى » . كان شاول يضطهد و يعذب المؤمنين باسم الرب يسوع . لكن المسيح اعتبر هذا الاضطهاد موجهاً ضده شخصياً !!**

يذكر تاريخ الكنيسة أن البابا أثناسيوس الرسولى الذى إضطهد كثيراً وطو يلاً من أجل الحفاظ على سلامة الإيمان المسيحى ، كثيراً ما كان يردد كلمات المزمور « قم أيها الرب الإله وليتبدد جميع أعدائك . وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى اسمك القدوس » ... وكأنه يقول : [هؤلاء ليسوا أعداءنا ومبغضينا ، لكنهم أعداؤك ، ومبغضوا اسمك القدوس] ... **هكذا كانت المعركة بين الله من ناحية ، والشيطان وأعوانه من ناحية أخرى . ولذا فحينما كانت تنتهى الحرب بالنصرة كان الله هو الذى ينتصر.** أما الكنيسة **فهى جسده وعروسه .**

إنه أمر جاذب للأنظار بقدر ما هو مثير للدهشة ولتمجيد اسم الله ، أن جميع الذين قاموا على المسيحية بقصد ملاشاتها واضطهدوا أتباعها وأتعبوهم وعذبوهم وأذلوهم وقتلوهم ، هؤلاء جميعاً إنتهوا إلى نهايات سيئة ، وبعضهم ماتوا ميتات بشعة كما سوف نذكر.

ولدينا تسجيل هام وعجيب للفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة المسيحية دوّنه لنا لكتانتيوس الفيلسوف المسيحى الذى ولد ونشأ وثنياً أواخر القرن الثالث الميلادى ، ثم آمن بالمسيح . عاصر دقلديانوس واضطهاداته ، والملك قسطنطين الذى اعتنق المسيحية وشايع الكنيسة . لكتانتيوس هذا كتب لنا كتاباً باللغة اللاتينية مازال موجود بين أيدينا أسماه « موت المضطهدين » .

أراد هذا الرجل أن يبرهن على صحة الديانة المسيحية من زاوية خاصة . وهى أن أولئك الأباطرة الذين اضطهدوا المسيحيين وعذبوهم وقتلوا منهم كانوا هدفاً لإظهار غضب الله .

يقول لكتانتيوس فى صدر كتابه ـــ وكان قد كتبه لأحد أصدقائه ـــ [لقد استمع الرب إلى التوسلات التى رفعها باقى إخوتنا ، الذين باعتراف مجيد نالوا إكليلاً أبدياً مكافأة عن إيمانهم . انظر ! لقد باد جميع الأعداء ، وعاد الهدوء ثانية ... والكنيسة التى أضطهدت قبلاً نهضت ثانية . وهيكل الله الذى خربه الأشرار ، بنى بمجد أكثر من ذى قبل ... والآن لقد أقام الله سامع الدعاء ، بمعونته الإلهية ، خدامه المنطرحين والمتضايقين ، أقامهم من الحضيض ، مع نهاية لكل مكايد الأشرار ،

وكفكف دموع النائحين. **أما الذين جدفوا على اللاهوت، فقد طرحهم إلى أسفل. والذين هدموا الهيكل المقدس، سقطوا سقوطاً شنيعاً. والذين عذبوا الأبرار، ماتوا وسط الضربات الإلهية، بعذابات يستحقونها. فالله قد تأنى فى عقابهم حتى ـ بالنموذجات العظيمة والعجيبة يعلم نسلهم أنه وحده هو الله. وأنه بالنقمة المناسبة، ينفذ قضاءه على المستكبرين الكافرين المضطهدين!!]**

تلك كانت كلمات لكتانتيوس، وأود أن أقدم لكم مجرد أمثلة قليلة لكى ما نعرف صحة هذا الكلام.

+ **الإمبراطور نيرون** الذى مثل بالمسيحيين شر تمثيل إنتهى أمره بأن انتحر وهو فى سن الثانية والثلاثين ولم يعثر له على جثة أو قبر.

+ **والإمبراطور فالريان الذى سقى المسيحيين كأس العذاب مترعاً**، أسره أعدائه الفرس الذين كان يحاربهم. وأمضى بقية حياته كعبد فى مذلة شنيعة حتى قيل أن سابور ملك الفرس الذى أسره، كان يأتى به ـــ حينما يريد أن يركب عربته أو يمتطى صهوة جواده ليضع قدمه على ظهره ليركب وكثيراً ما كان يحضره أمامه ليسخر منه. وأنهى حياته أسيراً وأخيراً أمر سابور بسلخ جلده!!

+ **أما الإمبراطور دقلديانوس** ذلك الاسم الشهير الذى يعرفه جميع المسيحيين فقد إعتزل الحكم تحت وطأة المرض، واللوثة العقلية التى أصابته. وحطمت تماثيله وأزيلت صوره وعاش ليرى بعينيه أحتقاراً لم يشهده أحد من الأباطرة السابقين ... فقد بصره وأصيب بالجنون وأخيراً

فى موجة يأس وجنون أنهى حياته منتحراً سنة ٣١٣ . وهى نفس السنة التى أصدر فيها قسطنطين أول الملوك منشور التسامح الدينى مع المسيحيين من مدينة ميلان .

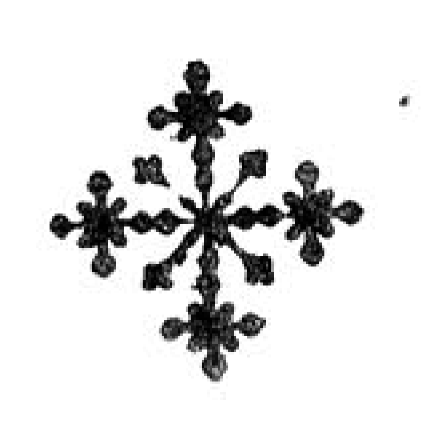
+ **ومكسميانوس شريك ديوكلتيانوس (دقلديانوس)** وحاكم القسم الغربى من الامبراطورية الرومانية شنق نفسه ومات منتحراً سنة ٣١٠م .

+ أما جاليريوس زوج ابنة ديوكلتيانوس ومعاونه فى حكم القسم الشرقى من الامبراطورية فقد مرض مرضاً خطيراً كريهاً أواخر سنة ٣١٠ وضرب بقروح بشعة فى مواضع حساسة من جسمه سرعان ما إنتشرت فى كل جسمه وبعدها أخذ الدود يأكل جسمه . وكانت تنبعث منه رائحة نتنة جداً . وما كان أحد يستطيع أن يقترب منه بسببها . وإزاء هذه الحالة المؤلمة اضطر إلى الإلتجاء إلى إله المسيحيين فأصدر مرسوم تسامح للمسيحيين وطلب منهم أن يتضرعوا لإلههم من أجل سلامته .

+ أيها الإخوة الأحباء نحن لم نتبع خرافات مصنعة كما يقول معلمنا بطرس فى رسالته . وكلمات الله ثابتة لا يسقط حرف واحد منها . فزوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط كلمة واحدة من كلام الله ... لقد بنيت الكنيسة على الإيمان بأن المسيح هو ابن الله الحى ، ووعد أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها ... إن هذا الوعد أيها الإخوة ليس متعلقاً بقداسة المسيحيين ولا باستحقاقهم ، ولكنه متعلق بمَنْ وعد ووعده صادق وأمين « أبواب الجحيم لن تقوى

عليها » وإذا كان وعد المسيح لا يتعلق ببر المسيحيين ولا بقداستهم ولا بتقواهم فنحن نؤمن أن هذا الوعد سوف يظل مستمراً إلى أن يزول هذا العالم و ينتهى ، و يأتى الديان العادل ليعطى كل واحد حسبما كان فى الجسد خيراً كان أم شراً .

لكننا نحن نشفق على مَنْ يتعبون الكنيسة وأولاد المسيح . نحن نشفق عليهم ونصلى من أجلهم لعل الله يعطيهم استفاقة فيعرفون ما هم صانعون ... نحن نرفع قلوبنا إلى الله الذى أحبنا و بذل ذاته عنا وأعطانا هذه النعم التى لا نستحقها وحفظنا فى هذا الإيمان الأقدس ، أن يتحنن و يعلن ذاته لمَنْ لم يعرفه حتى الآن ... « ليعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك و يسوع المسيح الذى أرسلته ... الذى ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (يوحنا ١٧ : ٣ ؛ أعمال الرسل ٤ : ١٢) ... ولإلهنا كل مجد وكرامة فى كنيسته كل حين ، وإلى الأ بد آمين .



فهرست

« الإيمان الأقدس »

هو الإيمان الذى تسلمته الكنيسة المسيحية من الآباء الرسل ... ويعبر عنه الرسول يهوذا بأنه المسلّم مرة للقديسين (يهوذا ٣) ... **وقد حفظت الكنيسة هذا الإيمان بدماء أبنائها وبطولتهم ، وزادت عنه بما كتبه فلاسفة المسيحية وعلماؤها فى كل الأجيال ... إن محور إيمان المسيحيين الأقدس هو شخص المسيح الفادى** ... حوله كرّس اللاهوتيون فى كل أجيال المسيحية جهودهم وصنفوا المؤلفات التى لا تحصى عدداً ... وحوله إشتعل الجدل اللاهوتى ولا عجب فى ذلك ، فمنذ البداية كرز الكارزون بالمسيح « لليهود عثرة ولليونانيين جهالة » ... **ومازالت قضية المسيح مطروحة حتى الآن ... لماذا المسيح ومَنْ يكون ؟!**

حول هذا الموضوع الحيوى تدور دراسات هذا الكتاب عالجها المؤلف بأسلوب سهل ممتنع بعيد عن التعقيد الذى كثيراً ما تتسم به الكتابات اللاهوتية .

الثمن ١٢٥ قرشاً